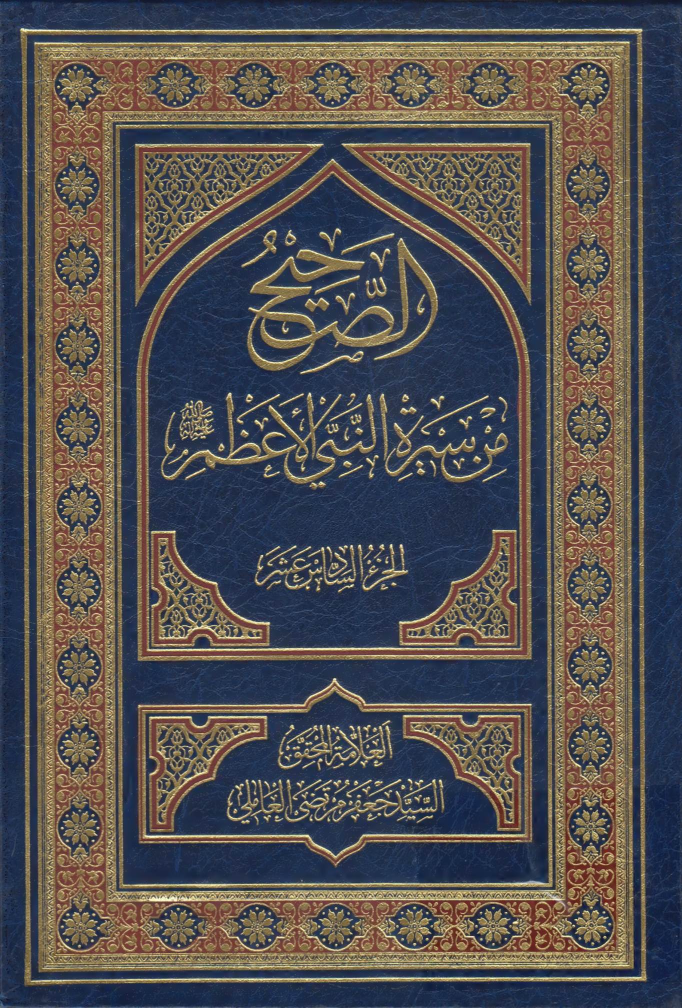

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله
الجزء السادس عشر
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم


شبكة الفكر
alfeker.net





العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي



الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ
(الجزء السادس عشر)
للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دارالحديث للطباعة والنشر

المطبعه: دارالحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ ق ـ ٢٠٠٧ م ـ ١٣٨٦ هش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٠٥٤٥-٧٧٤٠٥٢٣-٧٧٤٠٢٥١ ٧٧٤٠٢٥١ / فاكس: ٧٧٤٠٥٧١ ٠٢٥١ / ص.ب ٤٤٦٨ / ٣٧١٨٥

لبنان - بيروت - حارة حريك - خلف الضمان الاجتماعي - بناية فروزان. تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤-١-٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

http://www.hadith.net

hadith@hadith.net

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

ISBN: 978 - 964 - 493 - 188 - 8



الباب الثاني

عهد الحديبية.. وقائع وآثار

[illegible]

[illegible]

[illegible]

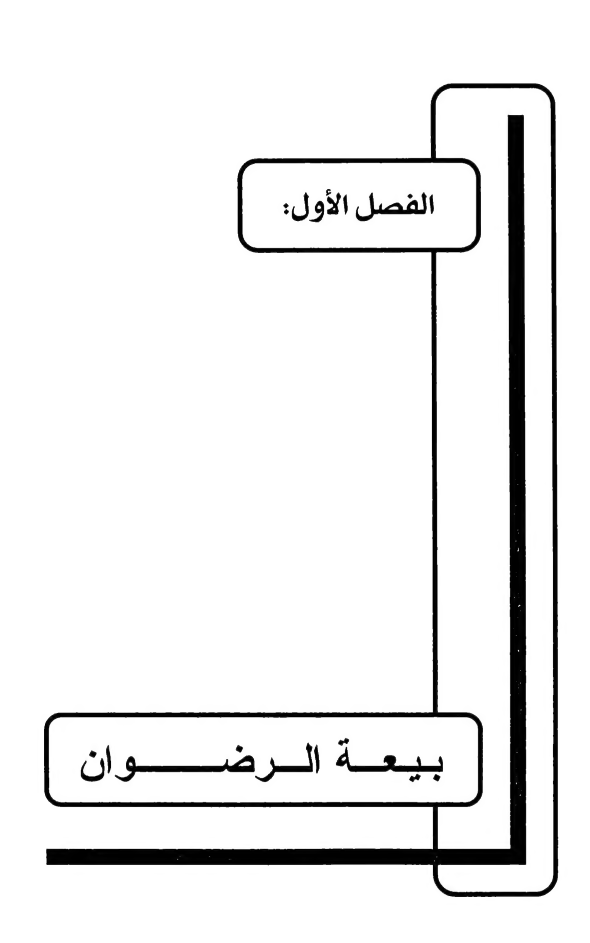
[illegible]

[illegible]

[illegible]

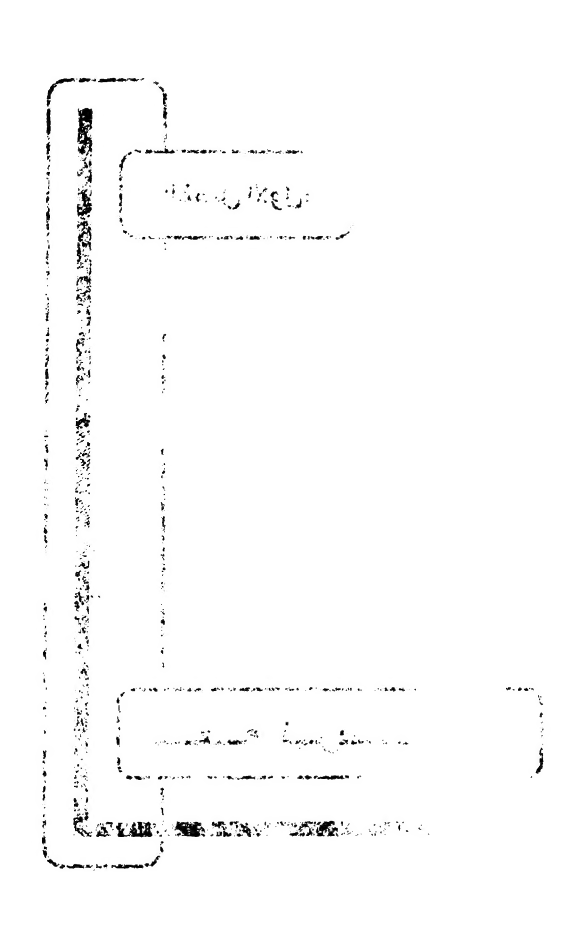
[illegible]

[illegible]



الفصل الأول:

بيعة الرضوان



حديث البيعة:

قال الصالحي الشامي: لما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن عثمان قد قتل، (وقتل معه العشرة الآخرون[1])، دعا الناس إلى البيعة، وقال: «لا نبرح حتى نناجز القوم».

وأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منازل بني مازن بن النجار، وقد نزلت في ناحية من الحديبية، فجلس في رحالهم تحت شجرة خضراء، ثم قال: «إن الله تعالى أمرني بالبيعة».

فأقبل الناس يبايعونه حتى تداكوا، فما بقي لبني مازن متاع إلا وطئ، ثم لبسوا السلاح وهو معهم قليل.

وقامت أم عمارة إلى عمود كانت تستظل به، فأخذته بيدها، وشدت

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٦ وتفسير الثعالبي ج٥ ص٢٥٥ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٤٥٢ وعن فتح الباري ج٧ ص٤٩ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص١٤١ وجامع البيان ج٢٦ ص١١١ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٩ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٨٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص١١٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١٩.

سكيناً في وسطها.

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سلمة بن الأكوع، والبيهقي عن عروة، وابن إسحاق عن الزهري، ومحمد بن عمر عن شيوخه، قال سلمة: بينا نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«أيها الناس البيعة البيعة، نزل روح القدس، فاخرجوا على اسم الله».

قال سلمة: «فسرنا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه»[1].

وفي صحيح مسلم عنه قال: فبايعته أول الناس..

ثم بايع، وبايع، حتى إذا كان في وسط من الناس قال: «بايع يا سلمة».

قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس[2].

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ج٤ ص١٣٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٦ و ١٧ وصحيح مسلم ج٦ ص٢٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥١٢ وكنز العمال ج١ ص٣٣٢ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٩٢ وزاد المسير ج٧ ص١٦٧ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٥ وتفسير الجلالين ص٧١٣ والدر المنثور ج٦ ص٧٣ ولباب النقول ص١٧٧ وفتح القدير ج٥ ص٥٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٨، أخرجه مسلم في الجهاد ج٣ ص١٤٣٤ (١٣٢) وصحيح مسلم ج٥ ص١٩٠ومسند أحمد ج٤ ص٥٤، والبيهقي في الدلائل ج٤ ص١٣٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٢ ص٩٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٩.

قال: «ورآني رسول الله «صلى الله عليه وآله» عزلاً، فأعطاني حجفة ـ أو درقة ـ.

ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال: «ألا تبايعني يا سلمة»؟

قال: قلت: يا رسول الله قد بايعتك في أول الناس، وفي وسط الناس.

قال: «وأيضاً»، فبايعته الثالثة.

ثم قال لي: «يا سلمة أين حجفتك ـ أو درقتك ـ التي أعطيتك»؟

قال: قلت: يا رسول الله، لقيني عمي عامر عزلاً فأعطيته إياها.

قال: فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: إنك كالذي قال الأول: اللهم ابغني حبيباً هو أحب إلي من نفسي[1].

وفي صحيح البخاري عنه قال: بايعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» تحت الشجرة.

قيل: على أي شيء كنتم تبايعون؟

قال: على الموت[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨ ومسند أحمد ج٤ ص٤٩ وصحيح مسلم ج٥ ص١٩٠ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص١٧٥ والجامع الصغير ج١ ص٣٨٧ وعن تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٢.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٦٩) والبيهقي ج٤ ص١٣٨ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٩ وج٩ ص١١٠ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٠٣ والبحار ج٣٨ ص٢١٨ ومسند أحمد ج٤ ص٥٤ وعن صحيح البخاري ج٤ ص٨ وعن فتح الباري ج١٣ ص١٧٢ وعن تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠١ والدر المنثور ج٦ ص٧٤ وفتح القدير ج٥ ص٥٢.

وروى الطبراني عن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لابن عمر: أشهدت بيعة الرضوان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

قال: نعم.

قلت: فما كان عليه؟

قال: قميص من قطن، وجبة محشوة، ورداء وسيف، ورأيت النعمان بن مُقَرِّن المازني قائم على رأسه، قد رفع أغصان الشجرة عن رأسه يبايعونه.

وفي صحيح مسلم، عن جابر قال: بايعنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعمر آخذ بيده، تحت شجرة ـ وهي سمرة ـ فبايعناه غير الجد بن قيس الأنصاري، اختفى تحت بطن بعيره.

وعند ابن إسحاق، عن جابر بن عبد الله: فكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته، قد خبا إليها، يستتر بها من الناس. بايعناه على ألا نفِرَّ، ولم نبايعه على الموت[1].

وروى الطبراني عن ابن عمر، والبيهقي عن الشعبي، وابن منده عن زر بن حبيش قالوا: لما دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» الناس إلى البيعة كان أول من انتهى إليه أبو سنان الأسدي، فقال: ابسط يدك أبايعك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «علام تبايعني»؟

قال: على ما في نفسك.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٩ وج٩ ص١١١ أخرجه مسلم ج٦ ص٢٦ ومسند أحمد ج٣ ص٣٥٥ وشرح مسلم للنووي ج١٣ ص٢ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٤١٦ والمعجم الكبير ج٢٠ ص٢٢٨ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٤٨٤.

زاد ابن عمر: فقال النبي: وما في نفسي؟

قال: أضرب بسيفي بين يدك حتى يظهرك الله أو أقتل. فبايعه، وبايعه الناس على بيعة أبي سنان(١).

وروى البيهقي عن أنس، وابن إسحاق عن ابن عمر، قال: لما أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ببيعة الرضوان كان بعث عثمان رسولُ الله «صلى الله عليه وآله» إلى أهل مكة، فبايع الناس، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم إن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم(٢).

وروى البخاري وابن مردويه عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب: كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان؟

قال: خمس عشرة مائة.

قلت: فإن جابر بن عبد الله قال: أربع عشرة مائة.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ج١٤ ص٨٧ (٦٠٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور ج٦ ص٧٤ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٤٦.

(٢) أخرجه الدولابي في الكنى ج١ ص١٣٣ والطبراني في الكبير ج١ ص٤١ وابن أبي شيبة ج١٢ ص٤٦ والحاكم ج٣ ص٩٨ وانظر: الدر المنثور ج٦ ص٧٤، وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٧ وسنن الترمذي ج٥ ص٢٩٠ وكنز العمال ج١٣ ص٦٤ وضعيف سنن الترمذي ص٤٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٧٦ وأسد الغابة ج٣ ص٣٧٩.

قال: يرحمه الله توهم، هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة[1].

وروى الشيخان، وابن جرير عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة، وكانت أسلم ثُمن المهاجرين[2].

أفاد الواقدي: أن أسلم كانت في الحديبية مائة رجل.

وروى سعيد بن منصور والشيخان عن جابر بن عبد الله قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، فقال لنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنتم خير أهل الأرض»[3].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي عن جابر بن عبد الله، ومسلم عن أم مبشر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «لا يدخل

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٠ و ٥١ عن البخاري ج٧ ص٥٠٧ (٤١٥٣) والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٣٥ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٤١ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٠ والدر المنثور ج٦ ص٧٣ وفتح القدير ج٥ ص٤٩ وتاريخ خليفة بن خياط ص٤٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥١ وعن البخاري في المصدر السابق ج٥ ص٦٣ (٤١٥٥) ومسلم ج٣ ص١٤٨٥ (٧٥/ ١٨٥٧) وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧١ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٥ وعن فتح الباري ج٧ ص٤٤٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٦.

(٣) عن البخاري ج٧ ص٥٠٧ (٤١٥٤) وعن مسلم ج٣ ص١٤٨٤ (٧١/ ١٨٥٦) والسيرة الحلبية ج٣ ص١٧ و ١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥١ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٤١ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٢ والدر المنثور ج٦ ص٧٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٢٢٢ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٥.

النار أحد بايع تحت الشجرة»[١].

فلما نظر سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص، ومن كان معهم من عيون قريش من سرعة الناس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب اشتد رعبهم وخوفهم، وأسرعوا إلى القضية[٢].

ثم أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل»[٣].

أول من بايع:

وقالوا: إن أبا سنان الأسدي أول من بايع..

وقالوا: إن هذا هو الأشهر، وعليه الأكثر[٤].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥١ أخرجه أبو داود (٤٦٥٣) والترمذي (٣٨٦٠) وأحمد ٣ ص٣٥٠ وابن المبارك في الزهد (٤٩٨) وابن سعد ج٢ ق١ ص٧٣ ومسلم في الفضائل باب ٣٧ (١٦٣) والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٤٦٤ والبداية والنهاية ج٦ ص٢١١ وج٧ ص٣٧٢ ورأس الحسين لابن تيمية ص٢٠٤.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥١ و ٥٢.

(٣) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٨ ـ ٥١ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٨٩ وجامع البيان ج٢٦ ص١١٢ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٨١ وعن عيون الأثر ج٢ ص١١٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١٩.

(٤) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٧٥ وكتاب الأوائل ص٨٢ ومعرفة علوم الحديث ص١٨٣ وعن الإصابة ج٣ ص١٥٧ وج٧ =

ولكن نصاً آخر يقول: إن أولهم هو ولده سنان بن أبي سنان[1].

ولعل هذا هو الصحيح، وذلك لأن أبا سنان نفسه قد مات في حصار بني قريظة، ودفن بمقبرتهم[2].

وقيل: أول من بايع هو عبد الله بن عمر[3].

وقيل: هو سلمة بن الأكوع[4].

ولعل السبب في ظهور هذين القولين هو: أن ابن عمر قد بايع مرتين: مرة في أول الناس، ومرة في آخر الناس[5].

كما أن سلمة بن الأكوع قد بايع ثلاث مرات: مرة في أول الناس، ومرة

= ص١٥٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥٦٢.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨ والطبقات الكبرى ج٣ ص٩٣ وأسد الغابة ج٥ ص٢٢١ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٨.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٠٠ وج٣ ص٩٣ والإصابة ج٧ ص١٥٥ و ١٦٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٥٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٤٥ و ١٩٢ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٣٣ وعن عيون الأثر ج٢ ص٥٨ و ١٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨.

(٤) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٩ ومسند أحمد ج٤ ص٤٩ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٢.

(٥) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨.

في وسط الناس، ومرة في آخر الناس[1].

فظنوا، أن المراد بقوله: بايع أول الناس وآخر الناس: أنه لم يبايع النبي «صلى الله عليه وآله» أحد قبله.

مع أن المراد: أنه كان في أوائل المبايعين تارة، وفي أواخرهم أخرى.

لماذا تعددت بيعة ابن الأكوع؟!

وقد أثار طلب النبي «صلى الله عليه وآله» من سلمة بن الأكوع أن يكرر بيعته ثلاث مرات تساؤلاً حول سبب ذلك..

فادَّعى البعض: أن ذلك كان فضيلة لسلمة؛ لأنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته، وعنايته بالإسلام، وشهرته في الثبات. بدليل ما وقع له في غزوة ذي قرد، بناء على تقدمها على ما هنا. أو تفرس فيه «صلى الله عليه وآله» ذلك، بناء على تأخرها[2].

ونقول:

١ ـ قد أشرنا فيما سبق: إلى أن ما يذكرونه عنه في غزوة ذي قرد ظاهر الفساد، ولا يمكن تأييد صحته..

٢ ـ ومع غض النظر عن ذلك نقول: لماذا لم تظهر لسلمة هذا أية مواقف أخرى في سائر المشاهد، بل هو قد فر مع الفارين، وأحجم مع المحجمين؟! وتلك هي غزوة حنين، وخيبر، وسواهما، شاهد صدق على ما نقول.

---

(١) تقدمت المصادر لذلك.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨.

٣ ـ لماذا لا يطلب النبي «صلى الله عليه وآله» تكرار البيعة من جميع من عرفوا بالشجاعة، مثل علي، والمقداد، وأبي دجانة و.. و..؟!

٤ ـ إن الشجاعة لا تناسب طلب تجديد البيعة، بل تناسب إعطاء المناصب، وإطلاق الكلمات المادحة في حق ذلك الشجاع.. أما البيعة فهي أخذ عهد، وإبرام عقد يطلب الوفاء به..

٥ ـ إن تجديد العهود، إنما يكون بهدف تأكيد الإلزام بها، والحمل على الالتزام بالوفاء ، وهذا إنما يطلب ممن يظن فيه الغدر، ويتهم بالخيانة وعدم الوفاء..

فليكن طلب البيعة مرة بعد أخرى يهدف إلى التلويح بإمكانية صدور هذه الخيانة منه..

٦ ـ ويمكن تأييد ذلك بما ظهر في نفس ذلك المجلس، حيث يذكرون: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أعطى سلمة في المرة الثانية دَرَقَةً ـ أو جَحَفَةً ـ فما لبث أن أعطاها لغيره، ثم طلب منه البيعة الثالثة فبايعه، فسأله عن جحفته أو درقته التي أعطاه إياها آنفاً، فأخبره أنه أعطاها لعمه عامر[1].

فلم يحتفظ بهذه الدرقة سوى هذا الوقت القصير.

مع أن المفروض هو: أن يبقيها عنده، كأعز ذكرى لديه، وأنفس شيء حصل عليه في حياته.

وإذا كان الصحابة يتبركون بفضل وضوء النبي «صلى الله عليه وآله»، وبشعره، وبعصاه، وبكل شيء يرتبط به، فما بال سلمة يزهد بهذه العطية

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٩.

السنية، ويعطيها لسواه، ولا تستقر معه دقائق معدودات؟!

ولو أردنا أن نحمل عمله هذا على إرادة الإيثار، وهو عمل سام ونبيل، يستحق فاعله التمجيد والتقدير.

فإن هذا التوجيه لن يلقى قبولاً لدى أهل الدراية والمعرفة؛ لأنهم سوف يقولون لنا: إنه لا مجال للإيثار في أمور العبادة. وتقديس رسول الله، والتبرك بآثاره «صلى الله عليه وآله» هو من قبيل الصلاة، أو الحج، الذي لا يقبل الإيثار، إذ لا يمكن التخلي عن الصلاة لإيثار الغير بها فيصلي غيره ويترك هو الصلاة..

وقد قال البعض: إن من الممكن أن يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد طلب البيعة أكثر من مرة من سلمة بعد أن أعطاه درقته، من أجل أن يزعزع ثقة المشركين الذين هم على رأيه، والدليل على ذلك: أنه لم يحتفظ بالدرقة ولو لوقت قصير لكي لا تكون علامة انسجام بينه وبين النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد ضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليفهم سلمة أنه ـ أي الرسول «صلى الله عليه وآله» ـ عارف بسبب تخلصه من الدرقة.

هل بايعوه على الموت؟!

وقد اختلفوا في بيعة الرضوان، هل كانت على الموت، أو على عدم الفرار.. [1] أو أن المراد واحد، كما ذكره البعض[2].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٠ وفي هامشه عن: صحيح مسلم ج٣ ص١٤٨٣ (٦٧، ٦٩/ ١٨٥٦).

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٧.

ونقول:

إن البيعة على عدم الفرار ـ سواء أكانت هي نفسها البيعة على الفتح أم الشهادة ـ خلاف الحكمة والتدبير، وذلك لأنها تتضمن اتهاماً لأصحابه، بأنهم مظنة الفرار، من جهة..

وفيها أيضاً: إيحاء للعدو بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» غير واثق بنصر أصحابه له، وأن عدم الثقة هذا قد بلغ حداً جعله يلجأ إلى أخذ المواثيق والعهود منهم بذلك، من جهة أخرى.

ومن شأن هذا أن يدفع الأعداء إلى أن يطمعوا بالنصر عليه «صلى الله عليه وآله»، وأن يفكروا بأن بذل المزيد من الجهد قد يعطي ثماراً طيبة لهم..

وبما يشهد على ما قلناه:

ما رووه: من أن أول من بايع هو سنان بن أبي سنان الأسدي، فقال للنبي «صلى الله عليه وآله»: أبايعك على ما في نفسك.

قال «صلى الله عليه وآله»: وما في نفسي؟!

قال: أضرب بسيفي بين يديك حتى يظهرك الله أو أقتل، وصار الناس يبايعونه على ما بايعه عليه سنان[1].

بيعة المنافقين في الحديبية:

قالوا: وقد بايع جميع الناس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يتخلف منهم أحد إلا الجد بن قيس.

---

(١) تقدمت مصادر ذلك.

قال: لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته، يستتر بها من الناس.

وقد قيل: إنه كان يرمى بالنفاق. وقد نزل في حقه في غزوة تبوك من الآيات ما يدل على ذلك.

وكان الجد بن قيس سيد قومه بني سلمة ـ بكسر اللام ـ في الجاهلية.

ويقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» سوَّد عليهم بشر بن البراء بن معرور، وقيل: عمرو بن الجموح. ورجح ابن عبد البر الأول، ورووا شعراً يؤيد الثاني..

وذكروا: أن سبب ذلك هو: أنه كان يرمى بالبخل[1].

ونشير هنا إلى أمرين:

الأول: أننا نرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يبادر إلى أمر كهذا بلا مبرر قوي، لاسيما وأنه يجر عداوات، ويخلق أحقاداً وخصومات، وينشئ عُقَداً تجاهه «صلى الله عليه وآله». ومجرد بخل إنسان مّا لا يكفي مبرراً للإقدام على أمر كهذا.. إلا إذا كان ذلك قد حصل قبل إظهار الجد بن قيس للإسلام، ولسنا بصدد تحقيق هذا الأمر..

الثاني: أن هذا النص يدل على: أن بقية المنافقين الحاضرين، ومنهم عبد الله بن أبي قد بايع وبايعوا أيضاً.. وقد كان ابن أُبي حاضراً بدليل:

١ ـ ما تقدم: من أنه كان حاضراً هو وجماعة من المنافقين، حين جاشت البئر بالماء، بسبب غرس سهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيها.. فقيل له في ذلك، فادَّعى: أنه رأى مثل هذا فيما سبق، واستغفر له «صلى الله عليه

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٧.

وآله» في هذه المناسبة.

٢ ـ أن قريشاً بعثت إلى ابن سلول: إن أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل.

فقال له ابنه عبد الله: يا أبت أذكرك الله، أن لا تفضحنا في كل موطن. تطوف! ولم يطف رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فأبى حينئذٍ وقال: لا أطوف حتى يطوف رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وفي لفظ قال: إن لي في رسول الله أسوة حسنة.

فلما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» امتناعه رضي عنه، وأثنى عليه بذلك[1].

حديث: «لا يدخل النار من شهد الحديبية» لا يصح:

وهذا يوضح لنا: عدم صحة الأحاديث التي تقول: لا يدخل النار من شهد بدراً، والحديبية، وأن الله غفر لأهل بدر والحديبية، ونحو ذلك[2].

فإن المنافقين يدخلون النار بلا شك. وقد كانوا حاضرين في الحديبية، وقد بايع قسم منهم النبي «صلى الله عليه وآله» في الحديبية، وعلى رأسهم

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨ والنص والإجتهاد ص١٦٨.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٧ و ١٨ وسنن أبي داود ج٢ ص٤٠٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٤٦٤ وفيض القدير ج٥ ص٣٨٤ وعن الإصابة ج٢ ص٤٤ والبداية والنهاية ج٣ ص٣٩٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٥١٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥١.

ـ حسب قولهم ـ عبد الله بن أبي، الذي يقول عنه أهل السنة: إنه كان رأس النفاق في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وإن كنا نحتمل أن يكون ثمة تضخيم لدور ابن أبي، ومحاولة الإنحاء باللائمة عليه في كثير من الأمور، التي قد يكون بطلها الحقيقي شخصاً آخر يراد التستر عليه، أما ابن أُبي فهو ضحية هذه السياسة حين لا يكون له دور أساسي فيها، أو قد يكون بريئاً من أي دور فيها. ولسنا هنا بصدد تحقيق ذلك.

وظهر أيضاً عدم صحة حديث: أنتم اليوم خير أهل الأرض[1]، فإن المنافقين كانوا فيهم، ولم يكن المنافقون خير أهل الأرض قطعاً. إلا إن كان المراد: أنهم كذلك في ذلك اليوم بالنسبة للمعلنين بالشرك، والمظهرين العناد.

قال الحلبي: «قال ابن عبد البر (ره): ليس في غزواته «صلى الله عليه وآله» ما يعدل بدراً ويقرب منها إلا غزوة الحديبية.

والراجح: تقديم غزوة أحد على غزوة الحديبية، وأنها التي تلي بدراً في

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٧ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٦٣ وكتاب المسند ص٢١٧ ومسند أحمد ج٣ ص٣٠٨ وصحيح مسلم ج٦ ص٢٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٣٥ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٤١ ومسند الحميدي ج٢ ص٥١٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥١٠ ومنتخب عبد بن حميد ص٣٣٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٤٦٤ وكنز العمال ج١٠ ص٤٧٥ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٢ والدر المنثور ج٦ ص٧٣ وتاريخ بغداد ج١٢ ص٤٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٢٢٢ وتهذيب الكمال ج٤ ص٤٤٩ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص١٩٢ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥١.

الفضيلة»[١].

وقد ظهر: أنه كلام بلا مستند صحيح، فالأولى الإضراب، والإعراض عنه، والتوجه إلى ما هو أهم، ونفعه أعم.

بيعة النبي عن عثمان:

وقد ادعوا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بايع عثمان، فوضع يده اليمنى على اليسرى، وقال: اللهم إن هذه عن عثمان، فإنه في حاجتك، وحاجة رسولك. أو نحو ذلك[٢].

ونقول:

إننا قد تحدثنا عن هذا الأمر في الجزء السابق، غير أننا نعود فنذكر القارئ بما يلي:

أولاً: إذا كانت بيعة الرضوان قد حصلت، لأنه بلغهم أن عثمان قد قتل، فكيف بايع النبي «صلى الله عليه وآله» عنه؟!.. أما وقد كان عثمان حياً، فإن سبب البيعة لابد أن يكون شيئاً آخر وهو: حبس العشرة الذين دخلوا إلى مكة[٣].

أو محاولتهم قتل رسوله «صلى الله عليه وآله» إليهم، أعني خراش بن

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٨.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤٨٩ والآحاد والمثاني ج١ ص١٣٠ والمعجم الأوسط ج٧ ص٢٠٩ والمعجم الكبير ج٧ ص٢٣ وكنز العمال ج١٣ ص٤٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٧٥.

(٣) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٧ والمصادر السابقة.

أمية، بعد أن عقروا بعيره.

أو المناوشات التي جرت بينهم وبينه، حيث قتلوا أحد المسلمين.

أو محاولتهم انتهاز فرصة غفلة المسلمين لأسر بعضهم أو قتله، فأسر المسلمون منهم خمسين رجلاً تارة، واثني عشر رجلاً أخرى.

أو إصرار قريش على منعهم من العمرة وزيارة بيت الله..

أو أن جميع هذه الحوادث قد انضم بعضه إلى بعض ليصبح سبباً للدعوة إلى البيعة.

هذا كله، إن لم يكن من أسباب هذه البيعة أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يلزم أناساً بها، بعد أن شعر أنهم يدبرون أمر خيانة خطيرة في الخفاء..

ثانياً: لماذا لم يبايع النبي «صلى الله عليه وآله» عن العشرة الذين أخذوا في مكة جميعاً كما بايع عن عثمان؟!

مع أنهم يقولون: إنهم قد دخلوا في أمان عثمان أيضاً حسبما تقدم..

محاولة فاشلة:

وقد حاول بعضهم حل هذا الإشكال بادعاء: أن بيعة النبي «صلى الله عليه وآله» عن عثمان إنما كانت بعد مجيء الخبر بسلامة عثمان، أو أنه «صلى الله عليه وآله» قد علم بعدم صحة شائعة قتله[1] فبايع عنه.

ويرد عليه: أنه إذا صح ذلك، فلا يبقى داع للدعوة إلى البيعة. كما أنها

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٧.

كلها مجرد احتمالات لا شاهد لها، ولا دليل يساعدها، بل هي محض تخرص ورجم بالغيب.

الرد على الشيعة:

قال الحلبي: «وبهذا يُرَدُّ على ما تمسك به بعض الشيعة في تفضيل علي كرم الله وجهه على عثمان (رض)، لأن علياً كان من جملة من بايع تحت الشجرة. وقد خوطبوا بقوله «صلى الله عليه وآله»: أنتم خير أهل الأرض، فإنه صريح في تفضيل أهل الشجرة على غيرهم.

وأيضاً علي حضر بدراً دون عثمان، وقد جاء مرفوعاً: لا يدخل النار من شهد بدراً والحديبية.

وحاصل الرد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بايع عن عثمان، مع الاعتذار عنه: بأنه في حاجة الله، وحاجة رسوله.

وخلف رسول الله «صلى الله عليه وآله» عثمان (رض) عن بدر لتمريض ابنته «صلى الله عليه وآله». وأسهم له، كما تقدم، فهو في حكم من حضرها.

على أنه سيأتي: أنه (رض) بايع تحت تلك الشجرة بعد مجيئه من مكة»[1].

ونقول:

إن هذا الكلام كله لايصح أيضاً، وذلك لما يلي:

١ ـ إن القول المنسوب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنتم خير

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٧.

أهل الأرض، مكذوب عليه، ولا يصح؛ لأن المنافقين كانوا من بينهم.

وهكذا يقال: بالنسبة لما رووه مرفوعاً: لا يدخل النار من شهد بدراً والحديبية..

٢ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يبايع عن عثمان حسبما تقدم؛ لأنهم يدَّعون: أن البيعة كانت لأجل ما أشيع من أن عثمان قد قتل..

٣ ـ إن الله سبحانه لا يحتاج إلى شيء، فلا يصح القول بأن عثمان كان في حاجة الله تعالى..

إلا أن يكون المقصود: أنه كان في حاجة يريدها الله منه بالإرادة التشريعية، أو ما يقرب من هذا المعنى.

٤ ـ حديث أن عثمان قد بايع النبي «صلى الله عليه وآله» بعد رجوعه من مكة تحت نفس الشجرة، التي كان المسلمون قد بايعوه «صلى الله عليه وآله» تحتها[1]. لا مجال للاطمينان إليه، فإن من البعيد أن يقصد النبي «صلى الله عليه وآله» تلك الشجرة بالذات لكي يجلس تحتها مرة أخرى، ثم يأتي عثمان ويبايعه.. ولا يوجد داع إلى ذلك..

وهذا أشبه بالتمثيل، وصناعة الأفلام..

ولو أن ذلك قد حصل لامتلأت الكتب في وصف الحادثة، ولكثر رواتها، والمتسابقون لبيان تفاصيلها وجزئياتها.. خصوصاً من محبي عثمان، ومن قومه من بني أمية..

٥ ـ بالنسبة لقوله: إن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي خلف عثمان

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٧ و ١٨.

على ابنته ليمرضها، نقول:

ألف: إن الروايات قد صرحت: بأنه لم يكن مهتماً بمرضها، وبأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حرمه من النزول في قبرها، لأنه كان قد واقع في نفس ليلة وفاتها[1] بصورة جعلته مستحقاً لهذا الحرمان.

وقد لاحظ ابن بطال هنا: أنه حين قال النبي «صلى الله عليه وآله»: أيكم لم يقارف الليلة أهله؟ سكت عثمان، ولم يقل: أنا، لأنه قارف ليلة ماتت بعض نسائه، ولم يشغله الهم بالمصيبة، وانقطاع صهره من النبي «صلى الله عليه وآله» عن المقارفة.

فتلطف النبي «صلى الله عليه وآله» في منعه من الدخول في قبر زوجته بغير تصريح[2].

وقد علق العلامة الأميني «رحمه الله» على هذه الواقعة بكلام جيد،

---

(١) راجع: صحيح البخاري ج١ ص١٥٢ و ١٤٦ ومستدرك الحاكم ج٤ ص٤٧ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) والإصابة ج٤ ص٣٠٤ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٤ ص٣٠١ ومشكل الآثار ج٣ ص٢٠٢ و ٢٠٤ والمعتصر من المختصر لمشكل الآثار ج١ ص١١٣ و ١١٤ وفتح الباري ج٣ ص١٢٧ ومسند أحمد ج٣ ص٢٧٠ و ٢٢٩ و ٢٢٨ و ١٢٦ والروض الأنف ج٣ ص١٢٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٥٣ وذخائر العقبى ص١٦٦ والمصنف للصنعاني ج٣ ص٤١٤ وعن تاريخ البخاري الأوسط والتاريخ الصغير للبخاري ج١ ص١٤٤ وكنز العمال ج١٥ ص٦٠٣.

(٢) راجع: الروض الأنف للسهيلي ج٣ ص١٢٧ و ١٢٨ وفتح الباري ج٣ ص١٢٧.

ذكر فيه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» الداعي للستر على المؤمنين، والداعي للإغضاء عن العيوب، والناهي عن التجسس عما يقع في الخلوات ـ كما نص عليه كتاب الله ـ قد خرج عن سجيته، وعرَّض بعثمان هذا التعريض الذي فضحه، فلو أن ما فعله عثمان كان حلالاً له، لم يقدم «صلى الله عليه وآله» على ذلك في حقه..

وهذا معناه: أن ما فعله، كان أمراً بالغ الخطورة..

ونقول:

ربما يكون هذا الأمر العظيم الذي عجز التاريخ عن الإفصاح عنه هو: ما أشارت إليه بعض الروايات.

فقد روي في الكافي: أن رقية لما قتلها عثمان، وقف النبي «صلى الله عليه وآله» على قبرها، فرفع رأسه إلى السماء، فدمعت عيناه. وقال للناس: إني ذكرت هذه وما لقيت، فرققت لها، واستوهبتها من ضمة القبر[1].

ولعل عائشة قد أشارت إلى ذلك أيضاً.

فقد روي: أن عثمان خطب فقال: ألست ختن النبي على ابنتيه؟!

فأجابته عائشة: بأنك كنت ختنه عليهما، ولكن كان منك فيهما ما قد علمت[2].

٦ ـ بالنسبة إلى إسهام النبي «صلى الله عليه وآله» لعثمان في بدر نقول:

---

(١) الكافي ج٣ ص٢٣٦ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤٣٩ والفصول المهمة ج١ ص٣٢٥ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٤٤ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٢٢٦ والبحار ج٢٢ ص١٦٣.

(٢) قاموس الرجال ج١٠ ص٤٤٠ عن تقريب أبي الصلاح، عن تاريخ الثقفي.

ألف: إسهامه «صلى الله عليه وآله» لرجل في بعض الغزوات لا يجعل ذلك الذي أعطاه «صلى الله عليه وآله» من سهامها بحكم من حضر تلك الغزوة، بل إن ذلك كما قد يكون لأجل إظهار فضله، قد يكون أيضاً تأليفاً له على الإسلام، وإنما يعرف هذا من ذاك من خلال القرائن والدلالات الأخرى..

ولأجل ذلك نلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أعطى غنائم بعض الغزوات للمؤلفة قلوبهم..

والحاصل:

أن القرائن تدل تارة: على أن الإسهام للشخص، وإعطاءه من الغنيمة تكريم، وإجلال، وإعلان بفضل أو بتفضيل من يسهم له، إذا كان ذلك الشخص يقوم بمهمات جلى في خدمة الدين، وفي الدفاع عنه..

وتدل تارة أخرى: على مجرد استحقاقه ذلك، من حيث إنه قد كان له نوع مشاركة في تلك الحرب.

وقد أعطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» طلحة وسعيد بن زيد من الغنائم في بدر؛ لأنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسلهما ليتجسسا له خبر العير، فرجعا إلى المدينة بعد خروجه «صلى الله عليه وآله» إلى بدر[1].

وكذلك كان الحال: بالنسبة لجعفر بن أبي طالب، حيث روي عن الإمام الباقر «عليه السلام» أنه قال: ضرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٢ ص١٤٧ و ١٨٥ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٦٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٧١.

يوم بدر لجعفر بن أبي طالب بسهمه وأجره[1].

وما ذلك إلا: لأن جعفراً صلوات الله وسلامه عليه قد هاجر إلى أرض الحبشة، نصرة لدين الله تعالى، وحفاظاً على المسلمين المستضعفين، وإلا، فقد كان بإمكانه أن لا يهاجر إلى تلك البلاد النائية، حيث الغربة عن الوطن والأهل، والأحبة، بين أناس يختلفون معه في اللغة، وفي العادات، وفي الدين، وفي كثير من الأمور الأخرى..

ب: لقد جاء في حديث مناشدة علي «عليه السلام» لأهل الشورى؛ وفيهم عثمان، وطلحة، والزبير، وغيرهم قوله: «أفيكم أحد كان له سهم في الحاضر، وسهم في الغائب؟

قالوا: لا»[2].

وهو «عليه السلام» لم يغب إلا عن غزوة تبوك.

وقد ذكر الزمخشري في مناقب العشرة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين قسم غنائم تبوك دفع لكل واحد منهم سهماً، ودفع لعلي «عليه السلام» سهمين. فاعترض عليه زائدة بن الأكوع، فأجابه النبي «صلى الله عليه وآله» بأن جبرائيل كان يقاتل في تبوك، وأنه هو الذي أمره أن يعطي

---

(١) سير أعلام النبلاء ج١ ص٢١٦ وشرح الأخبار ج٣ ص٢٠٥ وبغية الباحث ص٢١٥ وتهذيب الكمال ج٥ ص٥٢ والبداية والنهاية ج٣ ص٣٩٦.

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج٣ ص٩٣. وراجع: اللآلي المصنوعة ج١ ص٣٦٢ والضعفاء الكبير ج١ ص٢١١ و ٢١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤٣٥ والموضوعات ج١ ص٣٧٩ وكنز العمال ج٥ ص٧٢٥.

علياً «عليه السلام» سهمين[1].

وقد يقال: إن خطابه «عليه السلام» لأهل الشورى ناظر إلى هؤلاء الحاضرين في زمانه، وليس ناظراً إلى جعفر الذي كان قد استشهد في حياة النبي «صلى الله عليه وآله» ولا إلى أبي أمامة الذي لم يكن مع أولئك المخاطبين ولا نعرف تاريخ وفاته.

ج: إننا نشك في أن يكون قد تخلف عن بدر، لأجل تمريض بنت (ربيبة) رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد روي أيضاً: أن تخلفه كان لأجل أنه كان مريضاً بالجدري[2].

د: إنه لو فعل النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك لوجدنا كثيرين ممن تخلفوا عن بدر يعترضون ويطالبون بإعطائهم سهمهم أيضاً، كما أعطي عثمان.. وخصوصاً إذا كان بعضهم قد تخلف على مريض له.

بل إننا قد نجد الأصوات ترتفع حتى من الذين حضروا بدراً وقاتلوا، فإنهم سوف لا يرضون بإعطاء من لم يحضر، ولم يقاتل، إلا أن يعرفهم النبي «صلى الله عليه وآله» بوجود سبب معقول، ومقبول لهذا الإعطاء..

هـ: إن تخلف عثمان كان بنظر مشاهير الصحابة منقصة له، وكانوا يعيِّرونه بها، فلو كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد ضرب له بسهمه وأجره لم يكن هناك محل لهذا التعيير.

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٤٢ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٧٧ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج١ ص٧٨.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٢ ص١٨٥ و ١٤٦ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٢٢٤ والمغازي للواقدي ج١ ص١٣١.

فقد قال الوليد بن عقبة لعبد الرحمن بن عوف: ما لي أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان؟

فقال عبد الرحمن: أبلغه أني لم أفر يوم عينين ـ أي يوم أحد ـ ولم أتخلف يوم بدر، ولم أترك سنة عمر.

فخبر الوليد عثمان، فاعتذر عن تخلفه يوم بدر بتمريضه رقية[1].

وبمثل ذلك اعتذر ابن عمر لذلك الذي كان يعترض على عثمان بذلك[2].

ودخل رجل على سالم بن عبد الله، فطعن على عثمان بعين ما تقدم عن

---

(١) راجع: مسند أحمد ج١ ص٦٨ و ٧٥ والأوائل ج١ ص٣٠٥ و ٣٠٦ ومحاضرات الأدباء المجلد الثاني ص١٨٤ والدر المنثور ج٢ ص٨٩ عن أحمد، وابن المنذر، والبداية والنهاية ج٧ ص٢٠٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٢١ و ٢٢ والمغازي للواقدي ج١ ص٢٧٨ والغدير ج٩ ص٣٢٧ وج١٠ ص٧٢ عن أحمد، وابن كثير، وعن الرياض النضرة ج٢ ص٩٧ ومجمع الزوائد ج٧ ص٢٢٦ وج٩ ص٨٤ والمعجم الكبير ج١ ص٨٩ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٢٥٨ وتاريخ المدينة ج٣ ص١٠٣٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٢٢٤.

(٢) مستدرك الحاكم ج٣ ص٩٨ والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٦٢٩ ومسند أحمد ج٢ ص١٠١ والبداية والنهاية ج٧ ص٢٠٧ عن البخاري، والغدير ج١٠ ص٧١ و ٧٠ عن الحاكم، وأحمد، وعن صحيح البخاري ج٦ ص١٢٢ والبحار ج٣١ ص٢٠١ ومناقب أهل البيت ص٣٦٧ وعن فتح الباري ج٧ ص٤٨ وعون المعبود ج٧ ص٢٨٣ والجامع لأحكام القرآن ج١١ ص٢٥٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٢٦١ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٨٤.

عبد الرحمن بن عوف[1].

فلو أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان ضرب له بسهمه وأجره لم يكن معنى لتعيير كبار الصحابة له بذلك، وقد كان ابن عوف حاضراً في بدر، ولم يكن ما جرى فيها خافياً عليه.

كما أنه قد كان من المناسب: أن يعتذر هو بهذا الأمر، لا بتمريض رقية، فإنه أدحض لحجة المخالفين له..

و: إن ابن مسعود قد رد على سب عثمان له بقوله: «لست كذلك. ولكني صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم بدر، ويوم بيعة الرضوان»[2].

فقد أشار ابن مسعود إلى خصوص هذين الموضعين؛ لأن عثمان لم يحضرهما ـ أشار بذلك ـ ليرد بذلك عليه، لأنه كان قد تنقصه، ونال منه..

وذلك يدل: على أن عدم حضور عثمان لبيعة الرضوان يعد منقصة له، فلو أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد بايع عنه لكان ذلك من أعظم فضائله.

وهكذا يقال بالنسبة لتخلفه عن بدر حسبما أوضحناه..

الصحيح في القضية:

ولعل الصحيح في القضية هو: ما روي من أن أبا أمامة بن ثعلبة، كان

---

(١) فتح القدير ج١٠ ص٧٠ عن الرياض النضرة ج٢ ص٩٤.

(٢) أنساب الأشراف ج٥ ص٣٦ والغدير ج٩ ص٣ و ٤ عنه وعن الواقدي والمسترشد للطبري ص١٦٤ والبحار ج٣١ ص١٨٩ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج١ ص٣٧٧.

قد أجمع على الخروج إلى بدر، وكانت أمه مريضة، فأمره النبي «صلى الله عليه وآله» بالمقام على أمه، وضرب له بأجره وسهمه، فرجع «صلى الله عليه وآله» من بدر، وقد توفيت، فصلى على قبرها.

بل في بعض نصوص هذه الرواية: أن أبا أمامة تنازع مع أخي زوجته، أبي بردة بن نيار، حيث أراد منه أن يتخلف على أخته، وأراد منه أبو بردة أن يتخلف على زوجته فحسم النبي «صلى الله عليه وآله» الأمر، بأن أمر زوجها بالتخلف عليها[1].

وأما صلاة النبي «صلى الله عليه وآله» على قبرها، فلعله لأنها دفنت من غير أن يصلي عليها أحد، وكان في نبشها لأجل الصلاة عليها هتك لها..

وعلينا أن لا ننسى أن هذا الإصرار من أبي أمامة على الخروج للجهاد، والسعي إلى إقناع أخي زوجته بالبقاء عند أخته، ثم اتخاذ الرسول نفسه «صلى الله عليه وآله» قرار إبقائه، يجعل الإسهام له من غنائم بدر أمراً مقبولاً لدى الصحابة، ولا يبرر لهم أي اعتراض على ذلك..

سؤال وجوابه:

ويبقى هنا سؤال، وهو: إذا كان عثمان غير مستحق لأن يسهم له في بدر؛ لأنه ارتكب في حق رقية أمراً عظيماً، حتى استحق التشهير به من

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٢ ص١٤٧ والإصابة ج٤ ص٩ عن أبي أحمد الحاكم والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٤ ص٤ وأسد الغابة ج٥ ص١٣٩ و ٥٦٦ وج١ ص١٥٤ ومجمع الزوائد ج٣ ص٣٢ والآحاد والمثاني ج٤ ص٥٧ والمعجم الكبير ج١ ص٢٧٢ وكنز العمال ج١٦ ص٥٧٩.

رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحرمانه أمام كل الناس من الدخول إلى قبرها، وترجيحه «صلى الله عليه وآله» أن ينزل في قبرها رجل غريب، فلماذا لا يعاقبه على فعلته تلك؟!

ولماذا يزوجه النبي «صلى الله عليه وآله» أختها أم كلثوم؟!

ويجاب:

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يعاقب الناس على جرائمهم ما لم تتوفر وسائل إثبات ذلك، ولم يكن يحق له أن يستند في عقوبتهم إلى الغيب الذي يصل إليه بالطرق غير العادية، أو من خلال علم الشاهدية..

ومن الواضح: أن عثمان لم يعترف بها فعل، ولا شهد عليه به الشهود.. ولكنه أعطى الانطباع بصدور هذا الأمر منه..

ثانياً: إن هذا الإشكال مبني على أن رقية وأم كلثوم، هما بنتا رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خديجة.. وقد أثبتنا عدم صحة ذلك، وأنهما كانتا ربيبتيه «صلى الله عليه وآله».. فلم يكن «صلى الله عليه وآله» بالذي يتصدى لتزويج بنات الناس، إلا إذا ظهر: أنهن يردن منه ذلك، ويطلبن نصيحته ومشورته.

فلعل أم كلثوم هي التي أقدمت على هذا الأمر، ولم تطلب النصيحة منه «صلى الله عليه وآله». وليس ثمة ما يثبت: أنها كانت مطلعة على ما جرى لأختها مع عثمان..

دليل على موت الخضر:

قال الحلبي: «واستدل بقوله «صلى الله عليه وآله»: أنتم خير أهل

الأرض على عدم حياة الخضر «عليه الصلاة والسلام» حينئذٍ، لأنه يلزم أن يكون غير النبي أفضل منه. وقد قامت الأدلة الواضحة على ثبوت نبوته، كما قاله الحافظ ابن حجر»[١].

ونقول:

أولاً: بعد أن ثبت: أن المنافقين قد حضروا بيعة الرضوان، وبايعوا، وثبت أيضاً أن الحديث القائل: أنتم خير أهل الأرض لا تصح نسبته إلى النبي «صلى الله عليه وآله».. فلا يصح الاستدلال به على حياة الخضر، ولا على غير ذلك من أمور.

ثانياً: قولهم: إنه يلزم أن يكون غير النبي أفضل منه، فلا يصح تفضيل أهل الحديبية على الخضر، لا يصح.

إذ لا شك في أن بعض الأولياء والأئمة أفضل من بعض الأنبياء، فإن علياً «عليه السلام» كان أفضل من الأولين والآخرين، باستثناء نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله»..

والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة، ومنها قوله «صلى الله عليه وآله» للسيدة فاطمة الزهراء «عليها السلام»: لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ آدم فمن دونه[٢].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٧.

(٢) تهذيب الأحكام ج٧ ص٤٧٠ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٩ والجواهر السنية ص٢٥٢ والفصول المهمة ج١ ص٤٠٨ والبحار ج٤٣ ص٩٣ و ١٠٧ ومسند الإمام الرضا ص١٤١ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٢٢٥ واللمعة البيضاء ص٢١٢ و ٢٤٦ ومجمع النورين ص٢٧ و ٤٣.

حيث دل على أنه حتى أولو العزم من الأنبياء «عليهم السلام» ـ باستثناء نبينا «صلى الله عليه وآله» ـ لم يكونوا كفؤاً لها «عليها السلام»، وكان علي وحده الكفؤ، فهو إذن أرفع مقاماً من جميع الأنبياء.

بل ذلك يدل على أفضيلة الزهراء «عليها السلام» عليهم أيضاً، وذلك ظاهر..

هل أسلم ابن عمر قبل أبيه؟!

وفي البخاري وغيره، عن نافع: أن ابن عمر أسلم قبل أبيه، وليس كذلك. ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار، يأتي به ليقاتل عليه. ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يبايع عند الشجرة، وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله، ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر وهو يستلئم للقتال، فأخبره: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يبايع تحت الشجرة.

قال: فانطلق. فذهب معه حتى بايع الرسول «صلى الله عليه وآله»..

فهي التي يتحدث الناس: أن ابن عمر أسلم قبل عمر[1].

وفي البخاري أيضاً: عن نافع، عن ابن عمر: أن الناس كانوا مع النبي

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٩ وفي هامشه عن البخاري ج٧ ص٥٢١ (٤١٨٦) وفتح الباري ج٧ ص٣٥٠ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠١ والتعديل والتجريح للباجي ج٢ ص٨٥٢ وج٣ ص١٣١٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٧ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٨.

«صلى الله عليه وآله»، يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر، فإذا الناس محدقون بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فقال عمر: يا عبد الله، انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فذهب، فوجدهم يبايعون، فبايع، ثم رجع إلى عمر، فخرج، فبايع[1].

ونقول:

إن ذلك لا يصح، وذلك لما يلي:

١ ـ روى ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سلمة بن الأكوع: والبيهقي، عن عروة.. وابن إسحاق، عن الزهري.. ومحمد بن عمر عن شيوخه.. قال سلمة: بينا نحن قائلون إذا نادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أيها الناس، البيعة، البيعة الخ..[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٩ وفي هامشه عن البخاري ج٧ ص٥٢١ (٤١٨٧) ومسند أحمد ج٥ ص٣٢٤ وفتح الباري ج٧ ص٣٥٠ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠١ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٩.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٣٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٦ و ١٧ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٤٥٢ وكنز العمال ج١ ص٣٣٢ والميزان ج١٨ ص٢٩١ وجامع البيان ج٢٦ ص١١٢ وزاد المسير ج٧ ص١٦٧ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٥ وتفسير الجلالين ص٧١٣ والدر المنثور ج٦ ص٧٣ ولباب النقول ص١٧٧ وفتح القدير ج٥ ص٥٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٩.

وذكر الحلبي: أن المنادي هو عمر بن الخطاب[١].

٢ ـ لا ندري كيف أصبحت كلمة أسلم قبل عمر بمعنى: بايع قبل عمر، فإن ذلك من بدائع اللغة العربية؟!

٣ ـ إن التناقضات بين الروايتين المتقدمتين عن البخاري: ظاهرة، ولا حاجة إلى بيانها، مع أنها واردة في الكتب التي يدَّعون صحة جميع مروياتها.

٤ ـ إنه إذا كان هناك منادٍ قد نادى بالناس: البيعة البيعة، فكيف لم يعلم عمر بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يبايع حتى أخبره ولده عبد الله، أو حتى رأى الناس محدقين بالرسول «صلى الله عليه وآله» حسبما تقدم؟!

لا توقدوا ناراً بالليل:

عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم الحديبية، قال لنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا توقدوا ناراً بالليل».

فلما كان بعد ذلك قال: «أوقدوا، واصطنعوا، فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم، ولا مدكم»[٢].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥١ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٦ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص١٦٩ ومسند أحمد ج٣ ص٢٦ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٤٨١ و ج١٤ ص٤٤٣ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٤١ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٢٦٨ وكنز العمال ج١١ ص٥٢٨ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٤٥ وج٩ ص١٦١ ومسند أبي يعلى ج٢ ص٢٧٢ والفايق في غريب الحديث ج٢ ص٢٦٣ وطبقات المحدثين بإصبهان ج١ ص٣٩١.

وهذا التوجيه النبوي الشريف ظاهر المأخذ: فإن مرحلة ما بعد الحديبية، قد اختلفت كثيراً عن المرحلة التي سبقتها، فإنه لم يعد ثمة من حاجة إلى التخفي في أي مسير يقوم به الجيش الإسلامي في أي اتجاه.

بل أصبح إيقاد النيران للجيش الإسلامي يرعب العدو أكثر من أي شيء آخر..

ولم يعد هناك أي شيء من شأنه أن يفتح له باب التفكير بتسديد أي ضربة موجعة لذلك الجيش، لأنه يرى أنه لم يعد له حيلة فيه، وليس من مصلحته الاحتكاك به، بل المصلحة كل المصلحة تكمن في الابتعاد عنه، وإخلاء كل المحيط له.

وهذا هو أحد المظاهر التي تُجسِّدُ صدق قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن هذا الصلح: إنه أعظم الفتح.

وظهر بذلك أيضاً مصداق قوله تعالى في مناسبة هذا الصلح: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً**﴾[1].

عمر يقطع شجرة بيعة الرضوان:

إن هناك مفارقات ظاهرة بين آراء وتصرفات عمر بن الخطاب وبين ما هو ثابت عن النبي «صلى الله عليه وآله»، وعن الصحابة. بل هناك مفارقات بين تصرفات عمر بالذات.

فهو من جهة يتوسل إلى الله في الاستسقاء بالعباس عم رسول الله

---

(١) الآية ١ من سورة الفتح.

«صلى الله عليه وآله»[1]، ويقبِّل الحجر الأسود؛ لأنه رأى النبي «صلى الله عليه وآله» يقبِّله[2].

وهو يرى: أن الصحابة يتبركون بفضل وضوء الرسول «صلى الله عليه وآله» وبشعره، وعرقه، وببصاقه، وبكل شيء يرجع إليه.

ويشاهد بأم عينيه ما فعله «صلى الله عليه وآله» حين بصق وغرس السهم في البئر التي في الحديبية، بالإضافة إلى عشرات الموارد التي يشاهدها هو والمسلمون طيلة حياتهم معه «صلى الله عليه وآله» وعدة سنين بعدها فضلاً عن تبركهم بقبره الشريف وبغير ذلك[3].

ولكنه من جهة أخرى ـ على رغم ذلك كله ـ لا يطيق في أيام خلافته رؤية المسلمين يتعاهدون شجرة بيعة الرضوان، ويصلُّون عندها.

---

(١) الغدير ج٧ ص٣٠١ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٦١٨ وعن فتح الباري ج٢ ص٤١٢ وج٧ ص٦٢ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص٢٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص٣٥٩ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٤١٣ وج١٢ ص٨٧ ودفع الشبه عن الرسول للدمشقي ص١٣١.

(٢) المعجم الأوسط ج٥ ص١٩١ ورياض الصالحين للنووي ص١٣٩ ومسند أحمد ج١ ص٣٥ وسنن أبي داود ج١ ص٤١٩ وسنن النسائي ج٥ ص٢٢٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٧٤ وشرح مسلم للنووي ج٩ ص١٦ وصحيح ابن حبان ج٩ ص١٣١ ونصب الراية ج٣ ص١١٧ وكنز العمال ج٥ ص١٧٣ وشرح مسند أبي حنيفة ص١٩٩ عن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج٢ ص١٥ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص١٧٨.

(٣) إن ما جرى في الحديبية ما هو إلا غيض من فيض، فراجع كتاب: التبرك للشيخ علي الأحمدي «رحمه الله».

فقد روي عن نافع قال: بلغ عمر بن الخطاب: أن ناساً يأتون الشجرة التي بويع تحتها، فيصلون عندها، فتوعدهم. ثم أمر فقطعت[1].

والظاهر: أن موضعها بقي معلوماً، أو أن بقية منها كانت ظاهرة للناس فكانوا يقصدونها للصلاة عندها أيضاً، فحاول سعيد بن المسيب أن يشكك الناس في موضعها، تأييداً منه لما فعله عمر بن الخطاب.

فقد روي عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجاً، فمررت بقوم يصلُّون، فقلت: ما هذا؟!

قالوا: هذه الشجرة، حيث بايع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيعة الرضوان.

فأتيت سعيد بن المسيب، فأخبرته، فقال سعيد: حدثني أبي: أنه كان فيمن بايع رسول الله «صلى الله عليه وآله» تحت الشجرة، فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها، فلم نقدر عليها..

فقال سعيد: إن أصحاب محمد لم يعلموها، وعلمتموها أنتم؟ فأنتم أعلم؟![2].

ونقول نحن لسعيد: لعل أباك وبعض رفقائه نسوا ذلك المكان، فلم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٠ عن ابن أبي شيبة وابن سعد وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص١٠١ والدر المنثور ج٦ ص٧٣ وفتح القدير ج٥ ص٥٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٠ عن البخاري وابن مردويه. وفي هامشه عن البخاري ج٧ ص٥١٢ رقم (٤١٦٣) وعن فتح الباري ج٧ ص٣٤٤ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٥ والطبقات الكبرى ج٢ ص٩٩ وعن الإصابة ج٦ ص٩٦ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٧.

يقدروا عليه، وربما يكون نسيانهم هذا لأسباب مختلفة، ولكن هذا لا يعني أن يكون سائر الصحابة وعددهم ألف وأربع مائة أو أكثر قد نسوا كلهم ذلك المكان أيضاً.. إلا أن تكون هذه الأمة هي أغبى الأمم، وأشدها تغفيلاً!!

وفي حديث نافع الآخر: أنه خرج قوم من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك بأعوام، فما عرف أحد منهم الشجرة، واختلفوا فيها.

قال ابن عمر: كانت رحمة من الله..

وهذا الحديث: قد يكون هو نفس الحديث المتقدم عن طارق.. وسعيد بن المسيب (لكنه بدَّل كلمة: «من العام المقبل» بكلمة: «بعد ذلك بأعوام»).

وحتى لو كان حديثاً عن جماعة أخرى، فالجواب عنه هو الجواب المتقدم عن حديث طارق أيضاً، فإن نسيان جماعة للمكان لبعض الأسباب، لا يلازم نسيان غيرهم له أيضاً.. ولعلهم قد خرجوا بعد أن أمر عمر بن الخطاب بقطعها[1]، فقطعت ولم يعلموا بقطعها، فبحثوا عنها، فلم يجدوها..

واللافت: أن عمر بن الخطاب قد أجرى امتحاناً للصحابة، وذلك حين مر بذلك المكان بعد ذهاب الشجرة (أي بعد أن أمر بقطعها) فقال: أين كانت؟

فجعل بعضهم يقول: ههنا.

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٥.

وبعضهم يقول: هنا.

فلما كثر اختلافهم قال: سيروا، قد ذهبت الشجرة[1].

وأما قول ابن عمر: «كانت رحمة من الله».

فإن كان يقصد به: أن الشجرة كانت رحمة من الله، فهو صحيح، لأن عبادة الله تعالى عندها من موجبات رحمته سبحانه..

وأما إن كان يقصد: أن قطعها كان رحمة من الله، فهو لا يتلاءم مع تبرك الصحابة بآثار النبي ولا مع تبركه «صلى الله عليه وآله» بعلي «عليه السلام» وبالحجر الأسود، وبغير ذلك.

بل قد يقال: إن ذلك لا يتلاءم مع ما كان يفعل ابن عمر نفسه حيث رووا عنه: أنه كان يتتبع آثار رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والمواضع التي صلى فيها، فيصلي فيها.

بل يذكرون: أنه كان يتتبع مواطئ قدمه «صلى الله عليه وآله» أيضاً.

إلا أن يقال: إنه لم يرد عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قد صلى تحت تلك الشجرة، لكي يقتدي به ابن عمر ويصلي تحتها أيضاً..

وعلى كل حال: فقد عرفنا في ابن عمر تأثره الشديد لخطى أبيه، والالتزام بأوامره ونواهيه بصورة لافتة، ولعل هذا من ذاك.

مع أن اتباعه لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولصحابته في التبرك بآثاره، كان هو الأحرى به، والأولى..

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٢٠.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

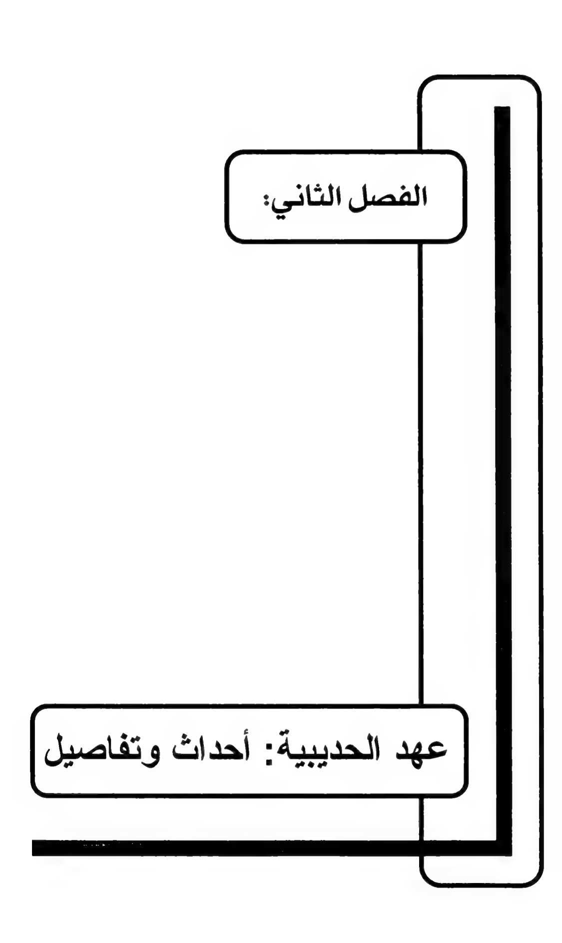
[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible]



الفصل الثاني:

عهد الحديبية: أحداث وتفاصيل

[illegible]

[illegible]

تقديم:

فإن هدنة الحديبية كانت فاتحة عهد جديد، له خصوصياته، وكانت له آثاره العميقة في التحولات الكبيرة والعامة، التي أكدت الحاجة إلى طاقات، وإمكانات، وكذلك إلى وسائل، ثم إلى سياسات ومواقف من نوع آخر غير ما كان الواقع يحتاجه في الظروف وفي الفترة التي سبقت الحديبية.

وإن سير الأحداث التي تلت هذا الصلح يظهر هذه الحقيقة. ويفرض على الباحث رؤية جديدة من شأنها أن توفر له فهماً أعمق، وأوضح لتلك الأحداث..

وقد يكون التوفر على هذا الأمر، والالتفات إلى ما يلزم الالتفات إليه يحتاج إلى تضافر جهود، وإلى إثارة أجواء من البحث، والمناظرة حول ذلك كله، وذلك من أجل إعطاء الرؤى كلها فرصتها لتتلاقى وتتكامل مع بعضها، ولربما ينالها المزيد من التقليم والتطعيم، وتصبح أكثر غنى باللفتات واللمحات، التي تجعل نتائج البحث أكثر عمقاً، وملاءمة للواقع، وأشد صفاءً ونقاءً..

ولكن ذلك وإن لم يكن متوفراً في مثل هذا الحال، فإن ما لا يدرك كله

لا يترك كله، أو جله.

فإن المهم هو: أن تبدأ مسيرة الألف ميل ولو بخطوة واحدة.

فها نحن نبدأ هذه المسيرة ولتكن هذه هي الخطوة الأولى، وعلى الله نتوكل ومنه نستمد العون والقوة، ونستنزل الصبر والتأييد والتسديد، إنه ولي قدير..

عهد الحديبية:

قال الصالحي الشامي: روى ابن إسحاق وأبو عبيد، وعبد الرزاق، والإمام أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير، وابن مردويه، ومحمد بن عمر، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، والشيخان، عن سهيل بن حنيف: أن عثمان لما قدم من مكة، هو ومن معه، رجع سهيل بن عمرو، وحويطب، ومكرز إلى قريش، فأخبروهم بما رأوا من سرعة أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» إلى البيعة، وتشميرهم إلى الحرب فاشتد رعبهم.

فقال أهل الرأي منهم: ليس خير من أن نصالح محمداً على أن ينصرف عنا عامه هذا، ولا يخلص إلى البيت، حتى يسمع من سمع بمسيره من العرب أنَّا قد صددناه، ويرجع قابلاً، فيقيم ثلاثاً، وينحر هديه، وينصرف. ويقيم ببلدنا، ولا يدخل علينا. فأجمعوا على ذلك..

فلما أجمعت قريش على الصلح والموادعة بعثوا سهيل بن عمرو، وحويطب ومكرزاً، وقالوا لسهيل: ائت محمداً فصالحه، وليكن في صلحك: ألا يدخل عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب أنه دخل علينا عنوة.

فأتى سهيل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما رآه «صلى الله عليه

وآله» قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا»[1].

وفي لفظ: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «سهل أمركم».

وجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» متربعاً، وكان عباد بن بشر، وسلمة بن أسلم بن حريش على رأسه ـ وهما مقنعان في الحديد ـ.

فبرك سهيل على ركبتيه، فكلم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأطال الكلام وتراجعا، وارتفعت الأصوات وانخفضت.

وقال عباد بن بشر لسهيل: اخفض من صوتك عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والمسلمون حول رسول الله «صلى الله عليه وآله» جلوس، فجرى بين النبي «صلى الله عليه وآله» وبين سهيل القول حتى وقع الصلح على:

١ ـ أن توضع الحرب بينهما عشر سنين.

٢ ـ أن يأمن الناس بعضهم بعضاً.

٣ ـ أن يرجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عامه هذا، فإذا كان العام المقبل قدمها، فخلُّوا بينه وبين مكة، فأقام فيها ثلاثاً.

٤ ـ ألا يدخلها إلا بسلاح الراكب، والسيوف في القرب، لا يدخلها بغيره.

٥ ـ أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ـ وإن كان على دين

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٢١ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٠ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٢ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٨١ وعن عيون الأثر ج٢ ص١١٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٢.

محمد ـ رده إلى وليه.

٦ ـ من أتى قريشاً ممن اتبع محمداً لم يردوه عليه.

٧ ـ وأن بينهم وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» عيبة مكفوفة.

٨ ـ أنه لا إسلال[1].

٩ ـ ولا إغلال[2].

١٠ ـ أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل.

وقد أضافت بعض المصادر إلى المواد العشر المتقدمة ما يلي:

١١ ـ أنه من قدم مكة من أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» حاجاً، أو معتمراً، أو يبتغي من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله..

ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر، وإلى الشام، يبتغي من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله[3].

١٢ ـ أن يخلوا له مكة من قابل ثلاثة أيام، وتخرج قريش كلها من مكة،

---

(١) الإسلال: السرقة، المعجم الوسيط ج١ ص٤٤٨.

(٢) الإغلال: الخيانة.

(٣) راجع: كنز العمال ج١٠ ص٣٠٦ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٨١ وتفسير النيسابوري (مطبوع مع جامع البيان) ج٢٦ ص٤٩ ومجمع البيان ج٩ ص١١٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج١٤ ص٤٤١ وعن مدينة البلاغة ج٢ ص٢٨١ ومجموعة الوثائق السياسية ص٨٢ و ٨٣ عن ابن جرير، وأنساب الأشراف، وابن زنجويه، ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٧ عنهم، والبحار ج٢٠ ص٣٣٤ وميزان الحكمة ج٣ ص٢٢٤٦ وجامع البيان ج٢٦ ص١٢٥.

إلا رجل واحد منها، يخلفونه مع محمد «صلى الله عليه وآله» وأصحابه[١].

١٣ ـ وأن لا يخرج من أهلها بأحد، إن أراد أن يتبعه.

١٤ ـ وأن لا يمنع أحداً من أصحابه، إن أراد أن يقيم بها[٢].

١٥ ـ وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة، لايكره أحد على دينه، ولا يؤذى، ولا يعير[٣].

وجاء في آخر العهد: «شهد أبو بكر بن أبي قحافة و.. و.. وكتب علي

---

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٤٥ والبحار ج٢٠ ص٣٦٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج١٤ ص٤٣٦ والتنبيه والإشراف ص٢٢١ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٨ عنهم وعن آخرين، ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٥ وإعلام الورى ج١ ص٢٠٥.

(٢) مكاتيب الرسول ج٣ ص٧٨ عن صحيح البخاري ج٢ ص٢٤٢ وصحيح مسلم ج٣ ص١٤١٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج١٤ ص٤٣٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٣٤ والبحار ج٢٠ ص٣٧٢ وج٣٨ ص٣٢٨ والأموال ص٢٣٣ و ٤٤٣ وكنز العمال ج١٠ ص٣١٦ والعمدة ص٢٠١ و ٣٢٥ ومسند أحمد ج٤ ص٢٩٨ وسنن الدارمي ج٢ ص٢٣٨ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٨٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٥ ومجمع الزوائد ج٢ ص٧٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٦٨ وخصائص أمير المؤمنين ص١٥١ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢٢٩ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٤٢.

(٣) البحار ج٢٠ ص٣٥٢ و ٣٦٢ عن تفسير القمي ج٢ ص٣١٣ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٧ و ٩٠ ونور الثقلين ج٥ ص٥٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٩.

بن أبي طالب»[1].

فتواثبت خزاعة، فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم.

فكره المسلمون هذه الشروط، وامتعضوا منها، وأبى سهيل إلا ذلك، فلما اصطلحوا، ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، ألست نبي الله حقاً؟

قال: بلى.

قال: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟

قال: بلى.

قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟

قال: بلى.

قال: علام نعطي الدنية في ديننا؟ ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إني عبد الله، ورسوله، ولست أعصيه، ولن يضيعني، وهو ناصري».

قال: أوليس أنت تحدثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف حقاً؟

قال: بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟

قال: لا.

قال: «فإنك آتيه ومطوف به».

فذهب عمر إلى أبي بكر متغيظاً ولم يصبر، فقال: يا أبا بكر: أليس هذا

---

(١) راجع: أنساب الأشراف ج١ ص٣٥٠.

نبي الله حقاً؟

قال: بلى.

قال: ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟

قال: بلى.

قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم؟

قال: أيها الرجل، إنه رسول الله، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق.

وفي لفظ: فإنه رسول الله.

فقال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله.

قال: أوليس كان يحدثنا: أنه سنأتي البيت ونطوف به؟

قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟

قال: لا.

قال: فإنك آتيه ومطوِّف به.

فلقي عمر من هذه الشروط أمراً عظيماً»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٣ عن: البخاري ج٤ ص٢٦ و ١٢٥، وعن مسلم ج٣ ص١٤١٢ (٩٤/ ١٧٨٥) وراجع: الطبراني في الكبير ج٦ ص١٠٩ وفي (ط أخرى) ج٢٠ ص١٤ وابن سعد ج١ ق١ ص٢٠ وانظر المجمع ج٣ ص٣١٢ ج٥ ص٦٧. وراجع: نيل الأوطار ج٨ ص١٨٧ وعين العبرة ص٢٢ ومناقب أهل البيت ص٣٣٦ والنص والإجتهاد ص١٧٣ والغدير ج٧ ص١٨٥ والسنن الكبرى ج٩ ص٢٢٠ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٣ والدر المنثور ج٦ ص٧٧ =

وقال كما في الصحيح: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذٍ، وجعل يرد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكلام.

فقال أبو عبيدة بن الجراح: ألا تسمع يا بن الخطاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول ما يقول، تعوذ بالله من الشيطان، واتهم رأيك.

قال عمر: فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان حياءً، فما أصابني شيء قط مثل ذلك اليوم، وعملت بذلك أعمالاً ـ أي صالحة ـ لتكفر عني ما مضى من التوقف في امتثال الأمر ابتداءً، كما عند ابن إسحاق، وابن عمر الأسلمي.

قال عمر: فما زلت أتصدق، وأصوم، وأصلي، وأعتق من الذي صنعت يومئذٍ، مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً.

وروى البزار عن عمر بن الخطاب، قال: اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أردُّ أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» برأيي، وما ألوت على الحق.

قال: فرضي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأبيت، حتى قال: «يا عمر تراني رضيت وتأبى»؟![1].

= وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٢٩ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٠٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٤ والبحار ج٣٠ ص٣٣٩ والمصنف لعبد الرزاق ج٥ ص٣٣٩ وإرواء الغليل ج١ ص٥٨ وج٨ ص١٩٦ ومسند أحمد ج٤ ص٣٣٠.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٣ عن الدولابي في الكنى ج٢ ص٦٩. وراجع: فتح الباري ج٥ ص٢٥٤ وج١٣ ص٢٤٥ والمعجم الكبير ج١ ص٧٨ وفي (ط أخرى) ص٧٢ ومجمع الزوائد ج١ ص١٧٩ وج٦ ص١٤٦ والأحكام لابن حزم ج٦ ص٧٨٢ وكنز العمال ج١ ص٣٧٢.

فقال سهيل: هات، اكتب بيننا وبينك كتاباً، فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً ـ كما في حديث البراء عند البخاري في كتاب الصلح وكتاب الجزية، ورواه إسحاق بن راهويه من حديث المسور ومروان، وأحمد، والنسائي، والبيهقي والحاكم ـ وصححه عن عبد الله بن مغفل.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اكتب: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾».

فقال سهيل: أما الرحمن الرحيم فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب. اكتب في قضيتنا ما نعرف.

فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «اكتب: باسمك اللهم»

ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، اكتب في قضيتنا ما نعرف، اكتب محمد بن عبد الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعلي: امحه، فقال علي «عليه السلام»: ما أنا بالذي «أمحاه»، وفي لفظ «أمحاك».

وفي حديث محمد بن كعب القرظي: فجعل علي يتلكأ، وأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اكتب، فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد[1] انتهى.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ وفي هامشه: عن البخاري ج٥ ص٣٥٧ (٢٦٩٩) وأحمد ج٤ ص٣٢٨ و ٨٦ وج٥ ص٢٣ و ٣٣ والبيهقي ج٩ ص٢٢٠ و٢٢٧ =

وذكر محمد بن عمر: أن أسيد بن الحضير، وسعد بن عبادة أخذا بيد علي ومنعاه أن يكتب إلا: «محمد رسول الله»، وإلا فالسيف بيننا وبينهم.

فارتفعت الأصوات، فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخفضهم، ويومئ بيده إليهم: اسكتوا.

فقال: أرنيه، فأراه إياه، فمحاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيده، وقال: اكتب محمد بن عبد الله.

قال الزهري: وذلك لقوله «صلى الله عليه وآله»: لا يسألوني خطة يعظمون بها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لسهيل: على أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف.

فقال سهيل: لا والله، لا تحدث العرب أنّا أخذنا ضغطة، ولكن لك من العام المقبل، فكتب.

= وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٢٠) والطبري في التفسير ج ٢٦ ص٥٩ و ٦٣ وابن كثير في التفسير ج٧ ص٣٢٤ وانظر المجمع ج٦ ص١٤٥و ١٤٦. وراجع: ميزان الحكمة ج٤ ص٣١٩٦ ومجمع البيان ج٩ ص١٩٩ والميزان ج١٨ ص٢٦٩ والمناقب للخوارزمي ص١٩٣والبحار ج٢٠ ص٣٣٥ وج٣٢ ص٥٤٢ وج٣٣ ص٣١٤ ووقعة صفين ص٥٠٩ والمسترشد ص٣٩١ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٢٣٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٨ وينابيع المودة ج٢ ص١٨ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٦٦ والأنوار العلوية ص٢٤٩ وعن الإحتجاج ج١ ص٢٧٧ وتفسير القمي ج٢ ص٣١٣ ونور الثقلين ج٥ ص٥٣.

فقال سهيل: على أنه لا يأتيك منا أحد بغير إذن وليه ـ وإن كان على دينك إلا رددته إلينا.

فقال المسلمون: سبحان الله، أيكتب هذا؟ كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاء منهم إلينا سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً» [1].

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات للتوضيح، أو للتصحيح، وهي التالية:

الاصطفاف للقتال، واللواء مع علي عليه السلام:

قال الشيخ المفيد «رحمه الله»: «..ثم تلا بني المصطلق الحديبية، وكان اللواء يومئذٍ إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، كما كان في المشاهد كلها. وكان من بلائه في ذلك اليوم عند صف القوم في الحرب للقتال، ما ظهر خبره، واستفاض ذكره. وذلك بعد البيعة التي أخذها النبي «صلى الله عليه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ وفي هامشه قال: انظر التخريج السابق وأخرجه أبو داود في الجهاد باب (١٦٧) وأحمد ج٤ ص٣٢٩ و ٣٣٠ والسيوطي في الدر المنثور ج٦ ص٧٦. وراجع النصوص المتقدمة في: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥١ ـ ٥٤ وصحيح مسلم ج٥ ص١٧٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥١٠ وكنز العمال ج١٠ ص٤٨٠ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٧٧.

وآله» على أصحابه، والعهود عليهم في الصبر»[1].

ونقول:

إن كتب التاريخ التي بين أيدينا قد عجزت عن الجهر بما فعله علي «عليه السلام» حين صف القوم في الحرب للقتال.. مع أن ذلك كان قد ظهر خبره، واستفاض ذكره..

فهل كان أسر الخمسين على يد علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وليس على يد محمد بن مسلمة؟

وهل كان أسر الاثني عشر الآخرين على يد علي «عليه السلام» دون سواه، وكان ذلك في ساحة الحرب، حيث رفعت فيها الألوية، واصطف فيها الناس للقتال، وكان اللواء مع علي «عليه السلام» كما هو في سائر المشاهد، ثم أخفى ذلك الحاقدون، وقللوا من شأنه، وجعلوه مجرد مناوشات يسيرة لا أهمية لها.. مع أنها هي التي أرعبت قريشاً، وأرغمتها على الصلح، ولما «رأى سهيل بن عمرو توجه الأمر عليهم، ضرع إلى النبي «عليه السلام» في الصلح، ونزل عليه الوحي بالإجابة إلى ذلك..» حسبما رواه الشيخ المفيد «رحمه الله»[2].

قريش في مأزق:

لقد وجدت قريش نفسها أمام خيارات صعبة، لا تستطيع أن تتجرع مرارة أي واحد منها، والخيارات هي التالية:

---

(١) الإرشاد ج١ ص١١٩ والمستجاد في الإرشاد ص٧٣ والبحار ج٢٠ ص٣٥٨.

(٢) الإرشاد للمفيد ج١ ص١١٩.

١ ـ أن تمنع المسلمين من دخول مكة، حتى لو أدى ذلك إلى حرب شعواء. وهذا خيار صعب، من نواح عديدة..

إحداها: أنها تخشى أن تدور الدوائر في هذه الحرب عليها.

الثانية: أن العرب يرون: أن مكة والبيت ليس ملكاً لقريش، وإنما هي تقوم بمهمة سدانته، وتسهيل أمر زيارته.. وليس لها أن تمنع أحداً جاء للحج أو العمرة وزيارة البيت من الوصول إليه..

فإن فعلت ذلك، فسوف تواجه النقد الشديد، والرفض الأكيد حتى من حلفائها، وربما تنتهي الأمور إلى حدوث انقسامات خطيرة فيما بينها وقد حصل ذلك بالفعل، كما أظهرته الوقائع..

٢ ـ أن تسمح قريش للمسلمين بدخول مكة.. وفي هذا ما فيه أيضاً: من كسر لهيبتها.

ومن اعتراف بحق المسلمين بهذا الأمر، بعد أن كانت تصورهم للناس على أنهم جناة، وعتاة، وقطاع طرق، ومفسدون في الأرض..

ومن أنها لا تأمن من حدوث مفاجآت تجعل الأمور أكثر تعقيداً، كما لو حصل اعتداء من قبل سفهائها على بعض الوافدين، ثأراً لآبائهم وإخوانهم الذين قتلوا في بدر، وأحد، والخندق.. وربما تتطور الأمور إلى ما هو أعظم وأدهى.

٣ ـ أن ترجعه «صلى الله عليه وآله» في هذا العام، وترضى بأن تبذل له من الشروط ما يرضيه، ولكن هذا الاحتمال الأخير يجعل المبادرة بيد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو عارف بما يريد، ويعرف سبل الوصول إليه، والحصول عليه، وهكذا كان..

رعب قريش وضراعتها الصلح:

وقد صرحت النصوص: أنه قد زاد من رعب قريش ما رأته من سرعة أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» إلى البيعة، وتشميرهم إلى الحرب[1].

ونستطيع أن نقول: إن قريشاً كانت بين نارين:

فهي من جهة ترى: أن دخول النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مكة على هذا النحو، سيكون بالنسبة لها ذلاً شاملاً، وضعفاً بارزاً، بين العرب.

وترى من جهة أخرى: أنها لا قدرة لها على الحرب، لأسباب مختلفة، فهي:

١ ـ تعاني من ضائقة اقتصادية شديدة، والحرب تحتاج إلى نفقات، وتضيِّع عليها استثمار موسم الحج في ذلك العام، وكان هذا الموسم على الأبواب.

٢ ـ إن الناس قد ملوا الحرب وملتهم، وقتل كثير من رجالهم. ونشأت من ذلك اختلالات في العلاقات الاجتماعية، ومشكلات أسرية وقبلية. ونحو ذلك..

٣ ـ قد تقدم: أن سيد الأحابيش قد خالفهم في هذا الأمر، وتهددهم، وفارقهم وكذلك الحال بالنسبة لعمرو بن مسعود، ومن معه من ثقيف.

٤ ـ إن خزاعة أيضاً كانت عيبة نصح لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، مسلمهم وكافرهم. وهي تعيش في مكة مع قريش..

٥ ـ إن الإسلام قد فشا فيما بين قبائل قريش، وأصبحت كل قبيلة تحتفظ بطائفة من أبنائها في القيود والسلاسل والسجون..

٦ ـ إن المعركة لن تكون من الناحية العسكرية في صالح قريش، وهي

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥١ و ٥٢.

معركة رأوا: أنها ستكون في غاية الحدة والشراسة، وأنها تحمل معها المزيد من الخسائر في الأموال والأنفس. ومما يزيد في تضاؤل فرص النجاح لقريش ما رآه مبعوثهم من انقياد وخضوع، وتفان ظاهر للمسلمين في خدمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإطاعة أوامره.

٧ ـ وقد أكدت بيعة الرضوان لقريش: أن الأمور في غير صالحها، فإن الالتزامات والعقود، تمنع من أي تعلل، أو تراجع.

فكيف إذا كانت بيعة على الموت والفناء، حتى يتحقق لهم ما جاؤوا له.

وبذلك يتضح: أنه لابد لقريش من عقد الصلح.. فهو المخرج الوحيد لها من هذه الورطة..

فبعثوا سهيل بن عمرو إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقالوا له: ائت محمداً، فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا.

فأتاه سهيل بن عمرو. فلما رآه رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقبلاً، قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل.

فلما انتهى سهيل إليه تكلم، وأطال، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح.

بل إن الشيخ المفيد «رحمه الله» يقول:

«ولما رأى سهيل بن عمرو توجُّه الأمر عليهم ضرع إلى النبي «عليه السلام» في الصلح، ونزل عليه الوحي بالإجابة إلى ذلك. وأن يجعل أمير المؤمنين «عليه السلام» كاتبه يومئذٍ، والمتولي لعقد الصلح بخطه..»[1].

---

(١) الإرشاد للمفيد ج١ ص١١٩ والبحار ج٢٠ ص٣٥٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٧.

معرفة النبي ﷺ بعدوّه:

إن قول النبي «صلى الله عليه وآله» حين رأى سهيل بن عمرو: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا» يدل على: معرفة الرسول «صلى الله عليه وآله» بطبائع عدوه، وميزاته، ومواقعه، وبكيفيات تصرفات ذلك العدو، حتى إنه ليعرف نواياه بمجرد رؤية مبعوثيه، قبل أن يكلمهم، ويستخبرهم عما جاؤوا من أجله.

جلوس النبي ﷺ وجلوس سهيل:

كما أن من الواضح: أن جلوس الرجل متربعاً يشير إلى الاسترسال والهدوء، وراحة البال، ويرى أن الأمور تسير بشكل طبيعي وعادي..

أما حين يبرك على ركبتيه، فإنه يكون في حالة تختزن معها الاستعداد للجدال والمماحكة، والسعي لحسم أمر يهمه، فيحتاج إلى جمع أطرافه إلى نفسه، وإظهار التماسك، والتصميم، والجدية في عمله من أجل إنجازه.

ولأجل ذلك نلاحظ: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد جلس متربعاً، وأما سهيل بن عمرو فبرك على ركبتيه.

اختلاف نصوص العهد:

إن نصوص العهد قد اختلفت في كثير من ألفاظها، كالاختلاف في قوله: هذا ما صالح عليه محمد.. أو هذا ما قاضى عليه محمد.

اصطلحا.. أو اصطلحوا.

هل وضعت الحرب عشر سنين كما تقدم[1]، أو ثلاث سنين[2]، أو أربع أو سنتان[3] هناك أقوال في ذلك؟!

ولعل تلك الاختلافات قد نشأت عن سوء حفظ الناقل، أو لأن بعضهم أراد النقل بالمعنى، أو لغير ذلك من أسباب..

كما أن هناك بعض المواد قد ذكر بعض الناقلين، دون البعض الآخر..

مصادر العهد:

وقد ذكر العلامة الشيخ علي الأحمدي «رحمه الله» طائفة من المصادر، يمكن الرجوع إليها للاطلاع على نصوص عهد الحديبية.. فلاحظ الهامش[4].

---

(١) راجع: أنساب الأشراف ج١ص٣٥٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٨٢ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٦٤ والعمدة ص١٦٣ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٥ وعن سنن أبي داود ج١ ص٦٣٠ ونصب الراية ج٤ ص٢٣٨ وخصائص الوحي المبين ص١٦٠ وزاد المسير ج٣ ص٢٧٣ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١١ والطبقات الكبرى ج٢ ص٩٧ والثقات ج١ ص٣٠١ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٧٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص٢٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٩١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص٥٤ وفتح الباري ج٥ ص٢٥١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٧٦.

(٣) راجع: مكاتيب الرسول للأحمدي ج٣ ص٨٩ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٥١ ونصب الراية ج٤ ص٢٣٩ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٢٨.

(٤) مكاتيب الرسول ج٣ ص٧٩ و ٨٠ عن المصادر التالية: تفسير علي بن إبراهيم ج٢ ص٣٣٦ وإعلام الورى للطبرسي ص٦١ وسيرة ابن هشام ج٣ ص٣٦٦=

= وفي (ط أخرى) ص٣٣١ والأموال لأبي عبيد ص٢٣٣ و ٤٤٣ والطبقات الكبرى ج٢ ص٩٧ وفي (ط قديم) ج٢ ق١ ص٧٠ وكنز العمال ج١٠ ص٣٠٣ و ٣٠٦ و ٣١٢ و ٣١٦ والطبري ج٢ ص٦٣٤ والكامل ج٢ ص٢٠٤ والأموال لابن زنجويه ج١ ص٣٩٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٣ ودحلان بهامش الحلبية ج٢ ص٢١٢ وما بعدها، والدر المنثور ج٦ ص٧٧ و ٧٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦١٠ و ٦١١ والخراج لأبي يوسف ص٢٢٨ ورسالات نبوية ص١٧٧ ـ ١٨٠ والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٢٠٣ وأنساب الأشراف (تحقيق محمد حميد الله) ص٣٤٩.

وراجع: مدينة البلاغة ج٢ ص٢٨١ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٥ و ٣٣٠ والبخاري ج٣ ص٢٤٢ و ٢٥٥ وابن أبي شيبة ج١٤ ص٢٣٣ والبحار ج٢٠ ص٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٥٢ و ٣٦٢ و ٣٦٨ ونيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص٣٤ ـ ٣٦ وتفسير الطبري ج٢٦ ص٦١ و ٦٣ والنيسابوري بهامش الطبري ج٢٦ ص٤٩ ونور الثقلين ج٥ ص٥٢ ومجمع البيان ج٩ ص١١٨ والبداية والنهاية ج٤ص١٦٨ و ١٧٥ وأبو الفتوح ج٥ ص١٠٤ والبرهان ج٤ ص١٩٣ والمصنف لعبد الرزاق ج٥ ص٣٣٧ و ٣٣٨ والكافي ج٨ ص٣٢٦ ومرآة العقول ج٢٦ ص٤٤٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٩ ونشأة الدولة الإسلامية ص٢٩٦ عن جمع، وزاد المعاد لابن القيم ج٢ ص١٢٥ والتاج ج٤ ص٣٩٩ وسيرة النبي «صلى الله عليه وآله» لإسحاق بن محمد الهمداني قاضي أبرقوه ص٤١١.

وراجع: المنتظم ج٣ ص٢٦٩ ومجموعة الوثائق السياسية: ١١/٧٧ عن جمع ممن قدمناه (وعن سيرة ابن إسحاق ترجمتها الفارسية والجاحظ في الرسالة العثمانية ص٧٠ وإعجاز القرآن للباقلاني (ط مصر سنة ١٣١٥هـ) ص٦٤ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١ ص٢٩٧ والوفاء لابن الجوزي ص٦٩٨ وسيرة =

= الطبري رواية البكري فصل الحديبية مخطوطة آياصوفيا.
ثم قال: قابل شرح السيد الكبير للسرخسي ج٤ ص٦١ والمبسوط للسرخسي ص٣٠ و ١٦٩ وإرشاد الساري للقسطلاني ج٨ ص١٥٨ وكتاب الشروط للطحاوي ج١ ص٤ و ٥ وانظر كايتاني ج٦ ص٣٤ واشپرنكر ج٣ ص٢٤٦). وأشار إلى الكتاب كل مؤرخ ومحدث ذكر القصة، فلا نطيل بذكرها وراجع: المعيار والموازنة ص٢٠٠ والمفصل ج٨ ص٩٨ و ٩٩ و ١٣٥ وحياة الصحابة ج١ ص١٣١ والإرشاد للمفيد ص٥٤ و ٥٥.
وراجع: المناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٧٣ و ٢٠٣ و ج٢ ص٢٤ وج٣ ص١٨٤ وثقات ابن حبان ج١ ص٣٠٠ وسنن الدارمي ج٢ ص٢٣٧ ومسند أحمد ج١ ص٣٤٢ وج٣ ص٢٦٨ وج٤ ص٨٦ و ٣٢٥ والبخاري ج٣ ص٢٤١ و ٢٤٦ و ج٤ ص١٢٦ وج٥ ص١٨٠ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج٧ ص١٣٤ ومسلم ج٣ ص١٤٠٩ ـ ١٤١١ واليعقوبي ج٢ ص٤٥ و ١٧٩ وكنز العمال ج١٠ ص٣٠٧ و ٣١٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٧٩ و ١٨٠ وج٩ ص٢٢٦ وابن أبي شيبة ج١٤ ص٤٣٥ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٩ وصبح الأعشى ج٦ ص٣٥٨ و ٣٥٩.
وراجع: القرطبي ج١٦ ص٢٧٥ وابن أبي الحديد ج١٠ ص٢٥٨ وج١٢ ص٥٩ و ج١٧ ص٢٥٧ والبحار ج١٨ ص٦٢ وج٢٠ ص٣٣٥ و ٣٥٧ و ٣٢٧ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٤٥ و ١٣٦ وكشف الغمة ج١ ص٢١٠ وفتوح البلدان ص٤٩ وأدب الإملاء والإستملاء ص١٢ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٤٦١ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٠٥ و ١٤٥ والأخبار الطوال ص١٩٤ وتأريخ دمشق (من فضائل أمير المؤمنين «عليه السلام») ج٣ ص١٥١ ـ ١٥٧ والعمدة لابن بطريق ص٣٢٥ و ٣٢٦ والطبقات ج٢ ق١ ص٧٤.
انتهى كلام العلامة الأحمدي رحمه الله تعالى..

كلمات تحتاج إلى توضيح:

ونوضح بعض الكلمات الواردة في هذا العهد على النحو التالي:

لا إسلال: الإسلال ـ كما قيل ـ هو السرقة الخفية..

وقيل: هو الإغارة الظاهرة.

وقيل: هو سل السيوف.

قال البلاذري: الإسلال هو: دس السلاح وسله سراً، والإغلال: الانطواء على غل[1].

ولعل المراد: أخذ العهد بأن لا يعين أحد المتعاقدين على الآخر، أو نفي الإغارة، أو نفي سل السيوف أو كل هذه المعاني مجتمعة..

ويفيد هذا الشرط في: تحقيق الأمن على الأموال في تلك المدة، والأمن من التخويف بالسلاح للأفراد من كلا الجانبين.

لا إغلال: أي لا خيانة خفية، أو لا تلبس الدروع.

ولعل المراد من ذلك الشرط: تحقيق حالة الأمن من الكيد والتآمر في الخفاء.

العيبة المكفوفة: أن يكف ما يحمله الإنسان في باطنه من حقد أو غل أو عداوة، فلا يظهر ذلك و لا يعلن به.

القراب: هو شبه الجراب يطرح فيه الراكب سيفه بغمده، وسوطه، وقد يطرح فيه زاده، من تمر وغيره..

ويقال له: (جلبان) أيضاً.

---

(١) راجع: أنساب الأشراف للبلاذري ج١ ص٣٥١.

من هو كاتب العهد؟:

ذكر القمي نص العهد، وجاء في آخره عبارة: «وكتب علي بن أبي طالب»[1].

ولكنه أتبعها بقوله: «وعهد على الكتاب المهاجرون والأنصار» فيحتمل أن يكون ذلك من إنشاء الراوي، ويحتمل أن تكون هذه العبارة قد وردت في نص الكتاب فعلاً..

هذا، وذكرت بعض المصادر: أن قريشاً أبت إلا أن يكتب علي «عليه السلام» أو عثمان[2].

وتكاد تجمع المصادر على ذلك[3].

---

(١) راجع: تفسير القمي ج٢ ص٣١٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٦٩ والبحار ج٢٠ ص٣٥٢ وتفسير الصافي ج٥ ص٣٦ ونور الثقلين ج٥ ص٥٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٩ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٨.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٦١٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٣ والسيرة النبوية لدحلان.

(٣) مكاتيب الرسول ج٣ ص٥٨ عن المصادر التالية:

الدر المنثور ج٦ ص٧٨ والحلبية ج٣ ص٢٣ و ٢٥ ودحلان بهامش الحلبية ج٢ ص٢١٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦١٠ والمناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص٢٤ وج١ ص٧٣ و ٢٠٣ والمصنف لعبد الرزاق ج٥ ص٣٤٣ والإرشاد للمفيد ص٥٤ وأنساب الأشراف (تحقيق محمد حميد الله) ص٣٤٩ ومسند أحمد ج١ ص٣٤٢ وج٣ ص٢٦٨ وج٤ ص٨٦ و ٣٢٥ والبخاري ج٣ ص٢٤١ و ٢٤٢ وج٤ ص١٢٦ و ج٥ ص١٧٩ ومسلم ج٣ ص١٤٠٩ ـ ١٤١١ واليعقوبي ج٢ ص٤٥ والسنن =

ولكن البعض قد زعم: أن الكاتب هو محمد بن مسلمة[1].

وقد صرح ابن حجر: بأن هذا من الأوهام، ثم إنهم جمعوا بين القولين: بأن الكاتب هو علي «عليه السلام»، لكن محمد بن مسلمة نسخ من الكتاب نسخة أخرى أعطيت لسهيل بن عمرو[2].

ويمكن تأييد ذلك: بما رواه عمر بن شبة، عن عمرو بن سهيل بن عمرو، عن أبيه: الكتاب عندنا كاتبه محمد بن مسلمة.

قال العسقلاني: ويجمع: بأن أصل كتاب الصلح بخط علي ـ كما هو في

= الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٧٩ وج٩ ص٢٢٦ و ٢٢٧ وابن أبي شيبة ج١٤ ص٤٣٥ و ٤٣٩ والبحار ج١٨ ص٦٢ وج٢٠ ص٣٢٧ و ٣٣٣ و ٣٣٥ و ٣٥١ ـ ٣٥٣ و ٣٥٧ و ٣٦٢ ونيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص٤٥ وتفسير الطبري ج٢٦ ص٦١ وتفسير النيسابوري بهامش الطبري ج٢٦ ص٤٩.

وراجع: نور الثقلين ج٥ ص٥٣ ومجمع البيان ج٩ ص١١٨ والقرطبي ج١٦ ص٢٧٥ وابن أبي الحديد ج١٠ ص٢٥٨ والبرهان ج٤ ص١٩٢ و ١٩٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٦٩ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٤٥ وفتح الباري ج٥ ص٢٢٣ وج٧ ص٢٨٦ والكافي ج٨ ص٣٢٦ ومرآة العقول ج٢٦ ص٤٤٤ وكشف الغمة ج١ ص٢١٠ وأدب الإملاء والإستملاء ص١٢ وصفين لنصر ص٥٠٨ و ٥٠٩ والكامل ج٢ ص٢٠٤ والطبقات ج٢ ق١ ص٧١ ورسالات نبوية ص١٧٨ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٤٥ والمطالب العالية ج٤ ص٢٣٤.

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٤ و ٢٥ والسيرة النبوية لدحلان ج٣ ص٤٣ ورسالات نبوية ص١٧٩.

(٢) راجع: المصادر المتقدمة.

الصحيح ـ ونسخ مثله محمد بن مسلمة لسهيل بن عمرو[1].

ونحن نخشى أن يكون إصرار هؤلاء على حشر اسم محمد بن مسلمة المهاجم لبيت الزهراء «عليها السلام»، يدخل في سياق سياساتهم لإنكار فضائل علي «عليه السلام» أو تشريك غيره معه فيها على الأقل، إن لم يمكن منحها بكل تفاصيلها لأعداء ومناوئي أهل البيت «عليهم السلام».

هذا.. وقد صرح أبو زميل سماك الحنفي: أنه سمع عبد الله بن عباس يقول: كاتب الكتاب يوم الحديبية علي بن أبي طالب[2].

كما أن الزهري رغم أنه كان منحرفاً عن أهل البيت «عليهم السلام»، وكان معلماً لأولاد ملوك بني أمية، فإنه كان أكثر جرأة، في هذا الأمر، فقد روى عبد الرزاق عن معمر، قال: سألت عنه الزهري، فضحك، وقال: هو علي بن أبي طالب، ولو سألت عنه هؤلاء قالوا: عثمان[3].

محنة أبي جندل، وحوادث أخرى:

قالوا: وفي حديث عبد الله بن مغفل، عند الإمام أحمد، والنسائي، والحاكم، بعد أن ذكر نحو ما تقدم، قال: «فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا إلى وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله

---

(١) راجع: المصادر المتقدمة.

(٢) المصنف للصنعاني ج٥ ص٣٤٣ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٠٥ والبحار ج٣١ ص٢٢١ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٨٤ والدر المنثور ج٦ ص٧٨ والنزاع والتخاصم ص١٢٧.

(٣) المصنف ج٥ ص٣٤٣ والنزاع والتخاصم ص١٢٧ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٨٤.

«صلى الله عليه وآله»، فأخذ الله بأسماعهم ـ ولفظ الحاكم بأبصارهم ـ فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هل جئتم في عهد أحد؟ وهل جعل لكم أحد أماناً؟

فقالوا: لا.

فخلى سبيلهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ..﴾[1].

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، والثلاثة، عن أنس، قال: لما كان يوم «الحديبية» هبط على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه ثمانون رجلاً من أهل مكة في السلاح، من قبل جبل التنعيم، يريدون غرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فدعا عليهم، فأخذوا، فعفا عنهم[2].

وروى عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة، قال: ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقال له: ابن زنيم اطلع الثنية «يوم

---

(١) أخرجه: أحمد ج٤ ص٨٧ والبيهقي ج٦ ص٣١٩ والحاكم في المستدرك ج٢ ص٤٦١ وعن ابن الجوزي في زاد المسير ج٧ ص٤٣٨ وانظر: الدر المنثور ج٦ ص٧٨ وأسباب نزول الآيات ص٢٥٧ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٨١ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٧ وفتح القدير ج٥ ص٥٣ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ ـ ٥٦ وقال: أخرجه مسلم ج٣ ص١٤٤٢ (١٣٣/ ١٨٠٨) وأحمد ج٣ ص١٢٤ والدر المنثور ج٦ ص٧٦.

والغرة: هي الغفلة. أي: يريدون أن يصادفوا منه ومن أصحابه غفلة عن التأهب لهم ليتمكنوا من غدرهم والفتك بهم.

الحديبية»، فرماه المشركون فقتلو.

فبعث نبي الله «صلى الله عليه وآله» خيلاً، فأتوا باثني عشر فارساً، فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هل لكم عهد أو ذمة»؟

قالوا: لا. فأرسلهم(١).

وروى الإمام أحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، عن سلمة بن الأكوع قال: إن المشركين من أهل مكة راسلونا في الصلح، فلما اصطلحنا، واختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فاضطجعت في ظلها، فأتاني أربعة من مشركي أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأبغضهم، وتحولت إلى شجرة أخرى، فعلقوا سلاحهم، واضطجعوا.

فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين، قتل ابن زنيم، فاخترطت سيفي فاشتددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، وجعلته في يدي، ثم قلت: والذي كرم وجه محمد «صلى الله عليه وآله» لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه، ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجاء عمي عامر برجل من العبلات، يقال له: مكرز ـ من المشركين ـ يقوده حتى وقفناه على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: دعوهم يكون لهم بدء الفجور وثنياه، فعفا عنهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ ـ ٥٦ وقال: أخرجه الطبري ج٢٦ ص٥٩ وذكره السيوطي في الدر المنثور ج٦ ص٧٦ وراجع: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٨.

الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾.

فبينما الناس على ذلك إذ أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين.

وكان أبوه سهيل قد أوثقه في الحديد وسجنه.

فخرج من السجن، واجتنب الطريق، وركب الجبال حتى أتى «الحديبية»، فقام إليه المسلمون يرحبون به ويهنئونه.

فلما رآه أبوه سهيل قام إليه فضرب وجهه بغصن شوك، وأخذ بتلبيبه ثم قال: «يا محمد، هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنا لم نقض الكتاب بعد».

قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً.

قال: «فأجزه لي».

قال: ما أنا بمجيزه لك.

قال: «بلى فافعل».

قال: ما أنا بفاعل.

فقال مكرز وحويطب: بلى قد أجزناه لك. فأخذاه، فأدخلاه فسطاطاً، فأجازاه، وكف عنه أبوه.

فقال أبو جندل: أي معاشر المسلمين، أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً.

فرفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» صوته، **وقال:** «يا أبا جندل، اصبر، واحتسب، فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنَّا قد

عقدنا مع القوم صلحاً، وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهداً، وإنَّا لا نغدر».

ومشى عمر بن الخطاب إلى جنب أبي جندل، وقال له: اصبر، واحتسب، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب.

وجعل عمر يدني قائم السيف منه.

قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه.

قال: فضن الرجل بأبيه[1].

وقد كان أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمل عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون.

فزادهم أمر أبي جندل على ما بهم، ونفذت القضية، وشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين: أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن

---

(١) أخرجه: أحمد في المسند ج٤ ص٣٣٠ و ٣٢٣ و ٣٢٥ والبيهقي في دلائل النبوة ج٥ ص٣٣١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ ـ ٥٦ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص والسيرة الحلبية ج٣ ص والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٢ والنص والإجتهاد ص١٧٧ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٩٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٢٧ وفتح الباري ج٥ ص٢٥٤ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١١ وأسد الغابة ج٥ ص١٦١ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٣ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٨٣.

مسلمة، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) ومكرز بن حفص وهو مشرك[1].

ونقول:

هناك نقاط نذكِّر القارئ بها، وهي التالية:

عمر وأبو جندل:

قد أوضح عمر: أنه يريد من أبي جندل أن يقتل أباه، مع أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد أن يرجع أبو جندل مع أبيه.

فما هذا السعي لنقض مراد رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وما هي النتائج التي سوف تترتب على قتل أبي جندل لأبيه، دون استئذان من النبي «صلى الله عليه وآله»؟!

وهل سوف يصدق الناس أن أبا جندل قد قتل أباه بدون رضا رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وهل عرف عمر كيف ستتطور الأحوال مع قريش، وما هي الانطباعات التي سوف يتركها عمل كهذا على المنطقة بأسرها، وعلى الأجيال؟!

هذه أسئلة تبقى تلح بطلب الإجابة. ولكن من أين.. وأنى؟!

هل عندكم أمان أو عهد؟!:

إن قول النبي «صلى الله عليه وآله» للثلاثين رجلاً: هل جئتم في عهد أحد؟!

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٦.

ثم قوله: هل جعل أحد لكم أماناً؟! يدل على: أن هؤلاء الثلاثين كانوا من المشركين المحاربين للمسلمين..

وقد ظهر: أنهم قد اقتحموا معسكر المسلمين بالسلاح..

مما يعني: أنهم قد جاؤوا، بهدف الإيقاع بالمسلمين، فلابد من أن يُعدُّوا من أسرى الحرب، الذين لا يشملهم عهد الحديبية.

وسهيل بن عمرو لم يطالب بهم، إن كانوا قد أسروا قبل كتابة العهد..

وإن كانوا قد أسروا بعده فلابد أن يعد ذلك نقضاً للصلح، وليس لقريش أن تطالب بهم أيضاً. بل يكون رضاها بفعلهم إعلاناً لحالة الحرب مع النبي «صلى الله عليه وآله»..

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» بادر إلى تخلية سبيلهم كرماً منه ونبلاً، ولم يكلف قريشاً حتى أن تعتذر عما بدر منهم، فضلاً عن أن تلتمس منه إطلاق سراحهم..

وهذا إعلان آخر عن حقيقة ما يسعى إليه، ويعمل من أجله، وأنه ليس طالب حرب ولا ناشد زعامة، وليس مفسداً ولا ظالماً، ولا معتدياً على أحد، فكل ما تشيعه قريش ما هو إلا محض أكاذيب، وهو محض التجني والبغي، والمكر السيء، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

وهذا الكلام هو نفسه يقال بالنسبة للثمانين رجلاً الآخرين، الذين جاؤوا من قبل جبل التنعيم، يريدون غرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخذوا، ثم عفا عنهم «صلى الله عليه وآله»..

اثنا عشر رجلاً آخر:

وأما بالنسبة للاثني عشر مشركاً الذين أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» خيلاً فأتوا بهم، حين قتل ابن زنيم.. فالذي يبدو لنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد بادر إلى أخذهم ثم إطلاق سراحهم، ليثبت لهم: أنه قادر على مواجهة بغيهم إلى حد إنزال الضربات القاصمة بهم، وأن مرونته معهم ليست ناشئة عن ضعف أو خوف.. بل هي حكمة وروية، وعفو منه وتسامح، وتعظيم للحرم..

ويوضح ذلك: أنه حين جيء بهم، قال لهم: «هل لكم عهد أو ذمة؟! فقالوا: لا..».

وذلك ليفهمهم: أنه لو أراد قتلهم، فإنه سيكون محقاً؛ لأنهم معتدون، ومحاربون، وليس لديهم عهد يمنعه من ذلك، كما أنهم لم يدخلوا في ذمة أحد، ليرى نفسه ملزماً بمراعاة ذمته.

وهذا يعني: أنه لو قتلهم فليس لأحد أن يلومه في ذلك، أو يمنعه منه..

ولكنه «صلى الله عليه وآله» عفا عنهم لكي يثوبوا إلى رشدهم، ولتكون هذه رسالة أخرى إلى كل أحد، تؤكد على: أنه لا يلجأ إلى القتل إلا حين لا يمكن دفع خطر العدو بدون ذلك.

ويؤكد ذلك: أن هذا العقوق قد تكرر منهم، ولم يكن مجرد حالة استثنائية، فقد عفا عن الثمانين مع الثلاثين الذين هاجموه، وطلبوا غرته لكي يوقعوا به..

متى قتل ابن زنيم؟!

وقد صرحت رواية سلمة بن الأكوع المتقدمة: بأن هذه الأحداث قد حصلت حينما كان سهيل بن عمرو ومن معه يفاوضون رسول الله «صلى

الله عليه وآله» في أمر الصلح..

وإن كان سلمة قد سعى إلى أن ينسب لنفسه في روايته هذه بطولة لم تنقل لنا عن غيره، فنحن نصدقه فيما نقله من أن قتل ابن زنيم كان في هذا الوقت، ونشك فيما نسبه لنفسه من بطولات لم ينقلها أحد سواه.

واللافت: أن هذا الأمر قد تعودناه من سلمة بن الأكوع حيث نسب لنفسه بطولات عظيمة تقدم الحديث عنها، مع أنه لم ينقلها أحد سواه.

سهيل يضرب ولده:

والغريب في الأمر: أن سهيل بن عمرو، الرجل الأريب، والمجرب، والمعروف بحكمته، وتدبيره يخرج عن حالة التوازن، ويتجاوز كل الآداب واللياقات، ويتحول إلى جلاد شرس بمجرد أن رأى ابنه أبا جندل يلتجئ للمسلمين.. غير مبال في أن تتسبب تصرفاته الرعناء بنقض الصلح الذي جاء من أجله.

وقد كان باستطاعة النبي «صلى الله عليه وآله» أن يخضعه للتأديب، ويمنعه من تصرفاته تلك بالأسلوب الذي يستحقه، حتى لو أدى إلى نقض الصلح، ونشوب الحرب.

وسيكون محقاً، حتى في نظر أهل الشرك، وسوف يوجِّه كل اللوم إلى مبعوثهم الذي ارتكب هذه الحماقة، وتحول من رجل عاقل أريب إلى رجل طائش أرعن، أوقعهم في مأزق خطير، قد يودي بكل تطلعاتهم وخططهم..

ولكنه «صلى الله عليه وآله» آثر مراعاة مصلحة الإسلام العليا، وذلك بحفظ حرمة بيت الله، وفسح المجال للوصول إلى الأهداف الكبرى، من

دون إراقة دماء.. وهكذا كان.

الصلف الذي لا يطاق:

وقد أمعن سهيل في صلفه ورعونته، وردَّ كل طلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. إلى حدٍّ جعل مكرز بن حفص، وحويطب بن عبد العزى في موقع الإحراج الشديد، واضطرهما للتدخل لحفظ ماء الوجه من جهة، وحفظ فرصة عقد الهدنة وخشية على الصلح الذي جاؤوا من أجله من جهة أخرى، فإن المهم عندهم هو إبرامه وأن لا يتعرض لنكسة خطيرة، لا طاقة لقريش بتحملها، ولا قدرة لها على مواجهة تبعاتها وآثارها.

هل في موقف الرسول ﷺ تناقض؟!

وقد يقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لسهيل حين ضرب ولده بغصن شوك: إنا لم نقض الكتاب بعد، ولكنه عاد فقال لأبي جندل: إنا قد عقدنا مع القوم صلحاً الخ..

فهل بين كلاميه «صلى الله عليه وآله» تناقض؟!

ونجيب: لا، لا تناقض بين الكلامين، فإن الاتفاق ـ كلامياً ـ كان قد تم بين الفريقين، فيصح أن يقال: قد عقدنا مع القوم صلحاً. وقد قال «صلى الله عليه وآله»: عقدنا، ولم يقل: كتبنا.

أما كتاب الصلح، فلم تكن كتابته قد تمت..

فيصح أن يقول: إننا لم نقض الكتاب بعد. فعبر بالكتاب، وقال عنه: إنه لم يقض بعد، أي لم يتم، ولم يعبر بعقد الصلح.

وبذلك يتضح: مدى الدقة في التعابير التي صدرت من النبي الكريم..

إنّا لا نغدر:

وقد رأينا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعلن: أن أهل الإسلام لا يغدرون بمن يعاقدونهم ويعاهدونهم، ويخاطب أبا جندل بهذا الخطاب، ويرفع بذلك صوته، ليسمعه سهيل وسواه، ثم يسعى عمر بن الخطاب لإقناع نفس أبي جندل بقتل أبيه سهيل بن عمرو غيلةً وغدراً!! ويدني إليه قائم سيفه ليغريه بهذا الأمر الشنيع، الذي يتضمن نقضاً وتكذيباً للرسول «صلى الله عليه وآله»..

ثم إننا لا ندري، إلى ما ستؤول إليه الأمور لو أن أبا جندل فعل ذلك؟!

وكيف سينظر الناس إلى هذه الحادثة؟! وكيف ستستغلها قريش؟!

وما هي النظرة التي سوف تتكون لدى الناس في تلك الحقبة، وسواها إلى يوم القيامة عن طاعة أصحاب النبي له «صلى الله عليه وآله»، ومدى انصياعهم لأوامره، وقدرته على أن يلزمهم بالتعهدات والمواثيق التي يعطيها عنهم، بصفته رئيساً لهم؟!

أفلا يؤدي تصرف أخرق كهذا إلى تضييع كل جهود وجهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبوار أهدافه، وعقم كل تدبيره، وانقلاب الأمور رأساً على عقب، وربما عودتها إلى نقطة الصفر، أو ما هو أدنى من ذلك؟!..

غضب قريش من خزاعة:

وقد كان من الطبيعي: أن تغضب قريش من دخول خزاعة في حلف رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وكان أول رد فعل ظهر على هذه المبادرة هو: أن أحد المفاوضين، وهو حويطب بن عبد العزى، التفت إلى سهيل بن عمرو، وقال: بادأنا أخوالك بالعداوة، وقد كانوا يستترون منا، وقد دخلوا في عهد محمد وعقده!!

فقال سهيل: ما هم إلا كغيرهم، هؤلاء أقاربنا ولحمنا، قد دخلوا مع محمد، قوم اختاروا لأنفسهم أمراً، فما نصنع بهم؟!

قال حويطب: نصنع بهم: أن ننصر عليهم حلفاءنا بني بكر.

قال سهيل: إياك أن يسمع منك هذا بنو بكر، فإنهم أهل شؤم، فيقعوا بخزاعة، فيغضب محمد لحلفائه، فينقض العهد بيننا وبينه.

قال حويطب: والله حظوت أخوالك بكل وجه..

فقال سهيل: ترى أخوالي أعز عليَّ من بني بكر؟! ولكن والله لا تفعل قريش شيئاً إلا فعلته، فإذا أعانت بني بكر خزاعة، فإنما أنا رجل من قريش، وبنو بكر أقرب إليَّ في قدم النسب، وإن كان لهؤلاء الخؤولة.

وبنو بكر من قد عرفت، لنا منهم مواطن كلها ليست بحسنة، منها يوم عكاظ[1].

ونقول:

إن هذا النص يشير: إلى حاجة قريش إلى هذا الصلح، وحرصها على إمضائه.

كما أنه يدل على: أن الثقة بين أركان الشرك كانت غير وطيدة ولا تصلح للاعتماد عليها..

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦١٢.

ويدل أيضاً: على أن قريشاً لم تجد في دخول بني بكر في حلفها ما يسعدها، لأن لها منها مواطن غير حميدة..

ولكننا في المقابل نجد: أن خزاعة كانت عيبة نصح لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. رغم أنها لم تكن على دينه.

ولعل الأمرّ، والأضرّ والأشرّ بالنسبة لقريش: أن خزاعة هي التي بادرت إلى الدخول في حلف عدوها في حركة أظهرت: أنها كانت تنتظر الفرصة، فلما واتتها بادرت إلى اقتناصها.

يضاف إلى ذلك: أن خزاعة قد أظهرت جرأة عظيمة حين دخلت في حلف النبي «صلى الله عليه وآله»؛ في حين أنها لم تكن تعيش في منطقة نفوذه «صلى الله عليه وآله»، ليقال: إنها بحاجة إلى مهادنته، وحماية نفسها من سائر القبائل بالدخول في حلفه.

بل هي بعملها هذا قد رفضت محيطها وتمردت عليه، وربطت مصيرها بمن هو بعيد عنها.

ومن شأن هذا أن يسيء إلى سمعة قريش، ويضع علامات استفهام كبيرة على مصداقيتها، وعلى هيبتها، وعلى سياساتها و.. و..

صلح الحديبية لا يشمل النساء:

وقد ذكرت النصوص التاريخية والحديثية: أن عدداً من النساء قد هاجرن من مكة إلى المدينة بعد الحديبية، وأن قريشاً قد طلبت من النبي «صلى الله عليه وآله»، أن يرجعهن إليها، فرفض «صلى الله عليه وآله» ذلك

معلناً: أن نصوص صلح الحديبية لا تشمل النساء[١].

وقد ذكرت بعض المصادر: أن العبارة الموجودة في الاتفاقية تقول: «فقال سهيل: على أنه لا يأتيك من (رجل)، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، ومن جاءنا ممن معك لا نرده عليك»[٢].

---

(١) البحار ج٢٠ ص٣٣٩ وعن ج٨٩ ص٦٧ وعن فتح الباري ج٨ ص٤٨٨ وعن تفسير مجمع البيان ج٩ ص٤٥٣ ونور الثقلين ج٥ ص٣٠٤ وجامع البيان ج٢٨ ص٨٨ وأسباب نزول الآيات ص٢٨٥ وزاد المسير ج٨ ص٨ والجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٦١ و ٦٤ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٧٦ وتفسير الجلالين ص٧٦٦ والدر المنثور ج٦ ص٢٠٦ ولباب النقول ص١٩٤ وتفسير الثعالبي ج٥ ص٤٢٠ وفتح القدير ج٥ ص٢١٥ والطبقات الكبرى ج٨ ص١٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٧٠ ص٢٢٠ وأسد الغابة ج٥ ص٤٧٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٤٧ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٩٠.

(٢) البحار ج٢٠ ص٣٣٤ ومجمع البيان ج٩ ص١١٦ ـ ١١٩ والكافي ج٨ ص٣٢٧ وكتاب سليم بن قيس ص٣٢٩ ومسند أحمد ج٤ ص٣٣٠ وعن صحيح البخاري ج٣ ص١٨١ وعن سنن أبي داود ج١ ص٦٢٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٢٠ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٥٢ والمصنف لعبد الرزاق ج٥ ص٣٣٨ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢٢٣ وعن المعجم الكبير ج٢٠ ص١٣ ونصب الراية ج٣ ص٢٤٨ وإرواء الغليل ج١ ص٥٧ وجامع البيان ج٢٦ ص١٢٩ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٣ والدر المنثور ج٦ ص٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٢٩ وسير أعلام النبلاء ج١ ص١٩٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٠٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٣٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٣.

فلا صحة لما يدَّعيه البعض: من أن القرآن قد نزل بنقض العهد فيما يختص بإرجاع النساء[١].

على أنه: لو صح ذلك، فلابد أن تتخذه قريش ذريعة للتشهير، ولسوف لا تقبل الاعتذار بهذا النقض القرآني، ما دامت لا تعترف بالقرآن، ولا تراه وحياً، وقد تجلى ذلك من مواقف مثلها سهيل بن عمرو حين كتابة العهد، حيث أصرَّ على حذف كلمة رسول الله، وعلى استبدال: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ بـ: «باسمك اللهم».

١ـ سبيعة الأسلمية:

ومن النسوة اللواتي جئن إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد الحديبية: «سبيعة بنت الحارث الأسلمية».

وقيل: هي أسلمية، ولكنها غير بنت الحارث[٢].

فإنها جاءت مسلمة بعد الفراغ من الكتاب، وطيه، والنبي «صلى الله عليه وآله» في الحديبية.

فأقبل زوجها مسافر (من بني مخزوم، وقيل: بل زوجها هو صيفي بن الراهب في طلبها)، وكان كافراً، فقال: يا محمد، أردد عليّ امرأتي، فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا. وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد..

فنزلت الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ**

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٦ والطبقات الكبرى ج٨ ص٢٣٠.

(٢) الإصابة ج٤ ص٣٢٥ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٤٥٣ والبحار ج٢٠ ص٣٣٧ ونور الثقلين ج٥ ص٣٠٤ وزاد المسير ج٨ ص٨ وتاريخ المدينة ج٢ ص٤٩٢.

فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[1]. فاستحلفها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فما خرجت بغضاً لزوجها، ولا عشقاً لرجل منا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام: فحلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك.

فأعطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» زوجها مهرها، وما أنفق عليها، ولم يردها عليه، فتزوجها عمر بن الخطاب[2].

٢ ـ أروى بنت ربيعة:

أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب: وقد كانت أروى بنت ربيعة ممن فر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من نساء الكفار، فحبسها النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يرجعها إليهم وزوجها خالد بن سعيد بن العاص[3].

٣ ـ أميمة بنت بشر:

وكانت أميمة بنت بشر عند ثابت بن الدحداحة، ففرت منه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» سهل بن حنيف، فولدت عبد الله بن سهل[4].

---

(١) الآية ١٠ من سورة الممتحنة.

(٢) راجع فيما تقدم: البحار ج٢٠ ص٣٣٧ و ٣٣٨ والإصابة ج٤ ص٣٢٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٢٣.

(٣) البحار ج٢٠ ص٣٣٨ وعن تفسير مجمع البيان ج٩ ص٤٥٣ وجامع البيان ج٢٨ ص٩٢.

(٤) البحار ج٢٠ ص٣٣٨ وراجع: الإصابة ج٤ ص٢٣٩ وفيه: أنها كانت تحت حسان =

٤ ـ أم كلثوم بنت عقبة:

وقد جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مسلمة مهاجرة من مكة أيضاً، فجاء أخواها الوليد وعمارة إلى المدينة، فسألا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ردها عليهما.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن الشرط بيننا في الرجال لا في النساء»، فلم يردها عليهما[1].

٥ ـ زينب ربيبة رسول الله ﷺ:

قال الشعبي: وكانت زينب امرأة أبي العاص بن الربيع قد أسلمت، ولحقت بالنبي «صلى الله عليه وآله»، ثم أتى أبو العاص مسلماً، فرد النبي «صلى الله عليه وآله» زينب عليه بنكاح جديد، وقيل: بالنكاح الأول.

وقد تقدم: أن قضية زينب لا ارتباط لها بالحديبية، وأنه قد ردها عليه بنكاح جديد فراجع[2].

= بن الدحداحة، وجامع البيان ج٢٨ ص٩٢ وعن تفسير مجمع البيان ج٩ ص٤٥٣.

(١) البحار ج٢٠ ص٣٣٩ و ٣٧٣ وراجع: الإصابة ج٤ ص٤٩١ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٤ ص٤٨٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥ و ٢٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٢٣ و ٢٤ وعن فتح الباري ج٩ ص٣٤٥ وعن تفسير مجمع البيان ج٩ ص٤٥٣ ونور الثقلين ج٥ ص٣٠٤ والجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٦١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٤٧.

(٢) تقدم الحديث عن زينب وإرجاعها إلى زوجها في الجزء السابق من هذا الكتاب.

وفي بعض النصوص: أن أبا العاص هو الذي أذن لها بإتيان المدينة[1].

نساء لحقن بالمشركين:

أما بالنسبة للنساء اللواتي رجعن عن الإسلام، وعدن إلى بلاد الشرك فقد ذكر الزهري أنهن ست نساء، وهن:

١ ـ أم الحكم بنت أبي سفيان، وكانت تحت عياض بن شداد الفهري.

٢ ـ فاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة، أخت أم سلمة، كانت تحت عمر بن الخطاب، فلما أراد أن يهاجر أبت وارتدت.

٣ ـ بروع بنت عقبة، كانت تحت شماس بن عثمان.

٤ ـ عبدة بنت عبد العزى بن نضلة (أو فضلة)، كان زوجها عمرو بن عبد ود.

٥ ـ هند بنت أبي جهل، كانت تحت هشام بن العاص بن وائل.

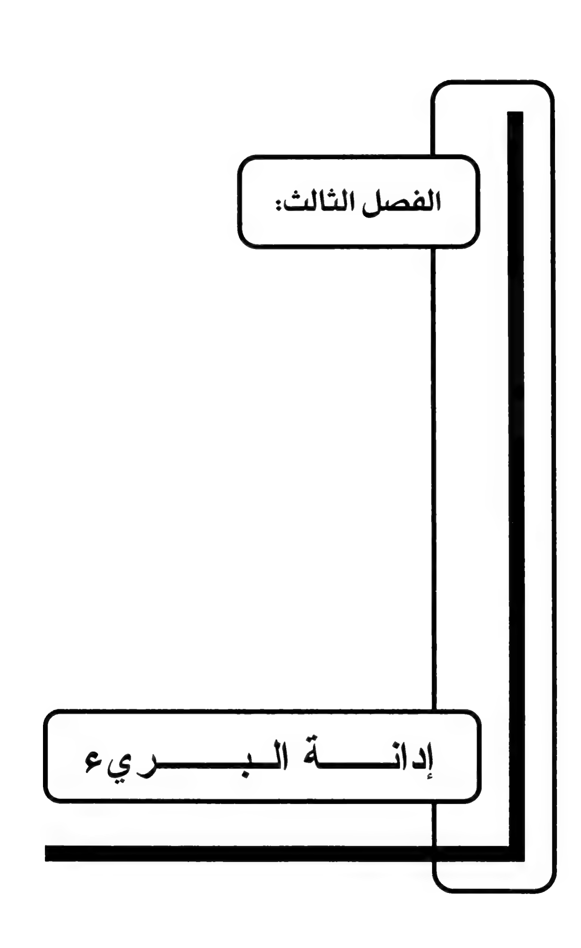
٦ ـ كلثوم بنت جرول (أو أم كلثوم). كانت تحت عمر.

فأعطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أزواجهن من المسلمين مهور نسائهم من الغنيمة[2].

---

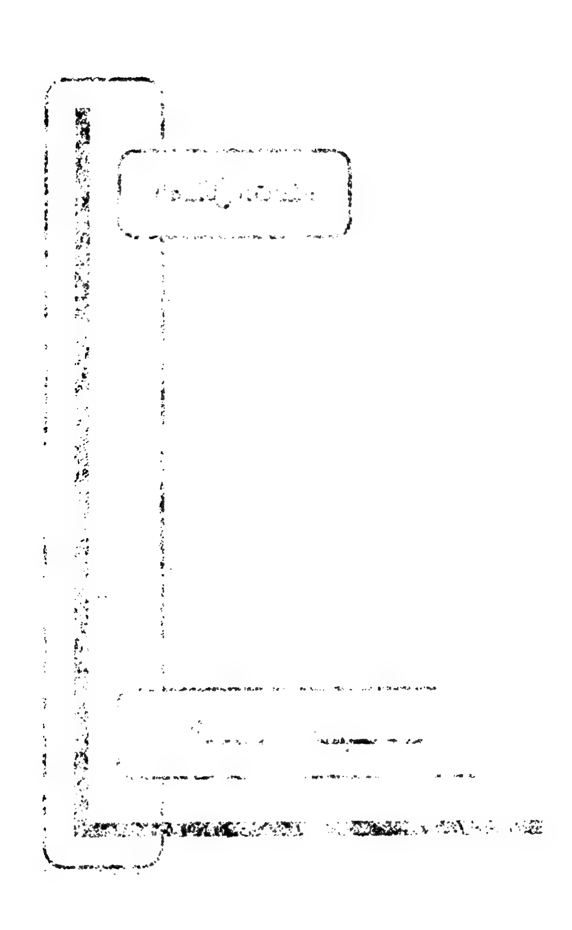
(١) البحار ج٢٠ ص٣٦٤ عن إعلام الورى ج١ ص٢٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٧ ص١٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٤٥.

(٢) البحار ج٢٠ ص٣٤١ والمحبر لابن حبيب ص٤٣٢ وعن تفسير مجمع البيان ج٩ ص٤٥٥ والميزان ج١٩ ص٢٤٥ والجامع لأحكام القرآن ج٨٨ ص٧٠.



الفصل الثالث:

إدانـــة الـبـــري ء



هل عصى علي عليه السلام أمر رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

وزعم البخاري وغيره: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام»: أن يكتب في بداية عهد الحديبية: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

فقال سهيل بن عمرو: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم.

فقال «صلى الله عليه وآله»: اكتب: باسمك اللهم.

فكتب «عليه السلام» ذلك.

ثم قال «صلى الله عليه وآله»: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، (فكتب)، فاعترض عليه سهيل، وقال: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، ولا صددناك، ولكن اكتب اسمك، واسم أبيك.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بمحوها..

فزعموا: أن علياً «عليه السلام» قال: لا والله لا أمحاك أبداً.

أو قال: إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة، أو ما أنا بالذي أمحاه.. أو نحو ذلك.

فمحاه «صلى الله عليه وآله».

أو فقال له «صلى الله عليه وآله»: ضع يدي عليها. أو أرني إياها، فأراه، فمحاه بيده. أو فأخذه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليس يحسن أن

يكتب. ثم قال: اكتب الخ..»[1].

---

(١) راجع المصادر التالية: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٤ و ٣٥ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٧٥ ـ ٢٧٧ وروح المعاني ج٩ ص٥ وعمدة القاري ج١٤ ص١٢ و ١٣وج١٣ ص٢٧٥ وتفسير القمي ج٢ ص٣١٢ و ٣١٣ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٥٢ و ٥٣ وتفسير الصافي ج٥ ص٣٥ و ٣٦ وتفسير البرهان ج٤ ص١٩٢ وحبيب السير ج١ ص٣٧٢ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٦٧ ومجمع البيان ج٩ ص١١٨ والبحار ج٢٠ ص٣٥٢ و ٣٥٩ و ٣٣٣ و ٣٧١ و ٣٦٣ و ٣٥٧ وج٣٣ ص٣١٤ وصحيح مسلم ج٥ ص١٧٣ و ١٧٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٢١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٠ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٤٣ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٠٤ وج٣ ص٣٢٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٦٣٦ وشرح بهجة المحافل ج١ ص٣١٦ و٣١٧ والمواهب اللدنية ج١ ص١٢٨ وصحيح البخاري ج٢ ص٧٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٣٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٤٦ و ١٤٧ وحدائق الأنوار ج٢ ص٦١٦ والأموال ص٢٣٢ و ٢٣٣ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٢ وتفسير الخازن ج٤ ص١٥٦ و ١٥٧ وكشف الغمة ج١ ص٢١٠ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٢٠ وإعلام الورى ص٩٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ و ٥٣ وعن السنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٥ وعن مستدرك الحاكم ج٣ ص١٢٠ وعن تاريخ بغداد ونهاية الإرب ج١٧ ص٢٣٠ وأصول السرخسي ج٢ ص١٣٥ والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج١١ ص٢٢٢ و ٢٢٣ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٢٣٧ و ٢٣٩ وصبح الأعشى ج١٤ ص٩٢ والعثمانية ص٧٨ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص٢١٥ وخصائص الإمام علي «عليه السلام» للنسائي ص١٥٠ و ١٥١ ومسند أحمد ج٤ ص٢٩٨ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٢ ص٢٣٣ ـ ٢٣٦ وإحقاق الحق =

بل ذكر ابن حبان: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام» بمحو اسمه مرتين، فأبى ذلك فيهما معاً[1].

وعن محمد بن كعب: أن علياً «عليه السلام» جعل يتلكأ ويبكي، ويأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله، فقال له: اكتب، فإن لك مثلها، وتعطيها وأنت مضطهد.

فكتب ما قالوا[2].

= (الملحقات) ج٨ ص٤١٩ و ٤٢٠ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٤١ و ٦٤٢ وج١٨ ص٣٦١ عن بعض من تقدم وعن مصادر أخرى فليراجع. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٢٧٥ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢١٤ ومشكل الآثار ج٤ ص١٧٣ والرياض النضرة ج٢ ص١٩١.

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج١١ ص٢٢٢ و ٢٢٣.

(٢) راجع: مجمع البيان ج٩ ص١١٩ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢١٤ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٣٥ وج٣٣ ص٣١٤ و٣١٦ و٣١٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٣٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٤٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٠ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٤٣.

وعن وعد النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي بأن له مثلها وهو مقهور راجع أيضاً: تاريخ الخميس ج٢ ص٢١ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٠٤ وحبيب السير ج١ ص٣٧٢ وتفسير البرهان ج٤ ص١٩٣ والبحار ج٢٠ ص٣٥٢ و٣٥٧ وتفسير القمي والخرايج والجرايح وغير ذلك كثير. والخصائص للنسائي (ط التقدم بمصر) ص٥٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص١٩٠ وج ٢ ص٥٨٨ والمغني لعبد الجبار ج١٦ ص٤٢٢ وينابيع المودة ص١٥٩ وصبح الأعشى ج١٤ ص٩٢.

ظهور الحقد الدفين:

وقد وجد أنصار الأمويين، وأتباع مناوئي علي وأهل البيت «عليهم السلام» ـ وجدوا بزعمهم ـ الفرصة سانحة لتوجيه ضربتهم، فقالوا: إذا كان الشيعة يحشدون الشواهد المتواترة على مخالفات صريحة، أو قبيحة، ومؤذية صدرت من عدد من الصحابة لأوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فإن علياً «عليه السلام» قد وقع في نفس المحذور، حين رفض امتثال أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بمحو وكتابة ما يمليه عليه.

حتى لقد قال السرخسي: «لقد كان هذا الإباء بالرأي في مقابلة النص»[1].

وفي سؤال وجه للسيد المرتضى، جاء ما يلي: «..ليس يخلو، إما أن يكون قد علم أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يأمر إلا بما فيه مصلحة، وتقتضيه الحكمة والبينات، وأن أفعاله عن الله سبحانه وبأمره. أو لم يعلم.

فإن كان يعلم، فلمَ خالف ما علم؟!

وإن كان لم يعلمه، فقد جهل ما تدَّعيه العقول من عصمة الأنبياء عن الخطأ، وجوَّز المفسدة فيما أمر به النبي «صلى الله عليه وآله» لهذا، إن لم يكن قطع بها.

وهل يجوز أن يكون أمير المؤمنين «عليه السلام» توقف عن قبول الأمر، لتجويزه أن يكون أمر النبي «صلى الله عليه وآله» معتبراً له ومختبراً؟! مع ما في ذلك لكون النبي «صلى الله عليه وآله» عالماً بإيمانه قطعاً، وهو

---

(١) أصول السرخسي ج٢ ص١٣٥.

خلاف مذهبكم، ومع ما فيه من قبح الأمر على طريق الاختبار بما لا مصلحة في فعله على كل حال.

فإن قلتم: إنه يجوز أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد أضمر محذوفاً، يخرج الأمر به من كونه قبيحاً.

قيل لكم: فقد كان يجب أن يستفهم ذلك، ويستعلمه منه، ويقول: فما أمرتني قطعاً من غير شرط أضمرته أولاً»[1].

ونقول:

أولاً: لقد أجاب السيد المرتضى بما يتوافق مع مذاق المعترض في نظرته للأمور، ونوضح مراده على النحو التالي:

لو سلمنا: صدور هذا الأمر من علي «عليه السلام»، فهو لا يدل على عدم عصمته، لأنه جوَّز أن يكون أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بالمحو ليس أمراً حقيقياً، بل مجاراة لسهيل، لا لأنه «صلى الله عليه وآله» يؤثر ذلك.. فتوقف حتى يظهر: أنه مؤثر له.

وتوقفه هذا يقوم مقام الاستفهام، ليتأكد له حقيقة هذا الطلب، وأنه أمر حقيقي، أو ليس بحقيقي[2].

قال العيني عن قوله «عليه السلام»: «ما أنا بالذي محاه: ليس بمخالفة لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ لأنه علم بالقرينة أن الأمر ليس

---

(١) رسائل الشريف المرتضى ج١ ص٤٤١ و ٤٤٢.

(٢) رسائل الشريف المرتضى ج١ ص٤٤٢.

للإيجاب»[١].

وقال القسطلاني، والنووي: «قال العلماء: هذا الذي فعله علي من باب الأدب المستحب، لأنه لم يفهم من النبي «صلى الله عليه وآله» تحتُّم محوٍ على نفسه، ولهذا لم ينكر عليه، ولو حتم محوه لنفسه لم يجز لعلي تركه، ولا أقره النبي «صلى الله عليه وآله» على المخالفة»[٢].

ثانياً: إن هذه القضية موضع شك وريب من أساسها، وذلك لأسباب عديدة، سوف نوردها في الفقرة التالية..

الشك فيما ينسب لعلي عليه السلام:

إن شكنا في صحة ما ينسب إلى علي «عليه السلام» يستند إلى الأمور التالية:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» يقول: «لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد: أني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط الخ..» [٣].

قال المعتزلي ـ وهو يشير إلى اعتراضات بعض الصحابة على النبي

(١) رسائل الشريف المرتضى ج١ ص٤٤٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ج١٢ ص١٣٥.

(٣) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٩٦ و ١٩٧ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص١٧٩ و ١٨٠ وغرر الحكم ج٢ ص٢٨٨ (مع الترجمة الفارسية للأنصاري) وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٤٥٤ والبحار ج٣٨ ص٣١٩ والأنوار البهية ص٥٠ والمراجعات ص٣٣٠ وينابيع المودة ج١ ص٢٦٥ وج٣ ص٤٣٦.

«صلى الله عليه وآله» في الحديبية ـ: «إن هذا الخبر صحيح لا ريب فيه، والناس كلهم رووه»[1].

ويؤكد ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: «علي مع الحق، والحق مع علي، يدور معه حيث دار»، أو «علي مع القرآن، والقرآن مع علي»، ونحو ذلك[2] فإن من يكون مع الحق ومع القرآن، لا يمكن أن تصدر منه مخالفة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا عصيان لأمره.

ويؤكد مدى طاعة علي للرسول «صلى الله عليه وآله»، قوله «عليه السلام»: أنا عبد من عبيد محمد[3].

فهل يمكن أن يقارن من هذا حاله بمن يقول عن نفسه: أنا زميل

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص١٨٠.

(٢) راجع: دلائل الصدق ج٢ ص٣٠٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٨ ص٧٢ وعبقات الأنوار ج٢ ص٣٢٤ عن السندي في دراسات اللبيب ص٢٣٣ وكشف الغمة ج٢ ص٣٥ وج١ ص١٤١ ـ ١٤٦ والجمل ص٨١ وتاريخ بغداد ج١٤ ص٣٢١ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١١٩ و ١٢٤ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) وربيع الأبرار ج١ ص٨٢٨ و ٨٢٩ ومجمع الزوائد ج٧ ص٢٣٤ ونزل الأبرار ص٥٦ وفي هامشه عنه وعن: كنوز الحقائق ص٦٥ وعن كنز العمال ج٦ ص١٥٧ وملحقات إحقاق الحق ج٥ ص٧٧ و ٢٨ و ٤٣ و ٦٢٣ و ٦٣٨ وج ١٦ ص٣٨٤ و ٣٩٧ وج٤ ص٢٧ عن مصادر كثيرة جداً.

(٣) بحار الأنوار ج٣ ص٢٨٣ والتوحيد للصدوق ص١٧٤ والإحتجاج ج١ ص٤٩٦ والكافي ج١ ص٩٠ وشرح أصول الكافي ج٣ ص١٣٠ و ١٣١ وعوالي اللآلي ج١ ص٢٩٢ والفصول المهمة ج١ ص١٦٨ والبحار ج٣ ص٢٨٣ وعن ج١٠٨ ص٤٥ ونور البراهين ج١ ص٤٣٠.

محمد؟![1].

وقد بلغ التزامه بحرفية أوامره «صلى الله عليه وآله»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال له في خيبر: «اذهب ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك».

فمشى هنيهة، ثم قام ولم يلتفت للعزمة، ثم قال: علام أقاتل الناس؟

قال النبي «صلى الله عليه وآله»: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله[2].

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط مطبعة الإستقامة) ج٣ ص٢٩١ والغدير ج٦ ص٢١٢ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٩٠ وج٣ ص٧١٦ والفايق في غريب الحديث ج١ ص٤٠٠ وج٢ ص١١.

(٢) راجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٩٣ والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٨٠ وإسناده صحيح، ومسند أحمد ج٢ ص٣٨٤ ـ ٣٨٥ وصحيح مسلم ج٧ ص١٢١ وسنن سعيد بن منصور ج٢ ص١٧٩ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٥٨ و ٥٩ و ٥٧ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج١ ص١٥٩ والغدير ج١٠ ص٢٠٢ وج٤ ص٢٧٨ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج١ ص٢٠٠ ومسند الطيالسي ص٣٢٠ وطبقات ابن سعد ج٢ ص١١٠ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٣٦ وج١٢ ص٤٩٤ ومناقب أمير المؤمنين ج٢ ص٥٠٣ والأمالي للطوسي ص٣٨١ والعمدة ص١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٩ والطرائف ص٥٩ والبحار ج٢١ ص٢٧ وج٣٩ ص١٠ و ١٢ والنص والإجتهاد ص١١١ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٦٦ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١١١ ورياض الصالحين ص١٠٨ وكنز العمال ج١ ص٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٢١١ والسيرة النبوية =

وقال ابن عباس لعمر، عن علي «عليه السلام»: إن صاحبنا من قد علمت، والله إنه ما غيَّر ولا بدل، ولا أسخط رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيام صحبته له[1].

ثانياً: إن أعداء علي «عليه السلام» والمتربصين به السوء، والباحثين عن أي مغمز فيه كثيرون، لا يحدهم حد، ولا يقعون تحت عد، ومنهم من حاربه بكل ما قدر عليه، فلو أنهم وجدوا في قضية الحديبية ما يوجب أدنى طعن، أو يبرر أي تحامل عليه لما تركوه. بل كانوا ملأوا الدنيا تشنيعاً عليه، وتقبيحاً لما صدر منه. مع أننا لا نجد أحداً تفوه ببنت شفة في هذا المجال..

ثالثاً: إن النصوص مختلفة في نسبة هذا الأمر إليه «عليه السلام»، بل في بعضها تصريح بما يكِّذب هذه النسبة من أساسها..

فقد أظهرت النصوص: أن اعتراض سهيل بن عمرو قد أثار حفيظة المسلمين، حتى أمسك بعضهم يد علي «عليه السلام»، ومنعه من الكتابة.

وفي بعضها ما يفيد: أن سهيلاً قد وجه طلبه بمحو تلك الكلمات إلى علي نفسه، فرفض علي «عليه السلام» طلب سهيل، لا طلب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

= لابن كثير ج٣ ص٣٥٢ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج١ ص١٧٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٥ وينابيع المودة ج١ ص١٥٤.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٢ ص٥١ ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج٥ ص٢٢٩ وج١٣ ص٤٥٤ وحياة الصحابة ج٣ ص٢٤٩ عنه وعن الزبير بن بكار في الموفقيات، وقاموس الرجال ج٦ ص٢٥ والدر المنثور ج٤ ص٣٠٩.

فما كان من النبي «صلى الله عليه وآله» إلا أن بادر وطلب من علي «عليه السلام» أن يضع يده على الكلمة، حسماً للنزاع بين علي «عليه السلام» وسهيل، وإعزازاً منه «صلى الله عليه وآله» لعلي. حيث لم يشأ أن يكسر كلمته أمام عدوه[١].

وقد صرح علي «عليه السلام»: بأن المشركين هم الذين راجعوه في هذا الأمر[٢].

بل في بعض النصوص: أن علياً «عليه السلام» هو الذي محاها، وقال للنبي «صلى الله عليه وآله»: لولا طاعتك لما محوتها[٣].

والصورة التي يمكن استخلاصها من النصوص هي:

أن النزاع قد اشتد بين علي «عليه السلام» وسهيل بن عمرو، وأن علياً «عليه السلام»: قد محا ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وكتب باسمك اللهم. طاعة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال له: لولا طاعتك لما محوتها.

ثم اشتدت المنازعة بين الصحابة وبين سهيل، وأخذوا بيد علي «عليه السلام». ورفض علي «عليه السلام» ما طلبه منه سهيل أيضاً، وما جادله

---

(١) راجع: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص١٤٩ وإحقاق الحق (قسم الملحقات) ج٨ ص٤١٩ والأمالي للطوسي ص١٩٠ و ١٩١ والبحار ج٣٣ ص٣١٦ وراجع ج٢٠ ص٣٥٧ والخرايج والجرايح ج١ ص١١٦ وصفين للمنقري ص٥٠٩.

(٢) صفين للمنقري ص٥٠٨.

(٣) راجع: كشف الغمة للأربلي ج١ ص٣١٠ والإرشاد ج١ ص١٢٠ وعن إعلام الورى ص٩٧ والبحار ج٢٠ ص٣٥٩ و ٣٦٣ و ٣٥٧.

فيه، حتى تدخَّل النبي «صلى الله عليه وآله»، مؤثراً الحفاظ على قوة موقف علي «عليه السلام»، فطلب منه أن يضع يده على الكلمة فوضعها، فمحاها «صلى الله عليه وآله» بيده.

ولو أنه «صلى الله عليه وآله» طلب محوها من علي «عليه السلام» لما تأخر في إطاعة أمره، ولم يكن «عليه السلام» ليطيع أمراً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أولاً، ثم يقول له : «لولا طاعتك لما محوتها»، ثم يعصيه بعد لحظة. فإن الطاعة إذا كانت تدعوه لمحو الأولى، فلابد أن تدعوه لمحو الثانية.. خصوصاً إذا كان ذلك في مجلس واحد.

ومن الواضح: أن محو كلمة «رسول الله» ليس فيه إنكار لرسوليته «صلى الله عليه وآله»، كما أن محو كلمة ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ لا يلزم منه إنكار رحمانية الله، ورحيميته تبارك تعالى.

بل لا يتعدى الأمر حدود تسجيل ذلك على ورقة بينه وبين عدوه، أو عدم تسجيله عليها..

فلا معنى للتحرج من محو كلمة «رسول الله» وعدم التحرج من محو كلمتي ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾.

رابعاً: إن من المعلوم: أن الأمر بشيء إذا جاء بعد الإلزام به، يفيد مجرد رفع الإلزام، والأمر ههنا من هذا القبيل، فقد كان إملاء النبي «صلى الله عليه وآله» ملزماً لعلي «عليه السلام» ولغيره بحفظ ما أمر بكتابته وعدم محوه حتى لو طلب ذلك منه، من هو مثل سهيل بن عمرو..

ولكن بعد أن احتدم الجدال بين علي «عليه السلام» والمسلمين من جهة، وبين سهيل بن عمرو من جهة أخرى، بادر النبي «صلى الله عليه

وآله» إلى رفع الحظر، وإزالة الإلزام بالأمر، وصار بالإمكان التخلي عن ذلك النص، وبالإمكان إبقاؤه، وأصبح الأمر موكولاً إلى الكاتب نفسه. ثم إنه «صلى الله عليه وآله» بادر إلى رفع الحرج بأن وضع يده الشريفة على الكلمة ومحاها إعزازاً لعلي «عليه السلام» وتعلية لشأنه كما قلنا.

استنطاق النصوص:

وقد قلنا: إن النصوص لم تأت على نسق واحد:

١ ـ فبعضها سكت عن التصريح بهذا الأمر، وذكر أنه «عليه السلام» قد كتب ما طلبه منه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقد روى ابن حبان وغيره: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال بعد اعتراض سهيل: «اكتب محمد بن عبد الله، وسهيل بن عمرو، فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو».

وقريب من ذلك أيضاً: روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»[1].

والنصوص التي ذكرت القضية، وذكرت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام» بكتابة اسمه مجرداً، ولم تشر إلى أي تمنُّعٍ من علي «عليه السلام» رواها كثير من المؤرخين، مثل اليعقوبي، وابن كثير

---

(١) الثقات ج١ ص٣٠٠ و ٣٠١ وراجع: الكافي ج٨ ص٢٦٩ عن الإمام الصادق مع بعض إضافات وتغييرات لا تضر. والبحار ج٢٠ ص٣٦٨ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٦٨ وتفسير البرهان ج٤ ص١٩٤ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص٢٤٠ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦٦ وحياة محمد لهيكل ص٣٧٤ وإكمال الدين ص٥٠.

وغيرهما، والرواة، مثل: الزهري ، وابن عباس، وأنس بن مالك، وحتى مروان بن الحكم، والمسور بن مخرمة، وهو المروي أيضاً عن علي أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه[1].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٤ وراجع: البداية والنهاية ج٧ ص٢٧٧ و ٢٨١ وروح المعاني ج٩ ص٥٠ والكشاف ج٣ ص٥٤٢ وحول النص المنقول عن الزهري راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٦٣٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٦٨ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٩ و ٣٥٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٣١ و ٣٣٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٠ و ٣٢١ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٥٣ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) ومسند أحمد ج١ ص٨٦.

وحول النص المنقول عن ابن عباس راجع: الرياض النضرة المجلد الثاني ص٢٢٧ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٥٢٢ ومسند أحمد ج١ ص٣٤٢ وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص١٤٨ و ١٤٩ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٠ عن أحمد، وأبي داود، ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٥١ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) وصححاه على شرط مسلم، وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٩٢.

وروايتا أنس ومروان والمسور توجدان معاً أو إحداهما، أو بدون تسمية، في المصادر التالية: صحيح البخاري ج٢ ص٧٩ و ٧٨ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٣٧ ومسند أحمد ج٣ ص٢٦٨ وج٤ ص٣٣٠ و ٣٢٥ وجامع البيان ج٢٥ ص٦٣ والدر المنثور ج٦ ص٧٧ عنهم وعن عبد بن حميد، والنسائي، وأبي داود، وابن المنذر، وصحيح مسلم ج٥ ص١٧٥ والمواهب اللدنية ج١ ص١٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٣٧٠ و ٣٧١ وتفسير القرآن العظيم ج٤ =

٢ ـ هناك نصوص صرحت: بأن بعض المسلمين قد أمسكوا بيد علي «عليه السلام»، ومنعوه من الكتابة.

ولهذا قوَّى بعضهم: احتمال أن يكون قوله «عليه السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة.

يريد به: لا تنطلق بسبب إمساكهم.

فبعد أن ذكر النص اعتراضات سهيل أولاً.

وثانياً قال: «فضج المسلمون منها ضجة هي أشد من الأولى، حتى ارتفعت الأصوات، وقام من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقولون: لا نكتب إلا محمد رسول الله».

= ص١٩٨ و ٢٠٠ والبداية والنهاية ج٤ ص١٧٥ ومختصر تفسير ابن كثير ص٣٥١ و ٣٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٣ والسنن الكبرى ج٩ ص٢٢٠ و ٢٢٧ وتاريخ الخميس ج١ ص٢١ عن المدارك، وتفسير الخازن ج٤ ص١٥٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٠٥ و ١٤٦ و ١٤٧ والإحسان بتقريب صحيح ابن حبان ج١١ ص٢٢٢ و ٢٢٣ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٧٧ وبهجة المحافل ج١ ص٣١٦. وزاد المعاد ج٢ ص١٢٥ ومسند أبي عوانة ص٢٤١.

وحول ما روي عن علي «عليه السلام» وغيره راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٢٣٢ وقريب منه ما في ينابيع المودة ص١٥٩ومسند أحمد بن حنبل ج٤ ص٨٦ و ٨٧ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٤٥ وقال: رواه أحمد ورجاله الصحيح. ومختصر تفسير ابن كثير ص٣٤٧ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٩٢ وتفسير المراغي ج ٩ ص١٠٧ والدر المنثور ج٦ ص٧٨ عن أحمد، والنسائي، والحاكم وصححه، وابن جرير، وأبي نعيم في الدلائل، وابن مردويه.

فعن واقد بن عمرو قال: «حدثني من نظر إلى أسيد بن حضير، وسعد بن عبادة، أخذا بيد الكاتب فأمسكاها، وقالا: لا نكتب إلا محمد رسول الله، وإلا فالسيف بيننا، علام نعطي الدنية في ديننا؟!

فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخفضهم، ويومئ بيده إليهم: اسكتوا. وجعل حويطب يتعجب مما يصنعون، ويقبل على مكرز بن حفص، ويقول: ما رأيت قوماً أحوط لدينهم من هؤلاء القوم الخ..»[1].

الحدث مستعار بكامل تفاصيله:

وبعد، فهل يمكننا أن نقول: إن هذا الحدث قد استعير بكامل تفاصيله من قضية أخرى.

نعم.. لقد استعاروها بهدف إثارة الشبهات والتساؤلات حول أقدس شخصية بعد الرسول «صلى الله عليه وآله»؟!

والحدث الذي نعنيه هو:

أن تميم بن جراشة قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في وفد ثقيف، فأسلموا، وسألوه أن يكتب لهم كتاباً فيه شروط، فقال: اكتبوا ما بدا لكم، ثم إيتوني به.

فأتوا علياً «عليه السلام» ليكتب لهم.

قال تميم: «فسألناه في كتابه: أن يحلّ لنا الربا والزنى. فأبى علي رضي

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦١٠ و ٦١١ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٩٦ وغاية البيان في تفسير القرآن ج٦ ص٥٨ و ٥٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٤٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص

الله عنه أ ن يكتب لنا.

فسألناه خالد بن سعيد بن العاص.

فقال له علي: تدري ما تكتب؟!

قال: أكتب ما قالوا، ورسول الله أولى بأمره.

فذهبنا بالكتاب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال للقارئ: اقرأ.. فلما انتهى إلى الربا قال: ضع يدي عليها في الكتاب. فوضع يده، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الآية[1].. ثم محاها.

وألقيت علينا السكينة، فما راجعناه.

فلما بلغ الزنى وضع يده عليها، وقال: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾ الآية[2]، ثم محاه. وأمر بكتابنا أن ينسخ لنا»[3].

من أسباب التزوير:

وأما دوافع إثارة بعض الشبهات حول طاعة أمير المؤمنين «عليه السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيمكن أن يكون منها ما يلي:

١ ـ إن النصوص التي ذكرت هذه القضية قد صرحت: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» حين أمر علياً «عليه السلام» بمحو ما كتب، قال له: أما إن لك مثلها، وستأتيها وأنت مضطر.

---

(١) الآية ٢٧٨ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٣٢ من سورة الإسراء.

(٣) أسد الغابة ج١ ص٢١٦ وقال: أخرجه أبو موسى ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٢.

أو قال له: اكتب، فإن لك مثلها، تعطيها، وأنت مضطهد مقهور. فكتب ما قالوا[1].

فلأجل الحفاظ على ماء وجه معاوية، وحزبه الذين أصروا على محو كلمة «أمير المؤمنين» من وثيقة التحكيم، وظهر بذلك مصداق ما أخبر عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كان لابد من إثارة أجواء من الريب

---

(١) راجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٢٠ والمعيار والموازنة ص٢٠٠ وخصائص أمير المؤمنين علي «عليه السلام» للنسائي ص١٤٩ و ١٥٠ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٤١٩. والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٤٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٠ ومجمع البيان ج٩ ص١١٨ و ١١٩ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢١٤ والبحار ج٢٠ ص٣٣٥ و ٣٥٢ و ٣٥٧ و ٣٥٩ و ٣٦٣ و ٣٣٣ وج٣٣ ص٣١٤ و ٣١٦ و ٣١٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٣٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٤٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٧٩ و ١٨٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٢١ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٠٤ وحبيب السير ج١ ص٣٧٢ وتفسير القمي ج٢ ص٣١٣ والخرايج والجرايح ج١ ص١١٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٩٠ وج٢ ص٥٨٨ و ٢٣٢ والمغني لعبد الجبار ج١٦ ص٤٢٢ وينابيع المودة للقندوزي ص١٥٩ وصبح الأعشى ج١٤ ص٩٢ والآمالي للطوسي ج١ ص١٩٠ و ١٩١ وصفين للمنقري ص٥٠٨ و ٥٠٩ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢١٠ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٢٠ وإعلام الورى ص٩٧ والبرهان ج٤ ص١٩٣ ونور الثقلين ج٥ ص٥٢ والفتوح لابن أعثم ج٤ ص٨ والبداية والنهاية ج٧ ص٢٧٧ والأخبار الطوال ص١٩٤ عن تاريخ الطبري ج٥ ص٥٢ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٨٦.

والشك في علي نفسه، من أجل أن يخف وقع وأثر هذا الأمر على الناس.

٢ ـ إن نفس الطعن بقداسة علي «عليه السلام»، وفي عصمته، والحط من مقامه، والنيل منه، وابتذال شخصيته، ونسبة الرذائل والمعاصي إليه، وتصغير شأنه، حتى يصبح كسائر الناس العاديين، أمر مطلوب، ومحبوب لأعدائه، ومناوئيه. وبذلك تضعف حجة الطاعنين في مناوئيه، ويخرج أتباعهم من الإحراجات القوية التي تواجههم.

٣ ـ تكريس أبي بكر على أنه الرجل المميز بين جميع الصحابة، الذي كان يرى في الحديبية رأي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويدعو الناس للقبول منه، والتسليم له..

قال دحلان: «..ولم يكن أحد في القوم راضياً بجميع ما يرضى به النبي «صلى الله عليه وآله»، غير أبي بكر الصديق (رض)، وبهذا يتبين علو مقامه. ويمكن أن الله كشف لقلبه، وأطلعه على بعض تلك الأسرار التي ترتبت على ذلك الصلح، كما أطلع على ذلك النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنه حقيق بذلك (رض)، كيف وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله»: والله، ما صب الله في قلبي شيئاً إلا وصببته في قلب أبي بكر»[1].

٤ ـ إن هذه المزاعم بجعل علي وعمر في سياق واحد، من حيث إن هذا يشك في دينه في الحديبية، وذاك يعصي أوامر الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله».

من شأنها أن توجد حالة من التوازن، ثم ترجح كفة الفريق الآخر من حيث

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٤٣.

جعل أبي بكر فوق الجميع، بل هو في مستوى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

لك مثلها يا علي:

وقد قلنا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد قال لعلي في الحديبية: لك مثلها، تعطيها، وأنت مضطهد، أو مضطر..

وظهر مصداق قوله «صلى الله عليه وآله» في حرب صفين، وذلك حينما أخذوا بكتابة كتاب الموادعة، فابتدأوا فيه بعبارة:

هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان..

فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت: أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته.

وقال عمرو: لا بل نكتب اسمه، واسم أبيه، إنما هو أميركم، فأما أميرنا فلا.

فلما أعيد إليه الكتاب أمر بمحوه. فقال الأحنف: لا تمح اسم إمرة المؤمنين عنك؛ فإني أتخوف، إن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً، فلا تمحها.

فقال «عليه السلام»: إن هذا اليوم كيوم الحديبية، حين كتب الكتاب عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسهيل بن عمرو. فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك، إني لظالم لك إن منعتك أن تطوف بيت الله، وأنت رسوله، ولكن اكتب: من محمد بن عبد الله..

فقال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا علي، إني لرسول الله، وأنا محمد بن عبد الله، ولن يمحو عني الرسالة كتابي لهم: من محمد بن عبد الله،

فاكتبها، فامح ما أرادوا محوه، أما إن لك مثلها، ستعطيها وأنت مضطهد[1].

ضع يدي عليها:

وقد ذكرت المصادر المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: ضع يدي عليها (أي على كلمة رسول الله)، فوضعها عليها، فمحاها «صلى الله عليه وآله» بيده[2].

فقد يظن ظان: أن هذا يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» لا يعرف القراءة..

ويؤيد ذلك أيضاً: الرواية المتقدمة عن الكتاب الذي كتبه لتميم بن جراشة ووفد ثقيف..

ونقول:

أولاً: إن قوله «صلى الله عليه وآله»: ضع يدي عليها، لا يدل على أنه لا يعرف القراءة، إذ قد يكون مجلسه «صلى الله عليه وآله» بعيداً عن مجلس علي «عليه السلام»، فيقول له من بعيد: ضع يدي على الكلمة الفلانية، لأنه «عليه السلام» هو المتمكن من قراءتها دونه «صلى الله عليه وآله»..

---

(١) البحار ج٣٢ ص٥٤١ و ٥٤٢ وصفين للمنقري ص٥٠٣ و ٥٠٤ والمسترشد ص٣٩١ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٢٣٢ والدرجات الرفيعة ص١١٧ وينابيع المودة ج٢ ص١٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٨ ومصادر ذلك كثيرة.

(٢) تقدمت المصادر الكثيرة لذلك، ومنها على سبيل المثال: كشف الغمة للأربلي ج١ ص٢١٠ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٢٠ وإعلام الورى ص٩٧ والبحار ج٢٠ ص٣٢٩ و ٣٦٣ و ٣٥٧ ومكاتيب الرسول ج١ ص٨٧.

ولو قيل: لماذا لا يستعمل النبي «صلى الله عليه وآله» قدرته الغيبية والإعجازية في هذا المورد؟!

فالجواب: أن الإعجاز، وإعمال القدرات الغيبية تابع لمصالح يعرفها النبي «صلى الله عليه وآله» دوننا، فلابد من التسليم له، وإيكال الأمر إليه..

ثانياً: قد روى البخاري ما جرى في الحديبية، فقال: «فأخذ رسول الله الكتاب، فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبد الله الخ..»[1].

---

(١) صحيح البخاري (ط سنة ١٣٠٩ هـ) ج٢ ص٧٣ والكافي ج٨ ص٣٢٦ والغارات ج٢ ص٧٥٥ والمسترشد ص٣٩١ و ٣٩٦ وشرح الأخبار ج٢ ص٥٠ و ١٣٥ وأوائل المقالات ص٢٢٤ والإرشاد ج١ ص١٢٠ والأمالي للطوسي ص١٨٧ والعمدة ص٢٠١ و ٣٢٥ والبحار ج٢٠ ص٣٣٣ و ٣٦٢ وج٣٣ ص٣١٥ وج٣٨ ص٣٢٨ ومكاتيب الرسول ج١ ص٨٥ وج٣ ص٨٢ ومسند أحمد ج٤ ص٢٩٨ وسنن الدارمي ج٢ ص٢٣٧ وعن صحيح البخاري ج٥ ص١٧٤ وعن سنن أبي داود ج١ ص٦٢٩ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٤٠ والمصنف لعبد الرزاق ج١٠ ص١٥٩ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٠٧ و ٥١٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٦٨ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢١٢ وعن المعجم الكبير ج١٠ ص٢٥٨ وج٢٠ ص١٣ وكنز العمال ج١٠ ص٤٧٤ و ٤٩٤ وإرواء الغليل ج١ ص٥٧ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص١٩٧ ونور الثقلين ج٥ ص٦٨ وجامع البيان ج٢٦ ص١٢٩ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٣ و ٢١٧ والدر المنثور ج٢ ص١٥٧ وج٦ ص٧٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٧ وإعلام الورى ج١ ص٢٠٤ و ٣٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٣ و ٤٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٣ و ٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٢٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٠٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٤.

وفي نص آخر: «فأخذ النبي «صلى الله عليه وآله» الكتاب ـ وليس يحسن أن يكتب ـ فكتب مكان رسول الله: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله: أن لا يدخل الخ..»[1].

فقد دلت هاتان الروايتان على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو نفسه الذي كتب ما أراده.

ودلت الرواية الثانية على: أن ذلك قد كان منه «صلى الله عليه وآله» على سبيل الإعجاز، ويمكن تأييد هاتين الروايتين بما روي عن علي «عليه السلام»: أنه قال للخوارج، وهو يذكر لهم ما جرى في الحديبية: «قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

فقال: اللهم إنك تعلم أني رسولك..

ثم أخذ الصحيفة فمحاها بيده، ثم قال: يا علي، اكتب هذا ما صالح عليه الخ..»[2].

ثالثاً: قد تقدم: أن هناك ما يدل على: أن حديث امتناع علي «عليه

---

(١) صحيح البخاري ج٣ ص٧٣ ومسند أحمد ج٤ ص٢٩٨ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٠٤ وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص١٥٠ و ١٥١ والأموال ص٢٣٣ وسنن الدارمي ج٢ ص٢٣٨ والسنن الكبرى ج٨ ص٥ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٧٣.

(٢) الرياض النضرة ج٢ ص٢٧٧ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٥٢٢ وراجع: مسند أحمد ج١ ص٣٤٢ وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص١٤٨ و ١٤٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٧٩ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤٦٤ والمناقب ص٢٦٢ وغير ذلك.

السلام» عن محو الكلمة إنما كان في مقابل سهيل، ولكنه لما قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: اكتب.. بادر إلى الكتابة، ولم يعص أمره «صلى الله عليه وآله»..

وهذا معناه: أن قوله «صلى الله عليه وآله»: ضع يدي عليها يصبح موضع شك من الأساس.. خصوصاً مع اختلاف نصوص هذه القضية إلى درجة تمنع الباحث من الاعتماد عليها.

رابعاً: إن هناك شواهد وأدلة كثيرة على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرف القراءة والكتابة.. فلاحظ ما سنذكره فيما يلي:

النبي صلى الله عليه وآله يقرأ ويكتب:

قال الشيخ الطوسي: «..والنبي «عليه السلام» ـ عندنا ـ كان يحسن الكتابة بعد النبوة، وإنما لم يحسنها قبل البعثة»[1].

وقال السيد جواد العاملي: «والنبي معصوم مؤيد بالوحي. وكان عالماً بالكتابة بعد البعثة، كما صرح به الشيخ، وأبو عبد الله الحلي، واليوسفي، والمصنف في التحرير. وقد نقل أبو العباس، والشهيد في النكت، عن الشيخ، وسبطه أبي عبد الله الحلي الساكتين عليه..»[2].

فالشيخ الطوسي، قد أوضح لنا: أن القول بأنه «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ويكتب هو قول أصحابنا من الشيعة.. كما أن العاملي قد بين أن

---

(١) المبسوط ج٨ ص١٢٠ وتفسير التبيان ج٨ ص٢١٦ وأوائل المقالات ص٢٢٥ ومكاتيب الرسول ج١ ص٩٣.

(٢) مفتاح الكرامة ج١٠ ص١٠.

عدد من علمائنا الكبار قد صرح بهذا الأمر، وسكت عنه آخرون.

ونقول:

إن ما نستفيده من الروايات والشواهد الكثيرة: أن النبي نبي منذ ولد، وأنه كان قادراً على القراءة والكتابة قبل بعثته كرسول، وبعدها.

وستأتي الروايات الدالة على الأمر الثاني، أما الروايات الدالة على نبوته قبل بعثته فيمكن مراجعتها في كتب الحديث عند السنة والشيعة.

ولكن السياسة الإلهية، القاضية بتيسير الهداية للناس قد قضت بأن لا يمارس ذلك بصورة فعلية قبل البعثة، وبيان ذلك:

أولاً: إذا تحقق للناس: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يتعلم القراءة والكتابة قبل البعثة عند أحد، ثم رأوا: أنه بعد البعثة قادر على ذلك كأفضل ما يكون. فسوف يدركون: أن ذلك حصل له بالإقدار الإلهي، وبذلك تقوم الحجة عليهم، ولا يبقى عذر لمعتذر.

وهكذا يقال: بالنسبة لمعرفته بعلوم الأولين والآخرين، وسواها مما يعجز البشر عن نيله، مع أنه لم يقرأ في كتاب، ولم يدرس عند أحد.

والخلاصة: أن ظهور قدرته لهم على القراءة والكتابة، ومعرفته بجميع هذه العلوم من دلائل نبوته، وهو للبشرية جمعاء.

ولا ضرورة بعد ذلك إلى أن يبقى ـ كما يزعمون ـ عاجزاً عن القراءة والكتابة، مع معرفة الآخرين بها، فإن ذلك قد يثير لديهم الإحساس بأن ثمة نقصاً وعيباً في شخصيته، وقد ثبت بالبراهين العقلية والنقلية أنه منزه عن كل عيب ونقص..

ثانياً: إن القراءة والكتابة لا تقصد لذاتها، وإنما هي من العلوم الآلية

التي تقصد إلى غيرها. ونيل المعارف عن طريقها..

فإذا كانت المعارف والعلوم حاضرة لدى الرسول «صلى الله عليه وآله» ويراها رأي العين. وهو يخبرهم بها، ويرون صدقه بصدقها، فإن البحث عن وسيلة أخرى عاجزة إلا عن إحضار خيالها، وصورتها لديه لا أكثر[1]. يصبح سفهاً غير مقبول.. ويكون بذلك كالذي يجد حبيبه إلى جنبه، ثم يطلب النوم لعله يرى خياله في عالم الرؤيا.

ومن المعلوم: أنه ليس كل عدم نقصاً، وليس كل وجدان كمالاً..

فإن معرفتنا نحن بالأمور والعلم بها كمال بالنسبة لنا، فإذا توقف ذلك على امتلاك آلات وأدوات، فإن حصولنا على العلوم الآلية والأدوات الموصلة لها كمال لنا أيضاً، وفقدانها نقص، لأنه يوجب حرماننا من كثير من المعارف التي نعجز عن الوصول إليها بدونها.

أما إذا كانت المعارف حاضرة بنفسها لدى العالم، ولا يحتاج إلى تلك الآلات الموصلة، كان ذلك عين الكمال.. ولا يكون فقدانه للآلات الموصلة نقصاً له، بل يكون حضورها لديه بلا فائدة ولا عائدة هو السفه والنقص.

فمن يستطيع الوصول إلى أي مكان في العالم بمجرد إرادته، فإن ركوبه للدابة، والسعي إلى ذلك المكان، وتحمل المتاعب، وصرف الساعات

---

(١) إشارة إلى الوجود اللفظي والكتبي الذي يلزم منه حضور صورة الشيء في الذهن، لا حضور نفس الشيء لدى العالم.

وإشارة إلى ذلك: حالة التخيل لأمور يسمع بها، ولم يكن قد رآها. فهي حاضرة حضوراً تخيلياً لا يصل إلى درجة حضور صورة الشيء في الذهن، فضلاً عن حضور نفس الشيء لدى العالم.

والأيام، أو الأشهر في الطريق، يعد سفهاً.

ولا يعد عدم اقتنائه للدابة أو السيارة عيباً ولا نقصاً، ما دام أنه لا لأجل عجزه عن الاقتناء، بل لغناه عنها مع توفر القدرة عليها في كل حين.

وهذا هو حال الأنبياء والأوصياء «عليهم السلام» في ما يرتبط بعلومهم، فهم يعلمون بالأمور من خلال حضورها عندهم، ورؤيتهم لها بما أعطاهم الله إياه من تفضلات ومزايا، فلا يحتاجون إلى قراءة النقوش المكتوبة ليمكنهم الحصول على صورة ذهنية لها، وهذا هو عين الكمال لهم، وسواه هو النقص.

ثالثاً: إن هناك أدلة من كلام المعصومين «عليهم السلام»، وشواهد أخرى، تدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرف القراءة والكتابة، فلاحظ ما يلي:

ألف: إننا نذكر من الشواهد الدالة على أنه «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ما يلي:

١ ـ ما رواه الشعبي من أنه «صلى الله عليه وآله» قد قرأ صحيفة لعيينة بن حصن، وأخبر بمعناها(١).

٢ ـ عن أنس قال: قال «صلى الله عليه وآله»: رأيت ليلة أسري بي مكتوباً على باب الجنة: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر(٢). فإن

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٨ ص٩٨ عن تفسير النقاش والجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٣٥٢.

(٢) سنن ابن ماجة ج٢ ص٨١٢ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٨ ص٩٧ عنه، ومستدرك الوسائل ج١٣ ص٣٩٥ ومسند أبي داود الطيالسي ص١٥٥ =

المتبادر هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قرأ هذا المكتوب بنفسه، لا أنه قد علم بمضمونه من غيره.

ب: ومن الشواهد الدالة على أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ويكتب نذكر:

١ ـ ما رواه الصدوق «رحمه الله» بسنده عن جعفر بن محمد الصوفي، عن أبي جعفر الجواد «عليه السلام» وفيه: «فقلت: يا ابن رسول الله، لم سمي النبي الأمي؟!

فقال: ما يقول الناس؟

قلت: يزعمون: أنه إنما سمي الأمي؛ لأنه لم يحسن أن يكتب.

فقال «عليه السلام»: كذبوا عليهم لعنة الله، أنّى ذلك، والله يقول في محكم كتابه: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾**[1].

فكيف كان يعلّمهم ما لا يحسن؟. والله، لقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرأ ويكتب باثنين وسبعين لساناً، أو قال: بثلاثة وسبعين لساناً،

= والمعجم الأوسط ج٧ ص١٦ ومسند الشاميين ج٢ ص٤١٩ والجامع الصغير ج٢ ص٥ وكنز العمال ج٦ ص٢١٠ وتذكرة الموضوعات ص٦٦ وكشف الخفاء ج٢ ص٩٦ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٤٠ والدر المنثور ج٤ ص١٥٣ وتفسير الثعالبي ج١ ص٥٢٧ وكتاب المجروحين ج١ ص٢٨٤ والكامل ج٢ ص٣٣٧ وج٣ ص١١ وتهذيب التهذيب ج٣ ص١١٠ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٢٨٣.

(١) الآية ٣ من سورة الجمعة.

وإنما سمي الأمي، لأنه كان من أهل مكة. ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله عز وجل: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾»[1].

٢ ـ عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ويكتب، ويقرأ ما لم يكتب[2].

وأما الحديث الذي يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ما يكتب، فهو لا يريد نفي الكتابة عنه «صلى الله عليه وآله»، بل كلمة «ما» مفعول به ليقرأ. أي أنه يقرأ الذي يكتب.

وأما ما ورد في كثير من المصادر عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ويكتب.

فالمراد به: أنه كان يمارس القراءة، ولا يمارس الكتابة، وإن كان قادراً عليها.

قال المجلسي: كان يقدر على الكتابة، ولكن كان لا يكتب لضرب من المصلحة.

٣ ـ روى الصدوق بسنده عن علي بن أسباط وغيره، رفعه عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: قلت: إن الناس يزعمون: أن رسول الله «صلى

---

(١) علل الشرايع ص١٢٤ والبحار ج١٦ ص١٣٢ وبصائر الدرجات ص٢٤٥ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٣٣٢ ونور الثقلين ج٢ ص٧٨ وج٥ ص٣٢٢ ومعاني الأخبار ص٥٤ والإختصاص ص٢٦٣ والفصول المهمة ج١ ص٤١٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٩.

(٢) البحار ج١٦ ص١٣٣ و ١٣٤ وبصائر الدرجات ص٢٤٧ والبرهان ج٤ ص٣٣٣ ونور الثقلين ج٥ ص٣٢٢ والفصول المهمة ج١ ص٤١٣.

الله عليه وآله» لم يكتب ولا يقرأ.

فقال: كذبوا لعنهم الله أنّى يكون ذلك، وقد قال الله عز وجل: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ**﴾[1].

فكيف يعلِّمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب؟!

قال: فَلِمَ سمي النبي الأمي؟

قال: لأنه نسب إلى مكة، وهو قول الله عز وجل: ﴿**لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾، فأم القرى مكة، فقيل أمي لذلك[2].

٤ ـ وعن الشعبي أنه قال: ما مات النبي «صلى الله عليه وآله» حتى كتب[3].

وقال المجلسي: قال الشعبي وجماعة من أهل العلم: ما مات رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى كتب وقرأ. وقد اشتهر في الصحاح وكتب التواريخ قوله «صلى الله عليه وآله»: إيتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن

---

(١) الآية ٢ من سورة الجمعة.

(٢) البحار ج١٦ ص١٣٣ وعلل الشرايع ص١٢٥ وتفسير البرهان ج٢ ص٣٣٢ و ٤٠ ونور الثقلين ج٥ ص٣٢٣ وج٤ ص٥٥٨ وبصائر الدرجات ص٢٤٦ وتفسير العياشي ج٢ ص٧٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٣٥٢ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٧٣ والبحار ج١٦ ص١٣٥ وسير أعلام النبلاء ج١٤ ص١٩٠ وج٢٢ ص٤٦٨ وعن الإرشاد ج١ ص١٨٤ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٤٢ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٨٦ وفيض القدير ج٤ ص٣٣٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٤ ص١٠٣.

تضلوا بعده أبداً[1].

ونقول:

إن استدلاله «رحمه الله» بالفقرة الأخيرة غير خال عن النظر والمناقشة، فإن قوله: أكتب لكم يتلاءم مع أمره لبعض من حضر بذلك.. ومع توليه الكتابة بنفسه أيضاً..

٥ ـ ونقل السيوطي عن أبي الشيخ، من طريق مجالد، قال: حدثني عون بن عبد الله بن عتبة، عن أبيه قال: ما مات النبي «صلى الله عليه وآله» حتى قرأ وكتب. فذكرت هذا الحديث للشعبي.

فقال: صدق. سمعت أصحابنا يقولون ذلك[2].

٦ ـ عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: «كان علي «عليه السلام» كثيراً ما يقول: اجتمع التيمي والعدوي عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو يقرأ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ بتخشع وبكاء، فيقولان:

ما أشد رقَّتك لهذه السورة.

فيقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لما رأت عيني، ووعى قلبي، ولما يرى قلب هذا من بعدي.

فيقولان: وما الذي رأيت، وما الذي يرى؟!

---

(١) البحار ج١٦ ص١٣٥ وج٢٢ ص٤٦٨ وعن الإرشاد ج١ ص١٨٤ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٩ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٤٧٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص٢١٩ وج١٢ ص٨٧ وإعلام الورى ج١ ص٢٦٥.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص١٣١.

قال: فيكتب لهما في التراب: تنزل الملائكة والروح الخ..»[1].

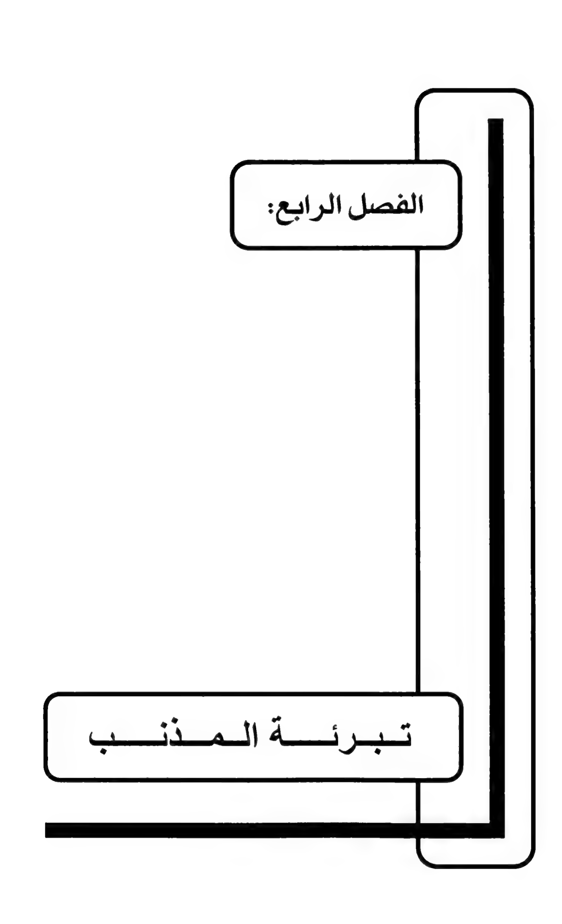
فإن ظاهر هذه الرواية: أنه «صلى الله عليه وآله» قد مارس الكتابة فعلاً..

وقد ظهر مما تقدم: أنه لا مجال للقول: بأنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يقرأ ويكتب. وأن الصحيح هو خلاف ذلك، سواء قبل بعثته «صلى الله عليه وآله» أم بعدها.

ولكن ذلك قد كان بصورة إعجازية، على النحو الذي أوضحناه فيما تقدم.

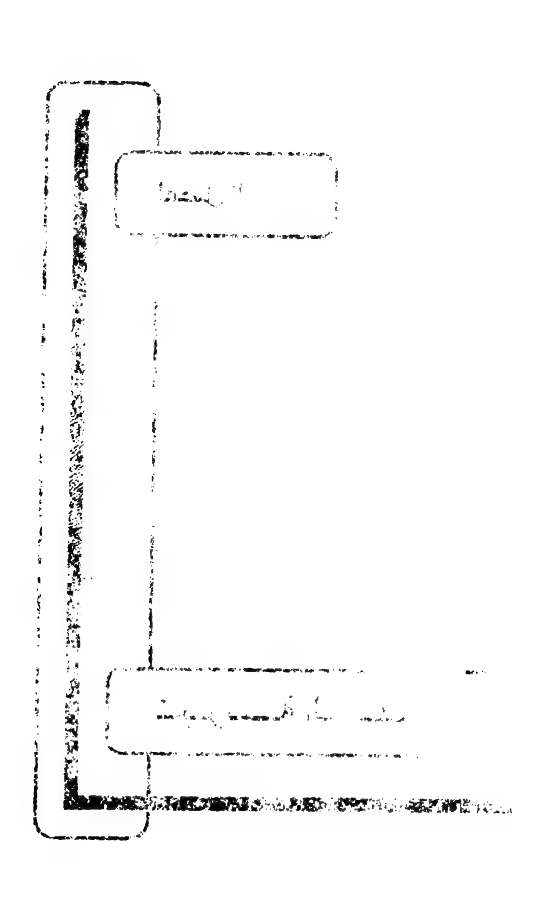
---

(١) الكافي ج١ ص٢٤٩ ونور الثقلين (تفسير) ج٥ ص٣٢٣ و ٦٣٣ ومدينة المعاجز ج٢ ص٤٤٨ والبحار ج٢٥ ص٧١.



الفصل الرابع:

تبرئة المذنب



استدراج مدروس:

والمراقب لسير الأحداث في كتابة وثيقة الصلح يلاحظ:

١ ـ أن النبي «صلى الله عليه وآله» في كتابته القضايا كان ضمن خطة أراد لها أن تنتهي إلى نتائج محددة، فهو يكتب: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.. مع أنه يتوقع الاعتراض عليها من قبل سهيل بن عمرو.. وقد حدث ذلك فعلاً..

ثم كان طبيعياً.. أن تثور ثائرة المسلمين. الذين لا يرضون بكسر كلمة نبيهم، ولاسيما في أمر لا ينبغي أن يعارضه المشركون فيه.. فإن كلمة «باسمك اللهم» لا تتعارض مع ما كتبه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما أن ما كتبه الرسول «صلى الله عليه وآله» ليس أمراً غريباً عن ذهنية الناس بالنسبة لما يصح نسبته إلى الله من صفات.

وكان قبول النبي «صلى الله عليه وآله» بما طلبه منه سهيل بن عمرو له دلالتان:

إحداهما: أنها جسدت هذه المرونة التي لديه «صلى الله عليه وآله»، حيث ظهر: أنه «صلى الله عليه وآله» على استعداد للقبول بكل ما فيه تعظيم للبيت، وحقن للدماء. إذا لم يكن فيه تفريط بحقائق الدين.

والثانية: أن يقبل أصحابه بهذا التراجع الذي يهيئوهم لمواجهة ما هو

أشد عليهم وأقسى، كما سنرى..

٢ ـ ثم إنه «صلى الله عليه وآله» يكتب في الفقرة الثانية كلمة «رسول الله» مع أنه كان بإمكانه الاكتفاء بكلمة «محمد بن عبد الله»، فلو أنه فعل ذلك، فلن يخطر ببال سهيل بن عمرو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أغفل أمراً هاماً، ثم أن يحتمل كون سبب إغفاله هذا هو تنازله عنه، أو أنه أصبح أمراً ثانوياً عنده. أو أصبحت له أهداف أخرى، قد تكون هي الأولى عنده..

٣ ـ ثم جاءت المفاجأة الأكبر والأخطر، والتي حاول البعض ـ وهو عمر بن الخطاب بالذات ـ أن يثير من أجلها عاصفة من التحدي لشخص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إلى حد التفكير بقيادة حركة تمرد ضده «صلى الله عليه وآله»، كما صرح به عمر نفسه، وذلك لأنه اعتبر أنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطى الدنية في دينه، ورضي بها.

فكان ذلك سبباً في ظهور ما كان خافياً على كثيرين فيما يتعلق بطبيعة علاقة عمر بالنبي «صلى الله عليه وآله»، ومناحي توجهاته الفكرية، ونظرته العقائدية للرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»..

لا نعطي الدنية في ديننا:

قلنا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يسوق الناس باتجاه تلمُّس الرعاية الإلهية لهم، ولطف الله تعالى بهم، وإفهامهم أن كل ما يجري لهم وعليهم إنما هو بعين الله سبحانه.. وقد توالت الدلالات، للمعجزات والكرامات التي كان «صلى الله عليه وآله» يتعمد إظهارها لهم.

ولكنه كان في مقابل ذلك يريد رفع مستوى الوعي لديهم، من خلال

التعامل مع القضايا بواقعية، وبدقة، بالإضافة إلى زيادة درجة التحمل والصبر حين يواجهون القضايا المصيرية في مفاصلها الدقيقة والحساسة والضاغطة على المشاعر والأحاسيس..

وقد كان إخباره «صلى الله عليه وآله» لأصحابه بأنهم سوف يدخلون المسجد الحرام هو أحد مفردات هذه السياسات الرائعة، حيث إنه «صلى الله عليه وآله» اكتفى ببيان بعض جوانب هذا الأمر، وهو: أن هذا الدخول سوف يحصل وسكت عن جانب آخر، وهو: أن هذا الدخول لن يكون في هذه السنة. وترك أمر معالجة هذا الجانب المسكوت عنه للناس أنفسهم، ففهمه الأكثرون منهم بطريقة غير سليمة، وانساقوا وراء فهمهم هذا، وظهرت منهم المواقف المتوافقة مع فهمهم الخاطئ هذا.

لقد فهموا: أنهم سيدخلون مكة في نفس تلك السنة، وينحرون بُدُنَهم، ويتمون فيها نسكهم..

واعتبروا: أن الرجوع من دون ذلك تكذيب للرسول «صلى الله عليه وآله»، ولكن عمر بن الخطاب قال في ذلك فأكثر، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنما قلت: ندخل مكة، ولم أقل في هذه السنة، حتى يكون الرجوع تكذيباً[1].

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص والسيرة النبوية لدحلان ج ص والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٦٥ و ٣٦٧ والبحار ج٢٩ ص٢١ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٠ و ٢٨١ والكامل ج٢ ص٧٧ وعن صحيح مسلم ج٥ ص١٧٥ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٠٩.

شك عمر في النبوة:

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تابع هؤلاء مسيرتهم في هذا الاتجاه، وتجاوز بعضهم حدود الاعتراض إلى حدود الشك في النبوة، حتى لقد نقل المؤرخون، عن عمر، أنه قال: «إني شككت في يوم الحديبية في النبوة. وتكلمت بها أخاف منه، وأتصدق، وأصلي كي تكون كفارة لذلك».

وقال عمر: «لو أن معي أربعين رجلاً لخالفته»[١].

وفي بعض الروايات: لو وجد مائة رجل.

أو قال: لو وجدت أعواناً لخالفت رسول الله «صلى الله عليه وآله» في كتابة الصلح.

وقالوا: «أنكر عليه عامة أصحابه، وأشد ما كان إنكاراً عمر».

وقال عمر في خلافته: «ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت إلا يومئذٍ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعة تخرج عنهم رغبة عن القضية لخرجت»[٢].

---

(١) البحار ج٢٠ ص٣٥٠ وتفسير القمي ج٢ ص٣١٢ ونور الثقلين ج٥ ص٥٢ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٥.

(٢) نقل ذلك العلامة الأحمدي «رحمه الله» في مكاتيب الرسول ج٣ ص٩٣ عن: السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٣١ وعن كنز العمال ج١٠ ص٣١٦ وتأريخ الطبري ج٢ ص٦٣٤ والحلبية ج٣ ص٢٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٤٣ والدر المنثور ج٦ ص٧٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٠٨ و ٦٠٧ و ١٠٩ ورسالات نبوية ص١٧٧ و ١٧٨ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٥ و ٣٣٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج١٤ ص ٤٣٨ و ٤٤٩ والبخاري ج٣ ص٢٥٦ والبحار ج٢٠ ص٣٣٥ و ٣٥٠ ونيل الأوطار ج٨ ص٣٥ و ٤٧ وجامع البيان للطبري =

وكثر الضجيج وعلت الأصوات، وطال جدالهم وأشاروا إلى السيوف، وكادت الفتنة أن تقع، وكان الرسول «صلى الله عليه وآله» يسكنهم، ويهدئ من روعهم.

وقد حاول بعضهم: أن يعتبر ذلك دليل صلاح لدى هؤلاء، وعنوان إخلاصهم لهذا الدين، وغيرتهم عليه.. وأنهم رأوا في هذا الصلح ما حسبوه دنية، وعاراً، فلم يطيقوه، وظهر منهم ما ظهر، وبدر من بعضهم ما بدر.

ونقول:

أولاً: إن من يؤمن بنبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلابد أن يصوِّبه في جميع ما يقول ويفعل، فيعتبر أنه لا يفعل إلا ما يرضي الله سبحانه، والله لا يرضى للمؤمن الذل بل يريده قوياً وعزيزاً، بل هو لا يرى العزة إلا لأهل الإيمان.

قال تعالى: ﴿**وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**..﴾[1].

وقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن الله سبحانه وتعالى قد

= ج٢٦ ص٦٣ ومجمع البيان ج٩ ص١١٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٦٨ والبرهان ج٤ ص١٩٣ وعبد الرزاق ج٥ ص٣٣٩ وزاد المعاد ج٢ ص١٢٥ وحياة الصحابة ج١ ص١٣١ والمناقب ج١ ص٢٠٤ وتهذيب تأريخ ابن عساكر ج٧ ص١٣٥ وصحيح مسلم ج٣ ص١٤١٢ وفتح الباري ج٥ ص٢٥٥ والسنن الكبرى ج٩ ص٢٢٢ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٧٧ والنص والإجتهاد ص١٨٢ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج١٢ ص٥٩ والتاج ج٤ ص٢٢٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٠٦ وج١ ص٢٤٩.

(١) الآية ٨ من سورة المنافقون.

فوض للمؤمن كل شيء إلا أن يذل نفسه[1].

فهل يمكن أن يقال ـ بعد كل هذا ـ : إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد رضي بالذل لأهل الإيمان وأعطى الدنية في دينه.. وهل يمكن أن يكون قائل هذا النمط من الكلام تام الإيمان، عارفاً بحدوده واقفاً على حقائقه ودقائقه.

ثانياً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يعطي الدنية، خصوصاً إذا كانت الدنية في الدين.. لأنه إن كان لم يدرك أن ما أعطاه دنية، وأدرك ذلك سائر الصحابة، فقد كان الآخرون أجدر منه بمقام النبوة..

ويزيد الأمر تعقيداً: أنه قد أصر على موقفه، رغم التنبيه الشديد، حتى لقد طال الجدال، وأشاروا إلى السيوف، وكادت الفتنة أن تقع..

فإن كان «صلى الله عليه وآله» عارفاً بأن ذلك دنية، وقد أقدم عليه، عن سابق تصميم وعزم. مع علمه بعدم رضا الله تعالى به.. فهو يخل بعصمته عن الذنب.

وإن كان لا يعلم أن الله لا يرضى به، فهو يخل بعصمته في وعي الأحكام وفي تبليغها، فإن قوله وفعله وتقريره حجة.

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صرح لعمر: بأنه ينفِّذ أمر الله تعالى، وأنه لو فعل خلاف ذلك لكان عاصياً له سبحانه، حيث قال له: ولن

---

(١) الكافي ج٥ ص٦٣ و ٦٤ والوسائل ج١١ ص٤٢٤ ومشكاة الأنوار ص٤٣٠ والفصول المهمة ج٢ ص٢٢٩ وعن البحار ج٦٤ ص٧٢ وميزان الحكمة ج٢ ص٩٨٢ ونور الثقلين ج٥ ص٣٣٦.

أعصيه[1].

وفي نص آخر: لا أخالف أمره ولن يضيِّعني[2].

وأنه مرعي من قبل الله سبحانه، حيث قال له: ولن يضيِّعني.

والسؤال هو: ما معنى إصرار عمر على موقفه؟! فهل هو يتهم النبي «صلى الله عليه وآله» ـ والعياذ بالله ـ بالكذب على الله تعالى، أو أنه يتهمه بالاشتباه في فهم مراد الله عز وجل من أوامره ونواهيه..

والأدهى من ذلك: أنه يذهب إلى أبي بكر ويوجه له نفس الأسئلة، فهل كان أبو بكر أصدق من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو أعرف منه عند عمر؟!

رابعاً: ومع غض النظر عما تقدم نقول: إنه قد يكون هناك أناس بسطاء، ينساقون مع حميتهم، ومع عصبياتهم، أو تثيرهم الشعارات، وتهزم ثباتهم، وتزلزل يقينهم الشبهات، فيعذرون في هذا الحماس، وتغفر لهم هذه الاعتراضات. من أجل ما علم من سلامة نيتهم، وطهر طويتهم..

ولكن حين يتصدى النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه إلى تنبيههم

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥١٥ وكنز العمال ج١٠ ص٤٩٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٢.

(٢) المسترشد ص٥٣٨ والبحار ج٢٠ ص٣٣٣ وج٣٠ ص٥٦١ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٥٩ وزاد المسير ج٧ ص١٦٢ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٠ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٢ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٨٢ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٠.

وتذكيرهم والتصريح لهم: بأنه ملتفت إلى جميع الحيثيات والخصوصيات التي يثيرونها، وقد صرح لهم «صلى الله عليه وآله»: بأنه إنما يعمل ما أراده الله منه، فإن الاستمرار في المعارضة، في هذه الحال يصبح أمراً غير مقبول من أحد حتى من أمثال هؤلاء..

خامساً: والأنكى من ذلك: أن يبلغ الأمر ببعضهم حدَّ الإعلان عن استعداده لقيادة حركة تمرد ضد شخص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لو توفر له من يعينه على ذلك، مائة رجل تارة، وأربعون رجلاً أخرى[1].

وهو يقصد بكلامه هذا أمراً عظيماً جداً وهائلاً، وهو أكثر وأخطر من مجرد الاستمرار بالمعارضة، فإن المفروض: أن أكثر الصحابة كانوا ثائرين معه، وكانوا يجادلون كما كان يجادل، فما الذي يريد منهم أكثر من ذلك، حتى ليتمنى أن يجد منهم أربعين رجلاً، ليعاونوه على القيام ضد الرسول «صلى الله عليه وآله» بالذات؟!

سادساً: ما هذه الجرأة من الصحابة على مقام الرسول «صلى الله عليه وآله»؟!

ولماذا الضجيج وعلو الأصوات؟!

ولماذا يجهرون له بالقول كجهر بعضهم لبعض؟!

ولماذا يقدمون بين يدي الله ورسوله؟!

ولماذا يخفضهم النبي «صلى الله عليه وآله» ويسكنهم ولا يستجيبون له..

---

(١) راجع: البحار ج٢٠ ص٣٥٠ وتفسير القمي ج٢ ص٣١٢ ونور الثقلين ج٥ ص٥٢ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٥.

ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؟![1].

وقال تعالى: ﴿..لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ..﴾[2].

وقال تعالى لهم: ﴿..أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ..﴾[3].

وقال: ﴿..وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[4].

فلماذا لا يأتمرون بأمره، ولا ينتهون بنهيه؟!

سابعاً: لو عذرنا من أعلن بالاعتراض: بأنه قد ثارت حميته، وقاده عزه، وإباؤه، وشممه إلى اتخاذ هذا الموقف الحماسي الرافض، ولكن بماذا وكيف نعذر من أعلن أنه قد شك في دينه، وفي نبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وإذا كان هذا الشك قد حصل فعلاً، فكيف نطمئن إلى عودة اليقين إليه؟!.. والدخول في جملة المؤمنين أو المسلمين؟!..

ولو أن هذا اليقين قد عاد بالفعل، فما الذي يجعلنا نطمئن إلى أن أموراً أخرى لم تنقضه مرة بعد أخرى، ليحل الشك محله من جديد؟! خصوصاً مع التصريح: بأن شكه في الحديبية لم يماثله أي شك آخر منذ أسلم، فقد

---

(١) الآية ١ من سورة الحجرات.

(٢) الآية ٢ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٤) الآية ٧ من سورة الحشر.

قال: «ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت إلا يومئذٍ»[1].

وهو كلام خطير جداً، حيث إنه يدل على كثرة ما عرض له من شكوك في دينه.. طيلة حياة الرسول «صلى الله عليه وآله»!! ولعل هذه الشكوك قد لاحقته بعد الحديبية أيضاً!! ولا ندري هل زالت عنه تلك الشكوك كلها؟! أم لا؟! كما أننا لا ندري لماذا سَهُل ورود هذه الشكوك على هذا الرجل دون سواه من سائر الصحابة؟!

إلا أن يقال: إن غيره كان يشك مثله، لكنه لم يملك شجاعة التصريح بذلك.

ولا ندري كذلك، إن كانت شكوكه قد بقيت في محيط حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أم أنها قد راودته أيضاً بعد وفاته «صلى الله عليه وآله»؟!

وإذا كان ذلك قد حصل فعلاً فماذا كان مصيرها؟! وما الذي يضمن لنا أن تكون هذه الشكوك لم تلاحقه إلى آخر حياته أيضاً؟!

وكيف يمكن مقايسة هذا الرجل، بمن هو كالجبل الراسخ، الذي كان على بصيرة من أمره، وعلى بينة من ربه، حتى قال: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»؟![2].

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٦٠٧ والمسترشد ص٥٣٥ و ٥٣٩.

(٢) إسعاف الراغبين (مطبوع مع نور الأبصار) ص١٠٨ وفتح البيان ج٤ ص٥ والصواعق المحرقة (ط الميمنية بمصر) ص٧٧ وينابيع المودة ص٦٥ و ٢٨٧ وطبقات الشافعية ج٤ ص٥٤ ومطالب السؤل ص١٦ وأنموذج جليل (مطبوع مع إملاء ما من به الرحمن) ج١ ص١٨ وشرح النهج للمعتزلي ج٣ ص١٨١ =

وقال: «ما شككت في الحق مذ رأيته»؟![1].

فإن كل ما جرى من ضجيج وعجيج ومن وصول الأمر إلى حد الخطورة والفتنة يفيدنا في معرفة الدافع الحقيقي وراء بيعة الرضوان، فإن تجديد البيعة، كما أسلفنا، إنما يلجأ إليها عند الخوف من عدو داخلي، لا من عدو خارجي!!

شكوك عمر استمرت إلى الطائف:

روى عبد الرحمن بن سيابة والأجلح ـ جميعاً ـ عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما خلا بعلي بن أبي طالب «عليه السلام» يوم الطائف، أتاه عمر بن الخطاب فقال: أتناجيه دوننا وتخلو به دوننا؟

فقال: «يا عمر، ما أنا انتجيته، بل الله انتجاه».

قال: فأعرض عمر وهو يقول: هذا كما قلت لنا قبل الحديبية: ﴿..لَتَدْخُلُنَّ

= وتفصيل النشأتين ص٤٦ و ٦٢ والمناقب للخوارزمي (ط تبريز) ص٢٦٠ وعن بحر المناقب، وعن منال الطالب، وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج٢ ص٥٠ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣١٧ ومواقف الشيعة ج١ ص٨٩.

(١) ينابيع المودة ص٦٥ وخصائص الأئمة ص١٠٧ والإرشاد ج١ ص٢٥٤ وحلية الأبرار ج٢ ص٦٣ والبحار ج٢٠ ص٣٣٥ وج٢٩ ص٥٦٢ وج٣٢ ص٢٣٧ و ٣٣٦ ومناقب أهل البيت ص٧٥ وميزان الحكمة ج١ ص١٤٨ وج٢ ص١٠٢٦ و ١٤٩٩ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص٢٠٧ و ٢١١ وج١٨ ص٣٧٤ والعدد القوية ص١٩٥ وينابيع المودة ج١ ص٨٣ و ٢٠٣ وج٣ ص٤٥٠.

﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللهُ آمِنِينَ..﴾ فلم ندخله وصددنا عنه، فناداه النبي «صلى الله عليه وآله»: «لم أقل إنكم تدخلونه في ذلك العام»![1].

ونقول:

إن هذا الحديث قد تضمن أموراً عديدة، نكتفي منها بالإشارة إلى ما يلي:

١ ـ إن عمر بن الخطاب لا يزال يحمل في نفسه قضية الحديبية، معتبراً إياها مأخذاً على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. حتى أصبح يقيس الأمور عليها..

٢ ـ إن كلامه يستبطن: اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بالكذب والتدليس عليه وعلى المسلمين.

٣ ـ إن جواب النبي «صلى الله عليه وآله» لعمر: «لم أقل إنكم تدخلونه في ذلك العام»، لم يكن قد سمعه منه لأول مرة، لأنه كان قد قاله لعمر بالذات في يوم الحديبية نفسه..

٤ ـ إنه قد سبق للنبي «صلى الله عليه وآله» أن أحضر عمر في عمرة القضاء، وبيَّن له أنهم قد دخلوا مكة، وأن ما يجري في عمرة القضاء كان تصديقاً لما كان قد أخبرهم به عن دخول مكة.

استمرار شكوك عمر إلى حجة الوداع:

ويبدو أن شكوك عمر بن الخطاب قد استمرت إلى عام الفتح وكان

---

(١) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٥٣ والبحار ج٢١ ص١٦٩ وإعلام الورى ج١ ص٢٣٥.

«صلى الله عليه وآله» يسعى لإزالتها..

ولا ندري إن كان قد حصل ذلك أم لا؟!

فقد روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما كان عام الفتح أخذ المفتاح، وقال: ادعوا إلي عمر بن الخطاب، فقال: هذا الذي كنت قلت لكم[1].

بل استمرت هذه الشكوك إلى حجة الوداع فقد ذكروا: أنه «لما كان في حجة الوداع وقف بعرفة، وقال: أي عمر، هذا الذي قلت لكم: إني رسول الله. والله، ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية»[2].

فهل صدَّق عمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وهل تخلى عن مواقفه وشكوكه السابقة؟!

الجواب: لا.

فإن عمر قد بلغ درجة اليقين، ولكن في الاتجاه المعاكس!! حيث حكم على النبي «صلى الله عليه وآله» في مرض موته بأنه يهجر، أو غلبه الوجع بناءً على الرواية القائلة: إن النبي ليهجر، أو غلبه الوجع.

وأما إذا أخذنا بالرواية التي تقول: إنه قال: ما باله أهجر استفهموه؟. فربما يستفاد منها: أنه كان لا يزال باقياً على شكه..

والله العالم بالحقائق.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٦٣ والمسترشد ص٥٤٠ والبحار ج٢٠ ص١٤١ والنص والإجتهاد ص١٧٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٢٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٦٣.

المسلمون يرفضون الإحلال:

ويقولون: إنه لما فرغ النبي «صلى الله عليه وآله» من قضية الكتاب قال: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا».

فوالله ما قام رجل منهم، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فاشتد ذلك عليه، فدخل على أم سلمة فقال: «هلك المسلمون، أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا».

وفي رواية: «ألا ترين إلى الناس آمرهم بالأمر فلا يفعلونه ـ وهم يسمعون كلامي، وينظرون وجهي»؟.

فقالت: يا رسول الله، لا تلمهم، فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح، ورجوعهم بغير فتح، يا نبي الله، اخرج ولا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك.

فجلى الله تعالى عن الناس بأم سلمة.

فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» واضطبع[1] بثوبه، فخرج، فأخذ الحربة، ويمم هديه، وأهوى بالحربة إلى البدن رافعاً صوته: «بسم الله والله أكبر» ونحر.

فتواثب المسلمون إلى الهدي، وازدحموا عليه ينحرونه، حتى كاد

---

(١) الاضطباع: أخذ الإزار أو البرد فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن ويلقي طرفيه على كتفه الأيسر من جهتي صدره وظهره، انظر النهاية ج٣ ص٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٦.

بعضهم يقع على بعض.

وأشرك رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين أصحابه في الهدي، فنحر البدنة عن سبعة، وكان هدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبعين بدنة.

وكان الهدي دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية، فلما صده المشركون رد وجوه البدن[1].

قال ابن عباس: لما صُدَّت عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها[2].

فنحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بُدْنَهُ حيث حبسوه، وهي الحديبية، وشَرَدَ جمل أبي جهل من الهدي وهو يرعى، وقد قلد وأشعر. وكان نجيباً مهرياً، في رأسه برة من فضة. أهداه ليغيظ بذلك المشركين. فمر من الحديبية حتى انتهى إلى دار أبي جهل بمكة، وخرج في أثره عمرو بن عنمة بن عدي الأنصاري، فأبى سفهاء مكة أن يعطوه، حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه إليه.

قيل: ودفعوا فيه عدة نياق.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٦ وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج٣ ص٢٥٧ وأبو داود في الجهاد باب ١٦٧ وأحمد ج٤ ص٣٣١ والبيهقي في الدلائل ج٤ ص١٠٦ وعبد الرزاق الحديث رقم (٩٧٢٠) والطبري و٢٦ ص٦٣ وابن أبي شيبة و١٤ ص٤٥٠.

(٢) أخرجه أحمد في المسند و٤ ص٣٣٠ والبيهقي في دلائل النبوة ج٥ ص٣٣١ وراجع: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٥ والدر المنثور ج٦ ص٧٩ وفتح القدير ج٥ ص٥٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٧٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٧.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لولا أن سميناه في الهدي فعلنا»، ونحره عن سبعة، ونحر طلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، بدنات ساقوها.

وروى ابن سعد، عن أبي سفيان، عن جابر قال: نحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبعين بدنة عام الحديبية، البدنة عن سبعة، وكنا يومئذٍ ألفاً وأربعمائة، ومن لم يضح أكثر ممن ضحى.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» مضطرباً في الحل، وإنما يصلي في الحرم.

وبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» من هديه بعشرين بدنة لتنحر عنه عند «المروة» مع رجل من أسلم، فلما فرغ الرسول «صلى الله عليه وآله» من نحر البدن دخل قبة له من أدم حمراء، ودعا بخراش ـ بمعجمتين ـ بن أمية بن الفضل الكعبي، فحلق رأسه، ورمى شعره على شجرة كانت إلى جنبه من سمرة خضراء، فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة فيتحاصونه، وأخذت أم عمارة طاقات من شعره فكانت تغسلها للمريض، وتسقيه، فيبرأ.

وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً.

وحلق بعض المسلمين، وقصَّر بعض. فأخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» رأسه من قبته وهو يقول: رحم الله المحلقين.

قيل: يا رسول الله والمقصرين قال: «رحم الله المحلقين ثلاثاً».

ثم قال: و «المقصرين»[1].

وروى ابن أبي شيبة، عن ابن عباس، أنهم قالوا: يا رسول الله، ما بال المحلقين ظاهرت عليهم الترحيم؟

قال : لأنهم لم يشكوا[2]. ورواه البيهقي موقوفاً.

وبعث الله تعالى ريحاً عاصفة فاحتملت أشعارهم فألقتها في الحرم كما رواه ابن سعد، عن مجمع بن يعقوب، عن أبيه.

وأقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بالحديبية تسعة عشر يوماً، ويقال عشرين ليلة، ذكره محمد بن عمر، وابن سعد. قال ابن عائذ: وأقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوته هذه شهراً ونصفاً[3].

ونقول:

إن لنا ههنا وقفات، وهي التالية:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٧ وفي هامشه قال: أخرجه الحاكم ج٤ ص٢٣٠ والبيهقي ج٥ ص٢٣٦ والدعاء للمحلقين متفق عليه من حديث ابن عمر. راجع: البخاري ج٣ ص٥٦١ (١٧٢٧) ومسلم ج٢ ص٩٤٥ (٣١٧/ ١٣٠١) والبحار ج٢٠ ص٣٥٤ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٥٦ وتفسير القمي ج٢ ص٣١٤ ونور الثقلين ج٥ ص٥٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٣.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ج٤ ص١٥١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٣ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٨٤.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٦ و ٥٧ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٢٥.

التبرك:

أما بالنسبة لموضوع التبرك بشعر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبغير ذلك نقول: إن ذلك من بديهيات الإسلام، فراجع كتاب التبرك للعلامة الأحمدي «رحمه الله».

ما نحره ﷺ عند المروة:

وقد أراد «صلى الله عليه وآله» أن يطعم الناس في مكة من بعض البدن التي كان يريد أن ينحرها، تألفياً لهم على الإسلام، وكسراً للحواجز التي كانوا يسعون لإقامتها بين الناس وبينه، فأرسل عشرين بدنة لتنحر عنه عند المروة كما تقدم.

الهدي عن سبعة:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان ينحر الهدي الواحد عن سبعة أشخاص.

ونقول:

إن ذلك غير جائز في مذهب أهل بيت النبوة «عليهم السلام»، الذين هم أدرى بما في البيت. فلا شك في أن ذلك مكذوب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

حلمهم الكبير الطعن في علي عليه السلام:

تقدم أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعد أن كتب كتاب الصلح: «قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى

قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس.

فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ أخرج ولا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك الخ..»(١).

والسؤال هو:

هل كان علي «عليه السلام» ضمن الذين رفضوا حلق رؤوسهم في الحديبية، حين قال «صلى الله عليه وآله»: «رحم الله المحلقين»، ليكون ذلك من موجبات الطعن في عصمته، أم أنه كان قد أطاع أمر الرسول «صلى الله عليه وآله» في ذلك؟

والجواب:

أولاً: إنه لا شك في أن علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يعص أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا في هذه الواقعة، ولا في غيرها، فهو يقول: «وإني والله لم أخالف رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولم أعصه في

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٠٠ ومسند أحمد ج٤ ص٣٣١ وعن صحيح البخاري ج٣ ص١٨٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢١٥ وج٩ ص٢٢٠ والمصنف لعبد الرزاق ج٥ ص٣٤٠ ومسند ابن راهويه ج٤ ص١٤ وعن المعجم الكبير ج٢٠ ص١٤ وإرواء الغليل ج١ ص٥٨ وجامع البيان ج٢٦ ص١٣٠ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٤ والدر المنثور ج٦ ص٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٢٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٦ وج١١ ص١٩١.

أمر قط»[1].

ثانياً: رغم تحفظنا على حديث أم سلمة، لأنه يظهر أنها «رحمها الله» قد أدركت أمراً غفل عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لكننا نقول فيه:

إنه وإن كان ظاهره العموم والشمول لجميع أصحابه «صلى الله عليه وآله»، لكن التأمل فيه يقتضي حمله على العموم والشمول لجميع المعترضين عليه «صلى الله عليه وآله» الرافضين لإطاعة أمره دون غيرهم.

أي فالمراد: ما قام رجل ممن كانوا قد اعترضوا على الصلح، واغتموا له.

لأن المستفاد من الروايات هو: أن ثمة فريقاً من الناس كان يجب عليهم الحلق في عمرتهم تلك، ولكنهم لم يطيعوا أمر الرسول «صلى الله عليه وآله»، ولا قاموا بما لزمهم القيام به، بل تلكأوا في بادئ الأمر، وتعللوا، ثم إنهم حين وجدوا أن لا مناص من التحلل آثروا أن يتحللوا بالتقصير؛ لا بالحلق؛ وذلك بسبب ما عرض لهم من شك.

ويوضح ذلك النصوص التالية:

١ ـ روى ابن هشام، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: حلق رجال يوم الحديبية، وقصّر آخرون.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يرحم الله المحلقين.

قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟

---

(١) راجع: الأمالي للمفيد ص٢٣٥ والأمالي للشيخ الطوسي ص١١ ونهج البلاغة ج٢ ص١٧١ وحلية الأبرار ج٢ ص٨٥ والبحار ج٣٢ ص٤٦٤ و ٥٩٥ وعن ج٧٤ ص٣٩٧ وشرح النهج للمعتزلي ج٥ ص١٨١ وكشف الغمة ج٢ ص٤.

قال «صلى الله عليه وآله»: يرحم الله المحلقين.

قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟

قال «صلى الله عليه وآله»: يرحم الله المحلقين.

قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟

قال «صلى الله عليه وآله»: والمقصرين.

فقالوا: يا رسول الله، فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين.

قال «صلى الله عليه وآله»: لم يشكّوا[1].

فالشاكون إذن قد أحلوا من إحرامهم بالتقصير، مع أن وظيفتهم كانت هي الحلق، امتثالاً لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

تذكير:

قال السهيلي: إن الذين قصروا هم: فقط عثمان، وأبو قتادة، ولم يقصر غيرهما[2].

٢ ـ يفهم من رواية القمي: أن بعض الذين لم يسوقوا الهدي كانوا قد

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٧ عنه، وعن ابن أبي شيبة، ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٥١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٨٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٣ ومسند أحمد ج١ ص٣٥٣ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٠١٢ وشرح صحيح مسلم للنووي ج٩ ص٥٠ وعن فتح الباري ج٣ ص٤٤٩ وج٥ ص٢٥٦ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٤ ص٣٠١ وكنز العمال ج٥ ص٢٣٧ وإرواء الغليل ج٤ ص٢٨٥ والدر المنثور ج٦ ص٨١ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٣.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٣.

حلقوا امتثالاً وطاعة لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبعضهم قصر اكتفاء في التحليل بالتقصير، ولم يمتثلوا أمره «صلى الله عليه وآله» بالحلق، وأن فيمن ساق الهدي من كان شاكاً أيضاً.

قال القمي: «قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأصحابه: انحروا بدنكم، واحلقوا رؤوسكم، فامتنعوا، وقالوا: كيف ننحر ونحلق، ولم نطف بالبيت، ولم نسع بين الصفا والمروة؟!.

فاغتم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ذلك، وشكا ذلك إلى أم سلمة، (ربما ليظهر رجاحة عقلها ودينها ـ وهي امرأة ـ على عقولهم، وهم أصحاب الدعاوى العريضة).

فقالت: يا رسول الله، انحر أنت، واحلق.

فنحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وحلق، ونحر القوم على حين يقين، وشك وارتياب.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» تعظيماً للبدن: رحم الله المحلقين.

وقال قوم لم يسوقوا البدن: يا رسول الله، والمقصرين؛ لأن من لم يسق هدياً لم يجب عليه الحلق.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثانياً: رحم الله المحلقين، الذين لم يسوقوا الهدي.

فقالوا: يا رسول الله، والمقصرين؟

فقال: رحم الله المقصرين»[1].

---

(١) راجع: تفسير القمي ج٢ ص٣١٤.

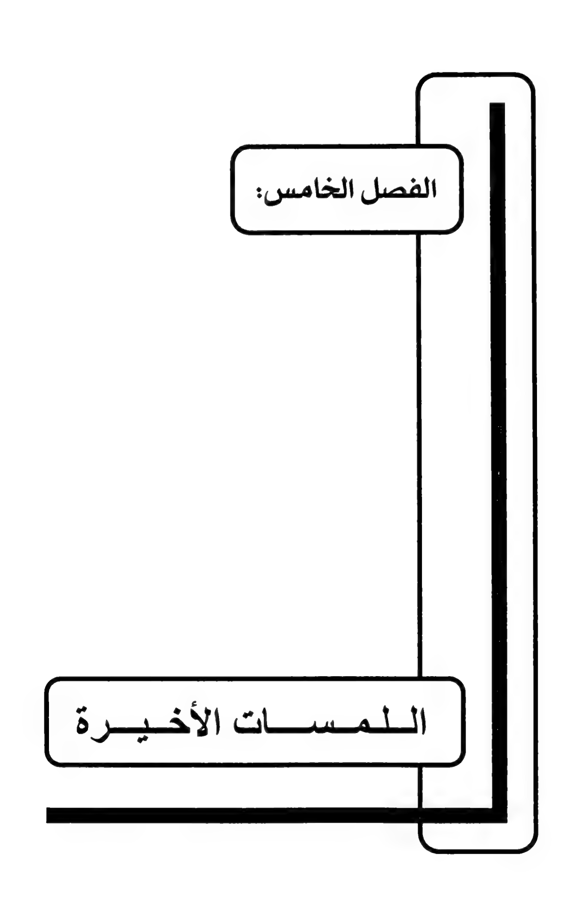
فرسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أظهر رضاه ومحبته للمحلقين، وتذمّره من الذين اكتفوا بالتقصير، وهذا يفيد: أن الذين قصروا هم الذين خالفوا أمر الرسول «صلى الله عليه وآله».

فظهر: أن المخالفين لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» والشاكّين ليسوا هم جميع المسلمين الحاضرين في الحديبية، بل هم فريق بعينه كما دلت عليه النصوص.

ولا شك في أن علياً «عليه السلام» ليس منهم، وليس هناك نص تاريخي يصرح: بأن علياً «عليه السلام» كان بين الذين لم يحلقوا، فإن طاعته للرسول «صلى الله عليه وآله» والتزامه الحرفي بأوامره ونواهيه كالنار على المنار وكالشمس في رابعة النهار، وقد أشرنا أكثر من مرة إلى ما جرى في خيبر، حينما أمره «صلى الله عليه وآله» بالذهاب وعدم الالتفات، فوقف ولم يلتفت وقال: على ما أقاتلهم يا رسول الله؟.

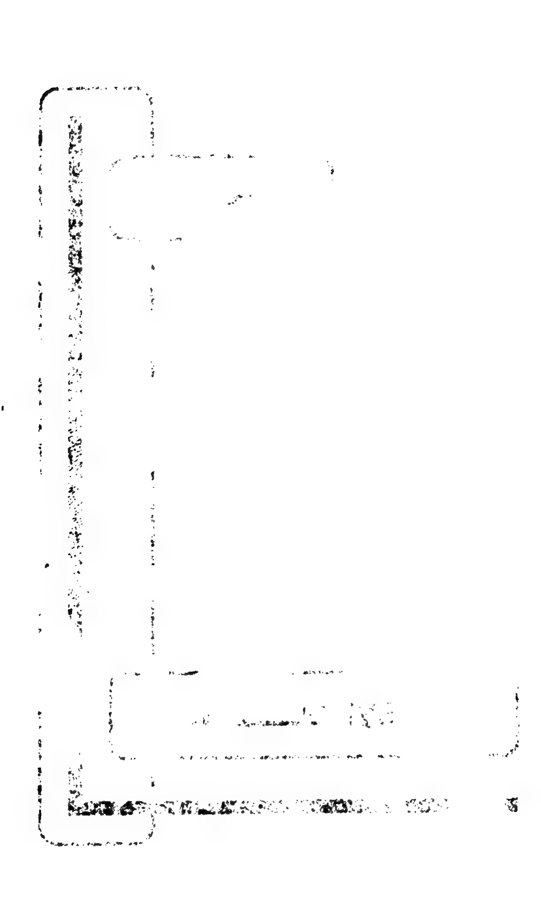
وتلك هي الآيات الشريفة لم تزل تنزل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقررة لعصمته، كآية التطهير، وتثبيت الفضل والكرامة له على من عداه له، لأنه هو وحده المطيع لله ولرسوله «صلى الله عليه وآله»، كآية النجوى وغيرها.

هذا بالإضافة إلى شواهد أخرى تبيِّن مدى حرصه «عليه السلام» على طاعة أوامر الرسول «صلى الله عليه وآله» حرفياً. يجدها المتتبع لسيرته صلوات الله وسلامه عليه..



الفصل الخامس:

اللمسات الأخيرة



في طريق العودة:

وقد روى مسلم عن سلمة بن الأكوع، والبيهقي عن ابن عباس، وابن سعد، والبيهقي، والحاكم عن أبي عمرة الأنصاري، والبزار، والطبراني، والبيهقي عن أبي خنيس الغفاري، ومحمد بن عمر عن شيوخه، يزيد بعضهم على بعض:

أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما انصرف من «الحديبية» نزل بمر «الظهران»، ثم نزل بـ «عسفان»، وأرملوا من الزاد، فشكا الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنهم قد بلغوا من الجوع الجهد، وفي الناس ظهر، فقالوا: ننحره يا رسول الله، وندهن من شحومه، ونتخذ من جلوده أحذية، فأذن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فأخبر بذلك عمر بن الخطاب فجاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، لا تفعل، فإن يكن في الناس بقية ظهر يكن أمثل، كيف بنا إذا نحن لقينا العدو غداً جياعاً رجالاً؟! ولكن إن رأيت أن تدعو الناس ببقايا أزوادهم فتجمعها، ثم تدعو فيها بالبركة، فإن الله سيبلغنا بدعوتك.

ودعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» الناس ببقايا أزوادهم، وبسط نطعاً، فجعل الناس يجيئون بالحفنة من الطعام وفوق ذلك، فكان أعلاهم

من جاء بصاع تمر، فاجتمع زاد القوم على النطع، قال سلمة: فتطاولت لأحرر، كم هو؟ فحررته كربضة عنز، ونحن أربع عشرة مائة.

فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فدعا بما شاء الله أن يدعو، فأكلوا حتى شبعوا، ثم حشوا أوعيتهم، وبقي مثله، فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى بدت نواجذه، وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، والله لا يلقى الله تعالى عبد مؤمن بهما إلا حجب من النار».

ثم أذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الرحيل، فلما ارتحلوا أمطروا ما شاؤوا وهم صائفون، فنزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ونزلوا، فشربوا من ماء السماء. ثم قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فخطبهم، فجاء ثلاثة نفر، فجلس اثنان مع النبي «صلى الله عليه وآله»، وذهب واحد معرضاً، فقال رسول الله: «ألا أخبركم عن الثلاثة؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: أما واحد فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فتاب فتاب الله عليه، أما الثالث فأعرض. فأعرض الله عنه»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٨ عن مسلم، والبيهقي، وابن سعد، والحاكم، والبزار، والطبراني، والواقدي، وعن صحيح البخاري ج١ ص٢٤ وعن صحيح مسلم ج٧ ص٩ وسنن الترمذي ج٤ ص١٧١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٢٣٢ ومجمع الزوائد ج٨ ص٣٠٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٤٥٣ وصحيح ابن حبان ج١ ص٢٨٧ وكتاب الدعاء ص٥٣٤ والمعجم الأوسط ج٤ ص٢٩ وعن المعجم الكبير ج٣ ص٢٤٩ ورياض الصالحين ص٥٧١ وكنز العمال ج١٠ ص٢٣٩ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٤٨ والبداية والنهاية ج٦ ص١٢٥.

ونلاحظ على ما تقدم ما يلي:

ألف: إن الناس لم يبادروا إلى نحر الإبل التي معهم، رغم حاجتهم إلى الطعام إلا بعد استئذان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك. وهذا يعطينا درساً في ضرورة الانضباط والمراجعة للقائد في كل أمر له ارتباط بالحالة العامة..

ب: إن قول عمر: كيف بنا إذا نحن لقينا العدو غداً جياعاً رجالاً؟! غير مفهوم لنا، فإن نحر بعض الإبل لا يلزم منه أن يلقى العدو رجالاً، فإن الحرب لا تكون على الإبل، وإنما تكون على الخيل أو بدونها..

ج: إذا نحروا الإبل، واستفادوا من لحومها، فإنهم لا يبقون جياعاً..

د: إن ما يحتاجونه في كل يوم للنحر والأكل لا يزيد على أربعة عشر جملاً، وهو مقدار يسير في جملة ما يفي بحاجات ألف وأربع مائة رجل..

فلو أنهم نحروا خلال ثلاثة أيام، أو أربعة: ستين من الإبل ثم يكونون بقرب المدينة، فذلك معناه: أن يصبح مائتا رجل ـ على أقل تقدير ـ بلا ظهر يركبونه في سفرهم. إذا كان كل ثلاثة، أو أربعة يعتقبون بعيراً ويبقى مع النبي «صلى الله عليه وآله» ألف ومائتا مقاتل، لم يتأثر وضعهم بشيء مما يجري، وهؤلاء قادرون على مواجهة العدو، ومعهم الظهر الكافي، ولا يعانون من جوع، ولا من غيره..

هـ: وكيف عرف عمر بن الخطاب هذا الأمر، وجهله النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»؟!..

و: وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» عارفاً بهذا الرأي الصالح فلماذا لم يبادر من عند نفسه إلى ذلك الحل وصبر حتى اقترحه عليه عمر بن

الخطاب؟! ألم يكن «صلى الله عليه وآله» هو الذي بادر إلى إثارة آبار الحديبية بالسهم الذي ألقاه فيها، ثم صنع لهم الكثير من المعجزات في سفر الحديبية بالذات؟!..

أم يعقل: أنه كان يرعاهم في سفر الذهاب، ثم تخلى عنهم في حال الإياب؟!

ولماذا يتخلى عنهم؟!

نوم المسلمين عن صلاتهم:

وروى البيهقي من طريق المسعودي، عن جامع بن شداد، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة، عن ابن مسعود قال: لما أقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من «الحديبية» جعلت ناقته تثقل، فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً**﴾ فأدركنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» من السرور ما شاء، فأخبرنا أنها أنزلت عليه، فبينا نحن ذات ليلة إذ عرس بنا، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من يحرسنا»؟

فقلت: أنا يا رسول الله.

فقال: «إنك تنام».

ثم قال: «من يحرسنا»؟

فقلت: أنا.

فقال: أنت.

فحرستهم، حتى إذا كان وجه الصبح أدركني قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنك تنام، فما استيقظت إلا بالشمس، فلما استيقظنا قال

رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن الله لو شاء أن لا تناموا عنها لا تناموا، ولكنه أراد أن يكون ذلك لمن بعدكم».

ثم قام فصنع كما كان يصنع، ثم قال: «هكذا لمن نام أو نسي من أمتي».

ثم ذهب القوم في طلب رواحلهم، فجاؤوا بهن غير راحلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قال: فقال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اذهب ههنا»، ووجهني وجهاً، فذهبت حيث وجهني، فوجدت زمامها قد التوى بشجرة ما كانت تحلها الأيدي.

قال البيهقي: كذا قال المسعودي عن جامع بن شداد: إن ذلك كان حين أقبلوا من الحديبية[1].

ثم روى من طريق شعبة ـ وناهيك به ـ عن جامع بن شداد، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة، عن ابن مسعود قال: أقبلنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من غزوة تبوك.

قال البيهقي: يحتمل أن يكون مراد المسعودي بذكر الحديبية: تاريخ نزول السورة حين أقبلوا من الحديبية فقط، ثم ذكر معه حديث النوم عن الصلاة، وحديث الراحلة، وكانا في غزوة تبوك.

قلت: لم ينفرد المسعودي بذلك، قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا منذر، عن شعبة، عن جامع بن شداد به، ولا مانع من التعدد[2].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٥٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٩ و ٦٠.

ونقول:

إن من الواضح: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا ينام عن صلاته، وليس في هذا النص ما يدل على ذلك.

بل هو صريح: بنوم أصحابه «صلى الله عليه وآله» عن صلاتهم، فعلَّمهم كيف يصنعون إذا اتفق لهم ذلك..

وسيأتي إن شاء الله المزيد من الحديث عن هذا الأمر في غزوة تبوك.

صلح الحديبية أعظم الفتح:

قالوا: روى البيهقي عن عروة، قال: قفل رسول الله «صلى الله عليه وآله» راجعاً، فقال رجل من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما هذا بفتح، لقد صددنا عن البيت، وصُدَّ هَدْيُنَا. وَرَدَّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجلين من المؤمنين كانا خرجا إليه.

فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «بئس الكلام، بل هو أعظم الفتح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم.

ويسألوكم القضية.

ويرغبون إليكم في الأمان.

ولقد رأوا منكم ما كرهوا.

وأظفركم الله تعالى عليهم، وردكم سالمين مأجورين، فهو أعظم الفتح.

أنسيتم يوم أحد؟؟

إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم؟!

أنسيتم يوم الأحزاب؟

﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾؟!

فقال المسلمون: صدق الله ورسوله، فهو أعظم الفتوح، والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنت أعلم بالله وبالأمور منا[1].

وكان الناس قصر رأيهم عما كان.

وكان أبو بكر يقول: ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية، وكان الناس قصر رأيهم عما كان بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين ربه.

والعباد يعجلون، والله تعالى لا يعجل لعجلة العبد حتى يبلغ الأمور ما أراد، لقد رأيت سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائماً عند المنحر يقرب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بُدْنَه، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» ينحرها بيده، ودعا الحلاق فحلق رأسه، فأنظر إلى سهيل يلقط من شعره، وأراه يضعه على عينيه، وأذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب:

---

(١) راجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٨ و ٥٩ وفي هامشه عن: شرح المواهب اللدنية ج٢ ص٢١١ والدر المنثور ج٦ ص٦٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤ والسنن الكبرى ج٦ ص٣٢٥ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٩٦ عن إعلام الورى ص٦١ وعن الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٠٥ وعن شرح الشفاء للقاري ج١ ص١٢١ وعن السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٤٦٩ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٤ ص٤٢٩ و ٤٥٨ و ٥٠١ و ج١٥ ص٣١٨ والنص والإجتهاد ص١٨٢ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٢٥.

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فحمدت الله تعالى الذي هداه للإسلام[1].

وروى الإمام أحمد، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، وابن مردويه عن عمر بن الخطاب قال: كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سفر. يعني: «الحديبية» فسألته عن شيء ثلاث مرات، فلم يرد عليَّ.

فقلت في نفسي: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، نزرت رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث مرات فلم يرد عليك، فحركت بعيري، ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل فيَّ القرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، فرجعت وأنا أظن أنه نزل فيَّ شيء، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة هي أحب إليَّ من الدنيا وما فيها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..﴾[2].

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، وابن سعد، وأبو داود، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم ـ وصححه ـ وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، عن مجمع بن جارية الأنصاري قال: شهدنا «الحديبية» مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما انصرفنا عنها إلى كراع الغميم إذا الناس يوجفون الأباعر، فقال الناس بعضهم لبعض: ما للناس؟

قالوا: أوحي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فخرجنا مع الناس نوجف، فإذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» على راحلته عند «كراع الغميم»،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص٦٣ و ٦٤.

(٢) الآيتان ١ و ٢ من سورة الفتح.

فاجتمع الناس إليه فقرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾ الفتح.

فقال رجل من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»: أو هو فتح؟

فقال: «أي والذي نفسي بيده إنه فتح»

زاد ابن سعد: فلما نزل بها جبريل قال: ليهنئك يا رسول الله، فلما هناه جبريل هناه الناس[1].

وروى عبد الرزاق والإمام أحمد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والشيخان والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم، عن أنس قال: «لما رجعنا من «الحديبية» قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنزلت علي ضحى آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً» ثلاثاً.

قلنا ـ وفي لفظ قالوا ـ: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله، قد بين الله لك ماذا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ج٣ ص٤٢٠ وأخرجه أبو داود في الجهاد باب: (فيمن أسهم له سهماً) وذكره الحافظ بن كثير في التفسير ج٤ ص١٩٧ والبيهقي في الدلائل ج٤ ص١٥٥ وراجع: صحيح مسلم ج٥ ص١٧٦ والمعجم الكبير ج١٩ ص٤٤٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٣٥ والبحار ج٢١ ص٨ وعن سنن أبي داود ج١ ص٦٢٢ والمستدرك للحاكم ج٢ ص١٣١ و ٤٥٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٢٥ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٤٠ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٠٩ والمعجم الأوسط ج٤ ص١٢١ وسنن الدارقطني ج٤ ص٦٠ ونصب الراية ج٤ ص٢٧٨ وعن تفسير مجمع البيان ج٩ ص١٨٤ ونور الثقلين ج٥ ص٤٨ وجامع البيان ج٢٦ ص٩٣ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٦١ والدر المنثور ج٦ ص٦٨ وفتح القدير ج٥ ص٤٦ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٠٥ وتهذيب الكمال ج٣٢ ص٣٦٤.

يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟

فنزلت، ـ وفي لفظ، فنزلت عليه ـ: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، حتى بلغ ﴿فَوْزاً عَظِيماً﴾»[1].

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، والبخاري في تاريخه، وأبو داود والنسائي، وابن جرير، وغيرهم عن ابن مسعود قال: «أقبلنا من الحديبية مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» فبينا نحن نسير إذ أتاه الوحي، وكان إذا أتاه اشتد عليه، فسري عنه، وبه من السرور ما شاء الله، فأخبرنا أنه أنزل عليه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾»[2].

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات نوجزها على النحو التالي:

---

(١) أخرجه: ابن حبان ذكره الهيثمي في موارد الظمآن ص (٤٣٦) (١٧٦٠) والبيهقي ج٥ ص٢١٧ وأحمد ج٤ ص١٥٢ والحاكم ج٤ ص٤٦٠ وذكره السيوطي في الدر المنثور ج٦ ص٧١ والخطيب في التاريخ ج٣ ص٣١٩ والبيهقي في الدلائل ج٤ ص١٥٥ وراجع: مسند أبي يعلى ج٦ ص٢٠ وصحيح ابن حبان ج٢ ص٩٤ والمعجم الأوسط ج٧ ص١٠٠ وجامع البيان ج٢٦ ص٩٢ ومعاني القرآن ج٦ ص٤٩٢ وأسباب نزول الآيات ص٢٥٦ وتفسير الجلالين ص٧١٢ ولباب النقول ص١٧٧ وفتح القدير ج٥ ص٤٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٦٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٦٠ عن البخاري في التفسير ج٨ ص٥٨٢ (٤٨٣٣) والبيهقي في الدلائل ج٤ ص١٥٥ والدر المنثور ج٦ ص٦٨ وفتح القدير ج٥ ص٤٦.

النبي ﷺ يذكرهم:

قد رأينا: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، حين أنكر البعض أن يكون ما جرى في الحديبية فتحاً صار يذكِّرهم بما كان منهم في أحد، حيث هاجمهم المشركون في عقر دارهم، فانهزموا فيها شر هزيمة، ولم يذكِّرهم بما فعله علي «عليه السلام» في أصحاب الألوية، حيث دحر قوى الشرك.

ثم ذكَّرهم بما كان في وقعة الخندق، حيث هاجمهم المشركون أيضاً في دارهم ولم يستطيعوا أن يبرزوا لمقاومتهم، وكان منهم ما كان، ولم يشر إلى قتل علي «عليه السلام» لعمرو بن عبد ود في الخندق، وهزيمة الأحزاب بسبب ذلك..

وذلك من أجل أن يقارنوا بين ما جرى لهم هناك وما جرى لهم في الحديبية، فإن المسلمين في الحديبية هم الذين حضروا إلى بلاد المشركين، حتى بلغوا مشارف عاصمتهم، ولم يجرؤ المشركون على مواجهتهم، بل رضوا بأن يدفعوهم عن بلادهم بالراح.

ثم هم يرضون بدخول المسلمين بلدهم بعد عام، ومعهم سيوفهم في القرب.

وبعقد معاهدة معهم تضمنت شروطاً لم يكن المسلمون يحلمون بأن يعطيها لهم أهل الشرك..

أبو بكر.. في موازاة رسول الله ﷺ:

والذي يقرأ أحداث صلح الحديبية في الروايات المزعومة يجد: أن ثمة تشابهاً فيما بين حركات وكلمات، ومواقف كل من أبي بكر، ورسول الله «صلى

الله عليه وآله»..

ونحن نرى: أن ثمة تعمداً لإظهار هذا الانسجام والتوافق، لكي ينال أبو بكر فضيلة ترتفع به إلى مستوى الرسول «صلى الله عليه وآله» في الوعي للقضايا، وفي الحكمة، والتدبير، والرصانة والاتزان..

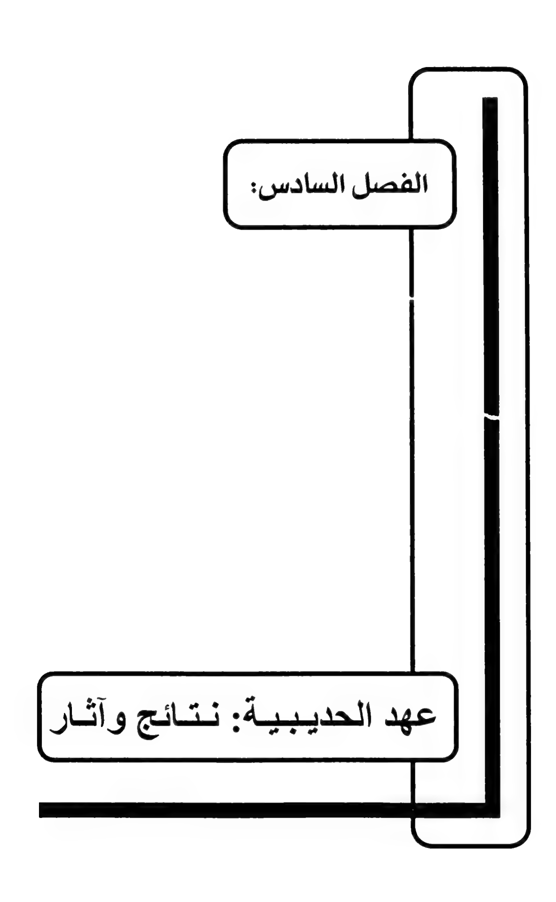
وينال عمر بن الخطاب في المقابل فضيلة الغيرة الفائقة، والحماس المنقطع النظير، والشدة في الحفاظ على العزة والكرامة الإسلامية..

ولينقلب من ثم الخطأ إلى صواب، والرذيلة إلى فضيلة!! ويصبح الشك في النبوة والرسالة صريح الإيمان، وعصارة التقوى!! فتبارك الله أحسن الخالقين!!

تبرك سهيل بن عمرو:

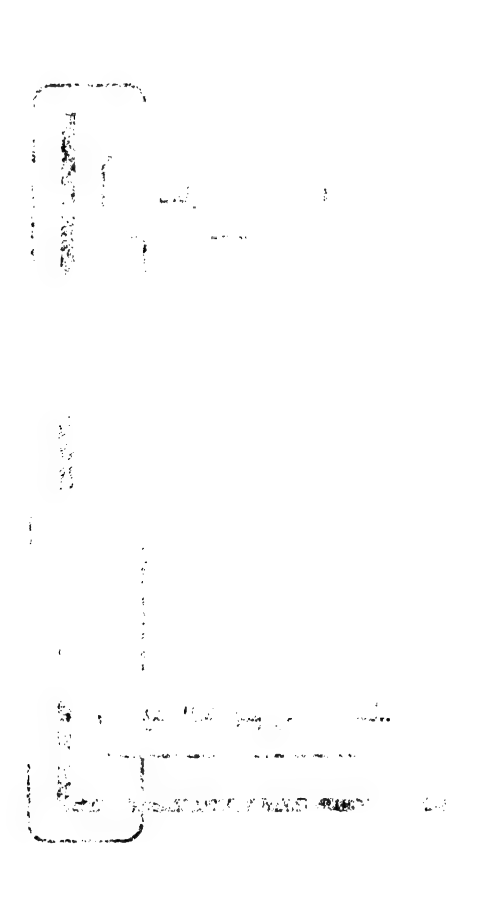
وقد أظهرت الروايات: أن سهيل بن عمرو كان يتبرك بشعر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقد قلنا مرات كثيرة: إن التبرك من بديهيات هذا الدين، وأن النصوص المثبتة له قد تصل إلى المئات. فراجع كتاب التبرك للعلامة الأحمدي «رحمه الله».



الفصل السادس:

عهد الحديبية: نتائج وآثار



آثار ونتائج عهد الحديبية:

ثم إن سورة الفتح وكذلك تصريحات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ونصوص عهد الحديبية بالذات، أظهرت: أن الإسلام قد حقق في الحديبية أموراً هامة وأساسية جداً، لا مجال للتعرض لها في كتاب كهذا، فلابد من الاقتصار على الإلماح السريع إلى بعضها، فنقول:

١ ـ إن السورة قد اعتبرت ما جرى في الحديبية فتحاً مبيناً. وصرح بذلك الرسول «صلى الله عليه وآله»، وقد أظهرت الوقائع هذا الأمر بصورة جلية أيضاً.

٢ ـ قد نسبت السورة هذا الفتح إلى الله سبحانه، بمعنى: أن الله تعالى هو الذي هيأ لهذا الفتح. حيث يتضح لمن رصد حركة الأحداث: أنه «صلى الله عليه وآله» لو استجاب لرغبة أصحابه لما حصل على هذا الفتح العظيم، الذي أوجب دخول المنطقة بأسرها في الإسلام من دون قتال، وأظهر ظلم قريش وعدوانيتها، وأظهر ضعفها، وسماحة الإسلام، ونبل مقاصده، وجلَّى مكامن القوة فيه، وعرَّف الناس بالبون الشاسع بين حقيقة أهداف المسلمين، والمشركين، ثم هم مع ذلك كله قد رجعوا سالمين، ومن دون أية خسائر تذكر..

٣ ـ لقد أوضحت الآيات: أن من جملة ما حققه صلح الحديبية هو: أن الله تعالى قد جعل الأمور باتجاه أرغم قريشاً على اتخاذ موقف من شأنه أن يسقط مزاعمها في حق رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ فإن الصلح قد ركز القناعة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يسعى في قطع الأرحام، ولم يكن يمارس العدوان والبغي، وأنه إنما يطالب بالكف عن الظلم وعن البغي، وأنه الوصول، الودود، الرحيم، الرضي، الذي يتعامل بالصفح والعفو حتى عن أعدى أعدائه...

وهذا هو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..**﴾ فقد هيأ الصلح قريشاً للإقرار: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن مذنباً في حقها، بل هي سوف تبرؤه من الذنب، حتى حين تسير الأمور باتجاه لا ترضاه، أو باتجاه ما ترى أنه لا يخدم مصالحها الخاصة.

وبعد.. فإننا نستطيع أن نفهم الكثير من نتائج هذه الهدنة من ملاحظة نفس الشروط التي وضعت في وثيقة الصلح، ومن هذه النتائج والفوائد:

ألف ـ أن الصلح قد أفسح المجال أمام الكثير من المشركين والمسلمين للتلاقي في مكة وفي المدينة وغيرهما، وطرح القضايا فيما بينهم على بساط البحث، والتقى الأصدقاء والأهل، وذوو الأرحام ببعضهم، وبذلوا لهم النصيحة، من موقع المحبة والإخلاص والصدق.

وقد أسهم كل ذلك: في اتضاح كثير من الأمور التي كانت مبهمة لدى المشركين فيما يختص بحقائق الإسلام، وما يسعى إليه المسلمون. وتكونت لدى الكثيرين منهم قناعات جديدة سهلت عليهم الدخول في هذا الدين، أو هي على الأقل قد أسهمت في تخفيف حدة العداء له، والتقليل من

مستويات التشنج ضده.

ب ـ يضاف إلى ذلك: أن الكثيرين من المشركين قد شاهدوا عن قرب أحوال النبي «صلى الله عليه وآله»، وربما بعض معجزاته، وعاينوا حسن سيرته، وحميد طريقته، وجميل أخلاقه الكريمة، وعرفوا الكثير عن طبيعة تعاطيه مع القضايا، وأدركوا: أن ما يسعى إليه ليس هو التسلط على الآخرين، واكتساب الامتيازات على حسابهم، بل هو يريد: أن يحقق لهم المزيد من الرفعة والشوكة، والكرامة والعزة..

وهذا أمر لم يعرفوه ولم يألفوه في زعمائهم، الذين يريدون: أن يتخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً..

فلابد أن تميل نفوسهم إلى الإيمان، ويبادر خلق منهم إلى الإسلام ويزداد الآخرون له ميلاً[1].

وكان ذلك أعظم الفتح، فقد دخل الإسلام في تينك السنتين مثل ما دخل فيه قبل ذلك، بل أكثر[2].

بل لقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: « فما انقضت

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص ومكاتيب الرسول ج٣ ص٩٤ وشرح صحيح مسلم للنووي ج١٢ ص١٤٠ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٨٠ والسيرة النبوية لدحلان ج٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٣ والنص والإجتهاد ص١٨٣ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٩٤ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٥٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٦٤ والكامل في التاريخ ج٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢.

تلك المدة (وهي سنتا الهدنة) حتى كاد الإسلام يستولي على أهل مكة»[1].

ج ـ إن شروط الصلح: قد مكنت من إظهار الإسلام في مكة، بعيداً عن أي ضغوط حتى النفسية منها، فلم يعد أحد يمنع أحداً من الدخول في الإسلام، فدخل فيه من أحب. ولم يعد الداخل في هذا الدين يخشى الاضطهاد، والأذى، بل هو قد أصبح آمناً حتى من ممارسة بعض الضغوط النفسية ضده، حيث لم يعد التعيير به مسموحاً بمقتضى المعاهدة..

ولو أن النبي «صلى الله عليه وآله» اختار طريق الحرب، فإن ضرراً بالغاً سوف يلحق بهؤلاء المسلمين المستضعفين؛ لأن قريشاً سوف تشتد عليهم، ولربما قتلت الكثير منهم، كما أن جيوش المسلمين لا تعرف المسلم من غير المسلم منهم، خصوصاً مع ما هم عليه من التقية والتستر، كما أنهم لا يعرفون من أصبح له ميل ورغبة في الدخول في هذا الدين، لكنه غير قادر على المبادرة إلى ذلك في هذا الوقت، بل يكون مجبراً على مجاراة أهل الشرك، والتظاهر بحرب المسلمين معهم.. وهذا سوف ينتهي بقتل عدد كبير من هؤلاء أيضاً..

فكان الصلح سبباً في حفظ هؤلاء، وأولئك، وهو صلح سعت إليه قريش نفسها، وظهر إعزاز الله تعالى لأوليائه، ولدينه.

د ـ إن هذا العهد، قد جعل المسلمين في مأمن من جانب قريش،

---

(١) البحار ج٢٠ ص٣٦٣ وإعلام الورى ص٦١ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٥ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٩٤ وإعلام الورى ج١ ص٢٠٥ والكافي ج٨ ص٣٢٦ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٤٤.

فتفرغوا لنشر الإسلام في سائر القبائل، ليصبح المحيط الإسلامي أكثر اتساعاً، ويتم التحول من حالة حصار للإسلام في المدينة، وضواحيها القريبة، إلى حالة حصار لقريش في مكة، بل حصارهم في بعض زواياها، وكان الإسلام ينتشر في مكة بسرعة، فيدخل كل بيت، وشمل كل القبائل والشعَب والأفخاذ.

فما حققه «صلى الله عليه وآله» في هذا الصلح أضعاف أضعاف ما تحقق في حروبه الدفاعية مع قريش وسواها، حسبما تقدم.

ويكفي للتدليل على ذلك، أنهم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد بعث بعد الحديبية سراياه وبعوثه في مهمة الدعوة إلى الله تعالى، فلم تبق كورة ولا مخلاف في اليمن والبحرين، واليمامة إلا وفيها رسل النبي «صلى الله عليه وآله»، والناس يدخلون في دين الله أفواجاً[1].

وإذا كان قد جاء إلى الحديبية بألف وأربع مائة أو نحو ذلك، فإنه جاء بعد سنتين فقط بعشرة آلاف مقاتل، وفتح الله له مكة، ودخلها من غير قتال[2].

هـ ـ دخول النبي «صلى الله عليه وآله» مكة في العام التالي، وأداء مناسك العمرة، من دون قتال..

---

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص٩٥.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج٥ ص٣٥١ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٣٤ والمناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص٢٤ والكامل في التاريخ ج٢ ص٩٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٨٧ ومستدرك الوسائل ج٤ ص٨١ والدر المنثور ج٦ ص٤٠٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٤١.

وهذا يمثل اعترافاً من قريش بقوة الإسلام، وبأن للمسلمين الحق في ممارسة شعائر دينهم حتى في مكة، وبأنها كانت ظالمة لهم في حرمانهم من هذا الحق.

كما أن ذلك يعطي الآخرين مزيداً من الجرأة على التعامل مع المسلمين، وليس لقريش أن تعترض على أحد في ذلك، أو أن تمارس ضده أية ضغوط، لأن ذلك سوف يفهم على أنه بغي، وابتزاز لا مبرر له.. ولا بد أن يسقط ذلك هيبتها، ويسوق الناس إلى المقارنة بين طريقتها في التعامل، وبين طريقة أهل الإسلام، وتكون النتيجة هي المزيد من التعاطف معهم ضدها..

هذا بالإضافة إلى أن هذا النصر قد أعطى المسلمين شحنة روحية، وزادهم ثقة بأنفسهم، وتصميماً على المطالبة بحقوقهم، ووطد الآمال بالوصول إليها والحصول عليها، وإن طال السرى..

و ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يملك الجيش المتحمس، والقادر والمستعد لكل التضحيات..

وهو مع ذلك قد رجع عن إتمام عمرته، وأحل ونحر البدن في موضعه، مقابل وعد أعطي له بأن يعود إلى مكة في العام التالي معتمراً، وزائراً، ومعظماً للبيت، لكي يمكن المسلمين والمشركين من الاجتماع بأهلهم وذويهم.

وذلك من شأنه أن يعرف الناس عملياً: أن جميع ما كانت تبثه قريش من إشاعات عن أنه «صلى الله عليه وآله» لا يعظم البيت، وأنه يسعى لإفساد حياة الناس، ويريد قطع الأرحام، هو محض افتراء لا واقع له، والشواهد كلها على خلافه.

فها هو الجيش القادر والمستعد لدخول مكة عنوة، وها هي قريش في غاية الضعف والوهن، ولا يلومه أحد لو أنه سدد الضربة القاضية لها. فإنها كانت ولا تزال تسعى جاهدة لاستئصال شأفته، وإعفاء آثاره، ومحوها من الوجود والحياة..

وها هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» يؤثر الرجوع عنها رغم ذلك كله، رغبة في حقن الدماء وإيثاراً لتعظيم البيت، وسعياً في صلة الأرحام، وفي تخفيف آلام الناس.

ز ـ إن قريشاً قد رأت كيف أن عدداً من ملوك العرب والعجم كانوا بعد الحديبية يخطبون ودَّ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورأت أن باذان عامل كسرى قد دخل في الإسلام، وأسلم أيضاً عدد من ملوك العرب والعجم، وأرسل الملوك، مثل المقوقس وملك الحبشة وغيرهما الهدايا إلى إليه «صلى الله عليه وآله».

كما أن أبا سفيان قد رأى تعظيم قيصر ملك الروم لكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فأسهم ذلك كله في ترسيخ هيبته «صلى الله عليه وآله» لدى قريش، واضطرها إلى أن تخفف من غلوائها. ووجدت نفسها مضطرة للاستسلام له في فتح مكة حتى دخلها من دون قتال..

ح ـ إن ثمرات هذا الصلح قد بدأت بالظهور في لحظة إبرامه، حيث إنه لما كتب فيه: «وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل».

تواثبت خزاعة، وقالوا: «نحن في عقد محمد وعهده»..

وتواثبت بنو بكر، فقالوا: «نحن في عقد قريش وعهدهم».

وخزاعة كانت تعيش مع قريش في مكة ومحيطها، وكانت عيبة نصح لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلم تعد قريشاً ـ التي ظهر أن الحرب قد أكلتها وأوهنت قواها ـ وحدها في مكة، بل أصبح شركاء محمد «صلى الله عليه وآله» وحلفاؤه يعيشون معها، وليس لها أحد في المدينة يجهر بالتحالف، أو يعترف بالشراكة لها، أو بالتعاون معها..

هذا بالإضافة إلى: أنها تضطر بمقتضى الصلح إلى رفع اليد عن مصادرة حرية حتى من أسلم من أبنائها، وأصبح لهم الحق في أن يعيشوا معها دون أن تتمكن من إلحاق أي أذى بهم.

وبذلك يكون معسكر الشرك قد انقسم على نفسه بصورة أعمق وأوثق، وأوضح وأصرح. وأصبح هذا الانقسام محمياً بالعهود والمواثيق..

فإذا انضم ذلك إلى ما نتج عن وساطة الحليس، وعمرو بن مسعود، حيث رجع ابن مسعود بمن معه إلى الطائف، واتخذ الحليس موقفاً صارماً من قريش. فإن الأمر يصبح أشد خطورة عليها ، وزادها مسير النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الحديبية، وكذلك عقده وعهده معها وهناً على وهن.

ط ـ وقد رضي المشركون بالفوز بانتصار وهمي، وشكلي، حين سجلوا على أنفسهم عهداً، وأعطوا وعداً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» يقضي بنقض كل قراراتهم السابقة، ويشير إلى: أن كل تلك الحروب التي شنتها ضده «صلى الله عليه وآله» والمسلمين طيلة السنوات الست السابقة كانت ظالمة وبلا فائدة ولا عائدة..

فإنها قد اعترفت: بأن للنبي «صلى الله عليه وآله» الحق في زيارة البيت

وأداء المناسك، فلماذا شنت عليه كل تلك الحروب؟! وأدخلت كل تلك المصائب والبلايا على الناس؟! وخلقت هذا الكم الكبير من العداوات بين القبائل والفئات المختلفة؟!.

إن نفس هذا الاعتراف والعهد يجعل نفس هذا التأخير إلى العام المقبل أيضاً بلا معنى، بل هو يدخله في دائرة العدوان أيضاً، لأن مبرراته المعلنة هي: أنهم يريدون إرضاء عنجهيتهم، وتنفيس كربتهم.

ي ـ إن هذا الشرط الذي نفر منه المسلمون كان إنجازاً عظيماً لهم لو تدبروا فيه، فإن من يريد الفرار إلى المشركين يكون فراره رحمة للمسلمين؛ لأن وجوده بين المسلمين بعد أن ارتد عن الدين، ونكص على عقبيه، ليس فقط سيكون بلا فائدة ولا عائدة، بل سيكون مضراً لهم، فيما لو سعى في إثارة الشبهات بين الضعفاء من الناس، أو إذا مارس التجسس على المسلمين، وعرَّف المشركين بنقاط ضعفهم، أو أعلمهم بطبيعة تحركاتهم وبتدبيراتهم في المواقع التي يجب أن تبقى طي الكتمان عنهم..

وأما المسلم الذي يريد الخروج إلى المسلمين فيمنعه المشركون، فإن وجوده بين المشركين ـ وهو متمسك بدينه ـ سيكون مفيداً جداً؛ لأنه وهو بينهم لابد أن يمارس شعائر دينه، وربما تسنح له فرص كثيرة لطرح قضية الإيمان مع الكثيرين ممن يتصلون به، أو يبذلون جهداً لإقناعه بالتخلي عن دينه والعودة إلى ما كان عليه.. وقد يوفقه الله تعالى لإقناع بعضهم، أو لإثارة تساؤلات لديهم..

ولعل هناك من يلمس في سلوكه الرسالي، ما يجعله مهيئاً لاختيار الإيمان على الشرك..

ولعله لأجل ذلك وسواه قال «صلى الله عليه وآله»: «نعم.. إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاء منهم إلينا فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً»(١).

ك ـ إنه بعد أن أصبح المسلمون في راحة من جهة قريش، راسل «صلى الله عليه وآله» الملوك من حوله.. فأرسل كتب الدعوة إلى الإسلام إلى كسرى، وقيصر، والمقوقس، وغيرهم. وكان ذلك بعد الحديبية في السنة السادسة أو السابعة بعد الهجرة(٢).

وهذا يفسح المجال للشعوب لتتسامع بأنباء بعثته، وتلتفت إلى دعوته، كما أن ذلك يؤكد هيبته في كل المحيط الذي يعيش فيه.

ل ـ إنه في ظل صلح الحديبية انطلق النبي «صلى الله عليه وآله» إلى يهود خيبر الذين كانوا وما يزالون يعلنون الحرب على الإسلام والمسلمين،

---

(١) راجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٧٩ والكافي ج٨ ص٣٢٦ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٩٢ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٥٣ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٣٥٧ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٢٠ و ٢٢٧ والمصنف لعبد الرزاق (٩٧٢٠) وجامع البيان ج٢٦ ص٥٩ و ٦٣ وتفسير القرآن العظيم ج٧ ص٣٢٤ وأخرجه: أبو داود في الجهاد باب (١٦٧) والسيوطي في الدر المنثور ج٦ ص٧٨ والسيرة النبوية لدحلان ج٢.

(٢) راجع: مكاتيب الرسول (ط دار صعب) ج١ ص١١٣ عن الطبقات الكبرى ج١ ص٢٥٨ و ٢٥٩ وعن الكامل في التاريخ ج٢ ص٨٠ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٨ وتاريخ أبي الفدا ج١ ص١٤٨ والتنبيه والإشراف ص٢٢٥.

وينشئون التحالفات مع أعدائهم ويحرضون ويتآمرون، ويثيرون المشكلات الكبيرة والخطيرة، كلما سنحت لهم الفرصة، وواتاهم الظرف.

وكان اليهود أكبر قوة ضاربة ومتماسكة في منطقة نقطة الارتكاز للوجود الإسلامي، فقد كانوا قادرين على تجهيز عشرة آلاف مقاتل من اليهود في المنطقة، فزحف إليهم النبي «صلى الله عليه وآله» في ألف وأربع مائة مقاتل..

وهو أمر لم يكن متيسراً له «صلى الله عليه وآله» قبل الحديبية، فإنه لم يكن يستطيع أن يخلي المدينة من أهلها ليقود جيشاً يجمع فيه كل القوى المقاتلة، ويترك المدينة من دون قوة تدافع عنها؛ لأن قوى الشرك كانت تنتظر تلك اللحظة لكي تنقض على عاصمة الإسلام وقلبه النابض.

وقد منع عهد الحديبية قريشاً من مهاجمتها، ومن أن تمد يد العون ليهود خيبر، ولغيرهم. وكانت سائر القبائل القريبة أضعف وأهون من أن يخشى منها أمر من هذا القبيل. لأنها تعرف العواقب الوخيمة التي تنتظرها لو سارت في هذا الاتجاه.

وانتصر المسلمون على اليهود وأسقطوا كبرياءهم في المنطقة كلها: في خيبر، وفدك، ووادي القرى وتيماء.. وغير ذلك..

م ـ ثم هناك الانطلاقة الكبرى إلى خارج المحيط الذي كان يعيش فيه المسلمون، وذلك في غزوة مؤتة التي أظهر فيها ثلاثة آلاف جندي أعظم البطولات في مواجهة جيش يضم عشرات الألوف، الأمر الذي أعطى للدولة البيزنطية انطباعاً حاسماً وقوياً عن بسالة الإنسان المسلم، وأفهمهم: أنهم مقدمون على تحولات ومتغيرات كبيرة، قد يكون لها أعظم الأثر على

مستقبل حياتهم السياسية، والدينية والاجتماعية.. وغيرها..

ن ـ إن قريشاً قد اضطرت إلى الاعتراف بقوة المسلمين، وأنها أصبحت متكافئةً معها، وأنها قوة لها حضورها، ولابد أن تتعامل معها معاملة الند للند. ولولا أنها رأت فيها ذلك، لم تقدم على عقد الصلح معها.

وقبل الحديبية لم تكن قريش على استعداد للاعتراف بهذا التكافؤ، بل ظلت تعتبر المسلمين حالة تمرد شاذة، لابد من السيطرة عليها، وإخضاعها، ولا يجوز أن يسمح لها ـ بوصفها شرذمة خارجة عن القانون ـ: بأن تبقى على ما هي عليه، بل لابد من إنزال أقصى الضربات بها، والتخلص منها بصورة، أو بأخرى.

س ـ والغريب في الأمر هنا: أن المشركين بعد مدة يسيرة يقدمون التماساً، ويوسِّطون لدى النبي «صلى الله عليه وآله» وسطاء ليرضى بإعفائهم من الشرط الذي اعتبروه نصراً لهم، واعتبره المسلمون إعطاءً للدنية من دينهم..

فإن أبا بصير عتبة بن أسيد، وأبا جندل، وثلاث مائة من المسلمين وأكثرهم من الذين حبسهم المشركون في مكة قد تسللوا منها، ولكنهم لم يأتوا إليه «صلى الله عليه وآله»، لعلمهم بأنه سوف يردهم إلى مكة، بل ذهبوا إلى سيف البحر، فكانوا لا تمر عير لقريش إلا أخذوها، وقتلوا من فيها.

فأرسلت قريش أبا سفيان إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يسألونه ويتضرعون له بأن يبعث إلى أبي جندل ليأتي إليه، وإن كل من أتى منهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فهو له..

ولتفصيل ما جرى نقول:

أبو بصير يقتل آسريه، ويعتصم بالساحل:

روى عبد الرزاق، والإمام أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، عن المسور بن مخرمة، والبيهقي، عن ابن شهاب الزهري[1]: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما قدم المدينة من الحديبية أتاه أبو بصير عتبة بن أَسيد ـ بوزن أمير ـ بن جارية الثقفي، حليف بني زهرة مسلماً، قد أفلت من قومه، فسار على قدميه سعياً.

فكتب الأخنس بن شريق، وأزهر بن عبد عوف الزهري إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً، وبعثا خنيس بن جابر، من بني عامر بن لؤي، استأجراه ببكر، ابن لبون، وحملاه على بعير، وكتبا يذكران الصلح الذى بينهم، وأن يرد إليهم أبا بصير، فخرج العامري ومعه مولى له يقال له: كوثر دليلاً، فقدما بعد أبي بصير بثلاثة أيام، فقرأ أبي بن كعب الكتاب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فإذا فيه:

قد عرفت ما شارطناك عليه، وأشهدنا بينك وبيننا، من رد من قدم عليك من أصحابنا، فابعث إلينا بصاحبنا.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا بصير أن يرجع معهما، ودفعه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٦١ وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج٥ ص٣٢٩ في الشروط، وأبو داود في الجهاد باب ١٦٧ وأحمد ج٤ ص٣٣١ والبيهقي في الدلائل ج٤ ص١٠٧ وفي السنن ج٩ ص٢٢١ وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٢٠) وانظر: البداية والنهاية ج٤ ص١٧٦.

إليهما فقال: يا رسول الله، تردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟

فقال: «يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر. وإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجاً ومخرجاً».

فقال: يا رسول الله، تردني إلى المشركين؟!!

قال: «انطلق يا أبا بصير، فإن الله سيجعل لك فرجاً ومخرجاً».

فخرج معهما، وجعل المسلمون يسرون إلى أبي بصير: يا أبا بصير، أبشر، فإن الله جعل لك فرجاً ومخرجاً، والرجل يكون خيراً من ألف رجل، فافعل وافعل: يأمرونه بقتل الذين معه.

وقال له عمر: أنت رجل، ومعك السيف، فانتهيا به عند صلاة الظهر بذي الحليفة، فصلى أبو بصير في مسجدها ركعتين، صلاة المسافر، ومعه زاد له من تمر يحمله، يأكل منه. ودعا العامري وصاحبه ليأكلا معه، فقدما سفرة فيها كسر، فأكلوا جميعاً، وقد علق العامري سيفه في الجدار وتحادثا.

ولفظ عروة: فسل العامري سيفه ثم هزه فقال: لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل.

فقال له أبو بصير: أصارم سيفك هذا؟

قال: نعم.

قال: ناولنيه أنظر إليه إن شئت، فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به حتى برد.

قال ابن عقبة: ويقال: بل تناول أبو بصير السيف بفيه، وصاحبه نائم، فقطع إساره، ثم ضربه به حتى برد، وطلب الآخر، فجمز مذعوراً مستخفياً.

وفي لفظ: وخرج كوثر هارباً يعدو نحو المدينة، وهو عاض على أسفل ثوبه قد بدا طرف ذكره، والحصى يطير من تحت قدميه من شدة عدوه، وأبو بصير في أثره، فأعجزه. وأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو جالس في أصحابه بعد العصر، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين رآه: «لقد رأى هذا ذعراً. فلما انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «ويحك ما لك»؟

قال: قتل والله صاحبكم صاحبي، وأفلت منه ولم أكد. وإني لمقتول.

واستغاث برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمنه، وأقبل أبو بصير فأناخ بعير العامري. ودخل متوشحاً سيفه. فقال: يا رسول الله قد وفت ذمتك، وأدى الله عنك، وقد أسلمتني بيد العدو، وقد امتنعت بديني من أن أفتن.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ويل أمه مسعر حرب»!![1].

---

(١) مسعر حرب، أي: موقدها، انظر المعجم الوسيط ج١ ص٤٣٢ والبحار ج٢٠ ص٣٣٦ ومسند أحمد ج٤ ص٣٣١ وعن صحيح البخاري ج٣ ص١٨٣ وعن سنن أبي داود ج١ ص٦٣ والمصنف لعبد الرزاق ج٥ ص٣٤١ والمعجم الكبير ج٢٠ ص١٥ وإرواء الغليل ج١ ص٥٩ ومجمع البيان ج٩ ص١٩٩ وجامع البيان ج٢٦ ص١٣١ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٤ والدر المنثور ج٦ ص٧٨ وإكمال الكمال ج١ ص٥٩ وج٢ ص٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٢ ص١٣ وج٥٧ ص٢٣٠ وأسد الغابة ج٣ ص٣٦٠ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٤٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٠١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٦٢.

وفي لفظ: «محش حرب، لو كان معه رجال»!![1].

وفي لفظ: «له أحد»!.

قال عروة، ومحمد بن عمر: وقدَّم سلب العامري لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ليخمسه، فقال: «إني إذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه. ولكن شأنك بسلب صاحبك، واذهب حيث شئت».

وفي الصحيح: أن أبا بصير لما سمع قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد»! عرف أنه سيرده. فخرج أبو بصير، ومعه خمسة كانوا قدموا معه مسلمين من مكة حين قدم على الرسول «صلى الله عليه وآله»، فلم يكن طلبهم أحد حتى قدموا سيف البحر.

ولما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير العامري اشتد عليه، وقال: ما صالحنا محمداً على هذا.

فقالت قريش: قد برئ محمد منه، قد أمكن صاحبكم منه فقتله بالطريق، فما على محمد في هذا؟

فأسند سهيل ظهره إلى الكعبة وقال: والله لا أؤخر ظهري حتى يودى هذا الرجل.

قال أبو سفيان بن حرب: إن هذا لهو السفه، والله لا يودى ـ ثلاثاً ـ

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٦٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٤ والبحار ج٢٠ ص٣٣٦ و ٣٦٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٢٧ وأسد الغابة ج٥ ص١٥٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٨٨ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٣١.

وأنى قريش تديه، وإنما بعثته بنو زهرة؟

فقال الأخنس بن شريق: والله ما نديه، ما قتلناه، ولا أمرنا بقتله، قتله رجل مخالف؛ فأرسلوا إلى محمد يديه.

فقال أبو سفيان بن حرب: لا، ما على محمد دية ولا غرم، قد برئ محمد. ما كان على محمد أكثر مما صنع. فلم تخرج له دية.

فأقام أبو بصير وأصحابه بسيف البحر، وقال ابن شهاب: بين العيص وذي المروة من أرض جهينة، على طريق عيرات قريش.

قال محمد بن عمر: لما خرج أبو بصير لم يكن معه إلا كف تمر، فأكله ثلاثة أيام، وأصاب حيتاناً قد ألقاها البحر بالساحل فأكلها. وبلغ المسلمين الذين قد حبسوا بمكة خبر أبي بصير، فتسللوا إليه.

قال محمد بن عمر: كان عمر بن الخطاب هو الذي كتب إليهم بقول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأبي بصير: «ويل أمه محش حرب لو كان له رجال»، وأخبرهم أنه بالساحل.

وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو الذي رده رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المشركين بالحديبية، فخرج هو وسبعون راكباً ممن أسلموا فلحقوا بأبي بصير، وكرهوا أن يقدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هدنة المشركين، وكرهوا الثواء بين ظهراني قومهم، فنزلوا مع أبي بصير.

ولما قدم أبو جندل على أبي بصير سلم له الأمر، لكونه قرشياً. فكان أبو جندل يؤمهم. واجتمع إلى أبي جندل ـ حين سمع بقدومه ـ ناس من بني غفار، وأسلم، وجهينة، وطوائف من الناس، حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل ـ كما عند البيهقي عن ابن شهاب ـ لا تمر بهم عير لقريش إلا أخذوها، وقتلوا

من فيها، وضيقوا على قريش، فلا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه.

ومما قاله أبو جندل بن سهيل في تلك الأيام:

أبلغ قريشاً عن أبي جندل ... أنا بذي المروة في الساحل

في معشر تخفق راياتهم ... بالبيض فيها والقنا الذابل

يأبون أن تبقى لهم رفقة ... من بعد إسلامهم الواصل

أو يجعل الله لهم مخرجاً ... والحق لا يغلب بالباطل

فيسلم المرء بإسلامه ... ويقتل المرء ولم يأتل

فأرسلت قريش إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا سفيان بن حرب، يسألونه ويتضرعون إليه: أن يبعث إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهم.

وقالوا: من خرج منا إليك فأمسكه، فهو لك حلال، غير محرج أنت فيه.

وقالوا: فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح إقراره.

فكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أبي بصير وأبي جندل يأمرهما: أن يقدما عليه. ويأمرا من معهما ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم، فلا يتعرضوا لأحد مر بهم من قريش وعيراتها.

فقدم كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أبي بصير وهو يموت. فجعل يقرؤه، ومات وهو في يديه، فدفنه أبو جندل مكانه، وجعل عند قبره مسجداً.

وقدم أبو جندل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومعه ناس من أصحابه. ورجع سائرهم إلى أهليهم، وأمنت بعد ذلك عيرات قريش.

قال عروة: فلما كان ذلك من أمرهم، علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يمنع أبا جندل من أبيه بعد القضية: أن طاعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» خير لهم فيما أحبوا وفيما كرهوا من رأي من ظن أن له قوة هي أفضل مما خص الله تعالى به رسوله «صلى الله عليه وآله» من الفوز والكرامة.

ولما دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام القضية، وحلق رأسه قال: «هذا الذي وعدتكم»[1].

مصير أبي بصير:

إن من الأمور التي تؤلم الإنسان وتؤذي روحه هو أن يبذل جهداً مضنياً، حتى إذا رأى: أنه قد حصل على مبتغاه ابتلي بفقده، فكيف إذا استبدل بضده. فإن المصيبة عليه ستكون أعظم، والألم سوف يكون أشد..

وبمقدار ما يكون ذلك الشيء الذي يسعى له ثميناً وعزيزاً، وغالياً لديه، بمقدار ما تتعذب روحه لفقده، وتعظم مصيبته فيه، فكيف إذا كان أثمن وأغلى ما في الوجود عليه، وأعز عليه من كل عزيز، وهومستعد لأن يبذل من أجله ماله، وولده، وحتى روحه التي بين جنبيه، فكيف يمكن لنا أن نتصور حاله حين يفقده، بعد أن وجده؟!

وهذا بالذات هو ما جرى لأبي بصير الذي أفلت من قومه، وجاء إلى المدينة سعياً على قدميه، والآمال العِذاب تراود خاطره، بأن يملك حريته،

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٦١ ـ ٦٣ والبحار ج٢٠ ص١٤١ وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٦٠ وج١٥ ص٢٥.

ويكون مع أهله وأحبابه، حيث العزة والكرامة، والمحبة، والقلوب الصافية، والعاطفة المتوهجة، وحيث يكون مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، خير الخلق، وأشرف الكائنات..

ولم تدم فرحته ثلاثة أيام حتى حلَّت به الكارثة، فقد وصل كتاب قريش، يطالب بإرجاعه إليها، ليواجه السجن، والقيد والذل، والعذاب، والأذى النفسي، والمهانة، والفتنة في الدين وما إلى ذلك..

فأمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأن يرجع مع الرسولين، ودفعه إليهما.. وقال له: نفس الكلمات التي كان قالها لأبي جندل حين سلَّمه لأبيه سهيل بن عمرو، حين كتابة صلح الحديبية.

أبو بصير يقتل آسره:

ويذهب أبو بصير مع آسريه، ويسير معهما على طريق العذاب والآلام، وهو يرى أن آسريه محاربون له ولدينه، ومعتدون على حريته وعلى كرامته، وهو لم يعقد معهم عهداً يعطيهم الحق بقهره وظلمه، وبالعدوان عليه.. ويرى أن له كل الحق بدفع السوء عن نفسه، وأن لا يمكنهم من إلحاق الأذى به.

كما أنه ليس لمحاربه وآسره أن يغفل الاحتياط لنفسه، وأن يطالب بالأمان من ناحيته.. فإذا قصر في حفظ نفسه، وظفر به عدوه فلا يلومن إلا نفسه، فأبو بصير لم يعتد على آسره ولم يظلمه حتى حين يباشر قتله، بل هو قد مارس حقه الطبيعي بالدفاع عن نفسه.

النبي ﷺ يجير المشرك:

وقد كانت إجارة النبي «صلى الله عليه وآله» لذلك الهارب من أبي بصير، تفضلاً منه «صلى الله عليه وآله» وكرماً، فإن الأمر يرجع إليه في أن يستجيب له أو لا يستجيب.. ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يخيب من أمله، ويطلب معونته، حتى لو كان مخالفاً لدينه، وساعياً في إلحاق الأذى به..

النبي ﷺ لا يجيب أبا بصير:

وقد لاحظنا: أنه حين قال أبو بصير للنبي «صلى الله عليه وآله»: وفت ذمتك. لم يجبه «صلى الله عليه وآله» بشيء، لا سلباً ولا إيجاباً. إذ لا مجال للإجابة بالنفي؛ لأن ذلك غير واقعي، وليس من المصلحة الإجابة بالإيجاب، حتى لا تسيء قريش فهم القضية، وتتخذ ذلك ذريعة لاتهامه «صلى الله عليه وآله» بما هو بريء منه..

ويل أمه مسعر حرب، لو كان معه رجال:

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» أطلق كلاماً عاماً، يصف فيه أبا بصير، دون أن يتمكن أحد من اتخاذه ذريعة لتسجيل مؤاخذة مباشرة عليه، حيث ذكر «صلى الله عليه وآله»: أن أبا بصير قادر على أن يسعر حرباً لو كان معه رجال.

وهو وإن كان وصفاً له بأمر عام يمكن أن يستفاد منه الإغراء بأمر من هذا القبيل.. ويمكن المناقشة والتشكيك القوي في أن يكون قد قُصد ذلك منه فإنه لم يحدد زمان ومكان هذه الحرب التي يجب أن يسعرها هذا الرجل..

ولكن لأبي بصير أن يفهم: أن نفس سماع النبي «صلى الله عليه وآله» لهذا الكلام، وبهذه الطريقة لابد أن يكون له مغزى ويتضمن توجيهاً خفياً عليه أن يعرفه، وأن يسعى لتحقيقه.. وهو:

أن عليه أن يجد رجالاً، وأن يسعر حرباً على أعدائه وأن يخلص نفسه من الورطة التي هو فيها..

النبي ﷺ يقبل خمس السلب:

وقد صرحت النصوص المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرض أن يأخذ خمس سلب ذلك القتيل، موضحاً له أن سياسته هي أن لا يعطي قريشاً ما ينفعها في توجيه أي تهمة له، فقال:

«إني إذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن شأنك بسلب صاحبك، واذهب حيث شئت».

وبذلك يكون قد أعلمه: أن عمله كان مشروعاً، فإنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل له: لا خمس عليك فيه، بل أفهمه: أن الخمس ثابت في هذا السلب، ولكن ليس من المصلحة أن يأخذه منه.. لأن قريشاً سوف تدفع بالأمور باتجاه توجيه التهمة الصريحة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنه وراء قتل الرجل، وأنه هو الآمر بذلك.

قريش تعيش الإرباك والانقسام:

وبالرجوع إلى خلافات قريش في دية المقتول، نخرج بالنتائج التالية:

١ ـ إن قريشاً لم تستطع أن تدي ذلك القتيل، ولم تتفق على رأي في من يجب أن يديه.

٢ ـ إن قريشاً بمن فيها أبو سفيان قد برأت النبي «صلى الله عليه وآله» من أن يكون هو المطالب بدفع الدية. ولم يستطع أحد منهم أن يدفع هذا القول، أو أن يسجل تحفظاً عليه.

مما يعني: أن أسلوب النبي «صلى الله عليه وآله» في التعامل مع هذا الأمر كان غاية في الدقة والحكمة.

٣ ـ إن قريشاً حتى وهي تواجه مشكلة تمس كبرياءها، وترى أنها تمثل عدواناً عليها، قد تعاملت مع تلك المشكلة بالمنطق القبلي، الذي يكرس الحقد والانقسام العشائري، خصوصاً حين يقول أبو سفيان: أنَّى قريش تديه، وإنما بعثته بنو زهرة.

أسلم وغفار وجهينة مع أبي جندل:

وقد كانت قبائل أسلم، وغفار، وجهينة، تسكن حول المدينة، وهي قبائل من الأعراب، كان فيهم طائفة من المنافقين، أخبر عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ**..﴾[1].

ويلاحظ: أن من هذه القبائل أشخاصاً انضموا إلى أبي جندل، ونحسب أن ذلك لكونهم وجدوا الفرصة سانحة للحصول على المال، من التجارات التي يصادرها أبو جندل، حيث ظهر لهم: أنه قد اتخذ موقعاً حساساً على طريق قوافل قريش التجارية..

---

(١) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

واللافت: أن سائر القبائل لم ينفر من أفرادها ما يدعو إلى الإشارة إليها بالبنان كما كان الحال بالنسبة للقبائل الثلاث التي سلف ذكرها..

ذل قريش:

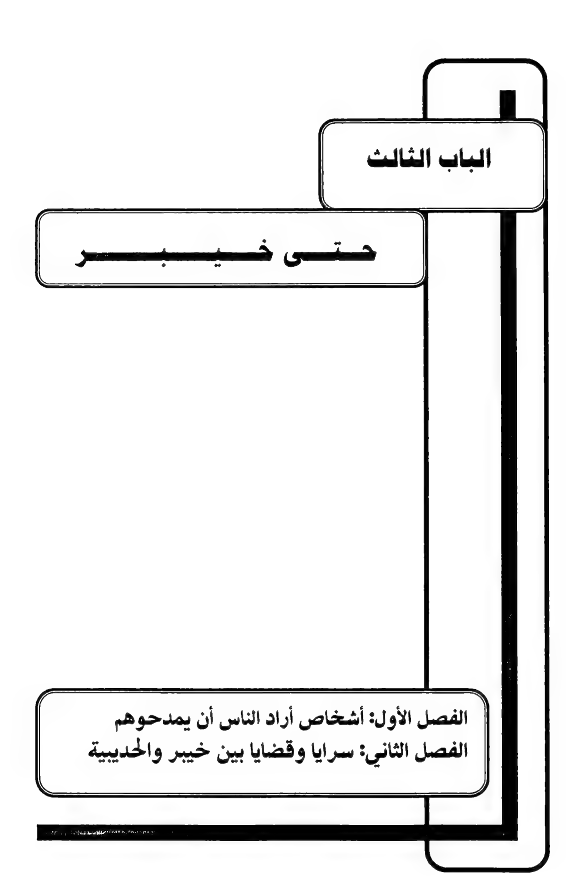
وقد ألمحنا فيما سبق: إلى أن ما فعله أبو جندل وأبو بصير، قد أوقع قريشاً في مأزق حقيقي، وجدت أن إرسال الكتب والرسائل لا يفيد في إخراجها منه.

كما أن إرسال أناس عاديين لا يكفي في ذلك، فاضطرت إلى إرسال أحد قادتها الكبار، الذي عرف بشدة الطغيان والجحود، وبجمع الجموع، وقيادة الجيوش لحرب الرسول «صلى الله عليه وآله»، وهو أبو سفيان بن حرب، أرسلته إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لتطمئن إلى انحلال العقدة، والخروج من الأزمة.

واللافت هو: أن طلب قريش من الرسول «صلى الله عليه وآله» لم يكن طلباً عادياً، بل كان طلب الضارع الملح، الذي يظهر المزيد من المسكنة والضعف، لاستجلاب رضاه «صلى الله عليه وآله»، الذي كانت تسعى في استئصال شأفته، وخضد شوكته.

وقد كان تدخُّله هذا تفضلاً منه، ونبلاً وكرماً، فهو «صلى الله عليه وآله» يساعد حتى عدوه الذي طالما شن عليه الحروب، وقتل الخلصاء والأصفياء، وسعى في طمس هذا الدين، وإبطال جهود جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يساعد على حفظ السلام، وبسط جناح الأمن، مع أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن مطالباً، لا من ناحية أدبية، ولا

من ناحية سياسية، ولا بأي ميزان عرفه الناس آنئذٍ، بدفع هؤلاء المظلومين عما يطالبون به، وما يسعون إليه، فإن هؤلاء الذين أُخذوا بكظم قريش لم يأتوا إليه، ولم ينطلقوا من عنده، ولا كان عملهم تنفيذاً لأوامر صدرت منه، وإنما هي مبادرة منهم لم تنص المعاهدة بمسؤوليته عن أي شيء تجاهها.

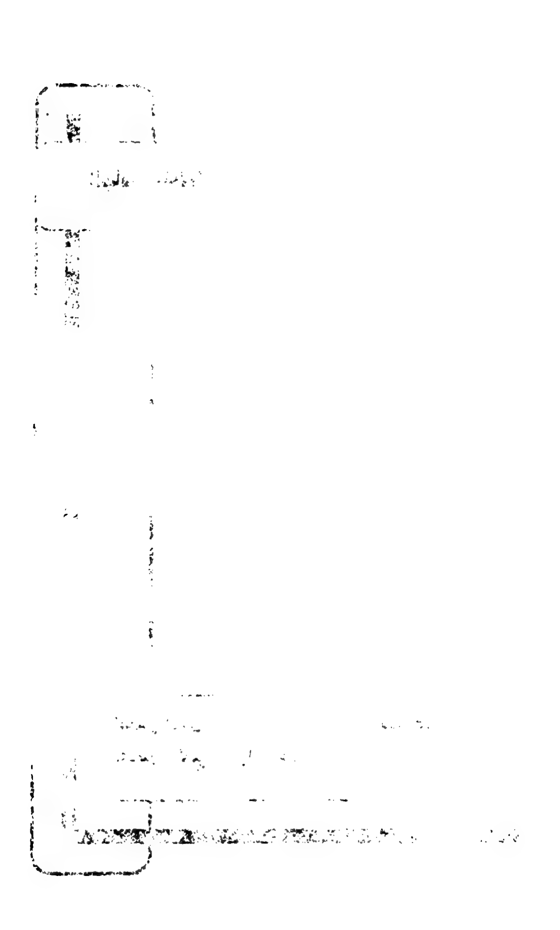


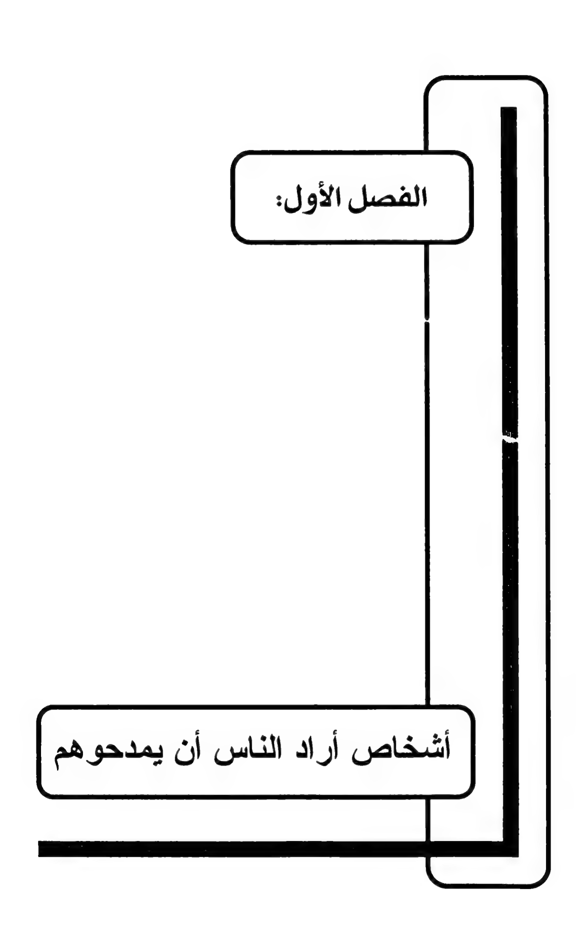
الباب الثالث

حتى خيبر

الفصل الأول: أشخاص أراد الناس أن يمدحوهم

الفصل الثاني: سرايا وقضايا بين خيبر والحديبية





الفصل الأول:

أشخاص أراد الناس أن يمدحوهم

[illegible]

[illegible]

إيضاحات ضرورية:

هناك أشخاص جرت عادة بعض المؤرخين على تخصيصهم بالذكر في بعض الموارد في السيرة النبوية الشريفة، مع أنهم يهملون أو يكادون، ذكر أشخاص قد ساهموا بصورة عميقة في بناء القوة الفكرية أو السياسية، أو المعنوية أو غيرها للمجتمع الإسلامي. وكان لهم أثرهم الكبير في حفظ الدين وفي نشره، وسهروا الليالي، وقدموا التضحيات الجسام من أجله وفي سبيله..

نعم، إنهم يهملون هؤلاء. حين لا يحالفهم الحظ في أن يسلبوهم ذلك كله، لينحلوه إلى أعدائهم ومناوئيهم.

وحين تضطرهم الوقائع، ويفرض عليهم الواقع، الذي لا يجدون منه خلاصاً ولا عنه مناصاً إلى الاعتراف بشيء من تضحيات وجهاد هؤلاء الذين يكرهون التنويه بذكرهم، والإعلان بمآثرهم، فإن تحريفهم وتلاعبهم بالحقائق، يصل إلى حد يصبح معه الإهمال والتجاهل أولى وأحفظ للحق، وأنفع للخلق، حيث يصبح السباب والتجريح أخف شناعة وقباحة من الكذب الصريح، الموجب لتحريف حقائق الدين، وتضييع جهد وجهاد الأولياء المخلصين.. وانسداد أبواب الهداية عن العالمين.

وقد نجد في هذا الفصل نماذج لأشخاص أريد التسويق لهم، من خلال الادعاءات العريضة التي يطلقونها، والانتفاخات الاستعراضية التي يقومون بها، لأن ذلك يخدم نفس الأهداف التي كان لهؤلاء الأشخاص دور في مساعدة أصحابها لبلوغها، أو لأنهم قد شاركوا في العمل على استبعاد نهج أصيل، ومحاصرة قيم الحق، وإضعاف حركة أناس يريدون لذلك النهج أن يفرض نفسه ولتلك القيم أن يكون لها دورها في واقع الحياة بقوة وحزم، وبعمق ورسوخ، وإباء وشموخ..

وحيث إننا قد التزمنا بمراعاة ومجاراة كتَّاب السيرة في ذكر ما أحبوا ذكره، فإننا نشير في هذا الفصل إلى نفس النقاط التي ذكروها، ونحاول أن لا نمر عليها مرور الكرام، بل نسجل بعض ما نجد ضرورة لتسجيله من توضيحات أو تصحيحات، مع التزام جانب الاختصار الذي نرجو أن لا يصل إلى حد الإخلال، والله الولي، والموفق، والهادي إلى سبيل الرشاد..

وفاة أم رومان:

قالوا: إن أم رومان بنت عامر، بن عويمر، أم عائشة ماتت في سنة ست. وكانت أولاً عند عبد الله بن سخبرة، فولدت له الطفيل، ثم مات عنها فتزوجها أبو بكر، فولدت له عبد الرحمن وعائشة.

فلما ماتت نزل النبي «صلى الله عليه وآله» في قبرها، فلما دليت فيه قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من أراد أن ينظر إلى امرأة من الحور العين

فلينظر إلى هذه»[1]. وهذا هو قول محمد بن سعد، وإبراهيم الحربي.

ونقول:

قد ذكرنا في الجزء الخاص بحديث الإفك من كتابنا هذا، في فصل: «شخصيات ومضامين غير معقولة»: أن هذا الكلام موضع شك، وأن آخرين يقولون: إنها عاشت بعد النبي «صلى الله عليه وآله» دهراً طويلاً، حيث ماتت في خلافة عثمان[2].

ويستدلون على ذلك:

أولاً: برواية مسروق بن الأجدع عنها، وقد ولد مسروق أول سني الهجرة، وروى عنها حديث الإفك في خلافة أبي بكر أو عمر، وسمع منها حديث الإفك، وهو بعمر خمس عشرة سنة[3].

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٢٦ وطبقات ابن سعد ج٨ ص٢٠٢ والروض الأنف ج٤ ص٢١ ووفاء الوفاء ج٣ ص٨٩٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٧٩ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٤٧٣ والجامع الصغير للسيوطي ج٢ ص٦١٠ وكنز العمال ج١٢ ص١٤٦ وفيض القدير ج٦ ص١٩٧ وأسد الغابة ج٥ ص٥٨٣ وعن الإصابة ج٨ ص٣٩٢ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص١٦٤.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٢٦ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٤٦٨ عن البخاري في تاريخيه: الأوسط والصغير، وعن الإصابة ج٨ ص٣٩٢ وفيض القدير ج٦ ص١٩٧ وعن مقدمة فتح الباري ص٣٧١.

(٣) الإصابة ج٤ ص٤٥١ وتهذيب التهذيب ج١٢ ص٤٦٨ وراجع: فتح الباري ج٧ ص٣٣٧ وإرشاد الساري ج٦ ص٣٤٣.

ولكن كثيرين أنكروا هذا[١]**، بل لقد قال السهيلي: إن مسروقاً ولد بعد** وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بلا خلاف، ولم ير أم رومان قط[٢].

فالحكم بإرسال رواية مسروق بن الأجدع عنها، استناداً إلى عدم الخلاف في ولادته أولى..

ثانياً: قد حاول العسقلاني إثبات بقائها إلى ما بعد سنة أربع أو خمس أو ست لكي يؤيد سماع مسروق منها بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله».. بالاستناد إلى روايتين:

إحداهما: رواية تخيير النبي «صلى الله عليه وآله» لنسائه. حيث أمر «صلى الله عليه وآله» عائشة أن تشاور أبويها: أبا بكر، وأم رومان..

والأخرى: حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أضياف أبي بكر وفيه: «وإنما هو أنا وأبي، وأمي، وامرأتي الخ..».

وعبد الرحمن قد هاجر بعد الحديبية في سنة سبع أو ثمان بل هو قد أسلم يوم الفتح[٣]. فدل ذلك على حياة أمه إلى ما بعد هذا التاريخ.

---

(١) راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٤ ص٤٥٢ والروض الأنف ج٤ ص٢١ والإصابة ج٤ ص٤٥٢ وفتح الباري ج٧ ص٣٣٧ و ٣٣٨ وتهذيب التهذيب ج١٢ ص٤٦٨.

(٢) الروض الأنف ج٤ ص٢١ والسيرة الحلبية ج٢ ص٧٩ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص٣٦٠ وعن مقدمة فتح الباري ص٣٧١.

(٣) راجع: الإصابة ج٤ ص٤٥١ و ٤٥٢ وفتح الباري المقدمة ص٣٧١ وج٧ ص٣٣٧ وج٨ ص٤٠١ وتهذيب التهذيب ج١٢ص٤٦٨ و ٤٦٩ ورواية تخيير النبي «صلى الله عليه وآله» نساءه في مسند أحمد ج٦ ص٢١٢ وفيض القدير =

ونقول:

١ ـ قد ذكرنا في حديث الإفك: أن حياتها إلى سنة تسع لا تثبت بقاءها إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، فضلاً عن أن تثبت سماع مسروق منها، وهو إنما ولد بعد وفاته «صلى الله عليه وآله» بلا خلاف.

٢ ـ إن رواية أضياف أبي بكر قد عبرت بكلمة «وأمي»، فلعله نزَّل زوجة أبيه بمنزلة أمه.

٣ ـ إن كلمة «وأمي» لا توجد في جميع نسخ البخاري، بل هي موجودة ـ فقط ـ في نسختي الكشمهيني، والمستملي.

٤ ـ إن عبد الرحمن يقول: فقالت له امرأته، أو فقال لامرأته، وهذا يؤيد أن تكون زوجة أبيه، وليست أمه على الحقيقة..

٥ ـ إن رواية الأضياف تقول: إن أبا بكر قد قال لزوجته: يا أخت بني فراس.. وهذا دليل آخر على أن المقصود ليس هو أم رومان؛ حيث إنها ليست فراسية، فراجع ما ذكرناه حول ذلك في الجزء الخاص بحديث الإفك.

٦ ـ إن التخيير لم يكن سنة تسع ـ كما يدعيه هؤلاء ـ بل كان قبل ذلك؛ لأن سورة الأحزاب التي وردت فيها آية التخيير قد نزلت ـ كما يقول نفس هؤلاء ـ سنة أربع أو خمس، أي حين زواج النبي «صلى الله عليه وآله» بزينب بنت جحش.

= ج٢ ص١٨٧ وجامع البيان ج٢١ ص١٩٠ وعن تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٨٩.

بل لقد صرحت رواية مسلم وغيره: بأن آية التخيير قد نزلت حين تظاهرت عليه عائشة وحفصة، فاعتزلهن رسول الله «صلى الله عليه وآله» تسعاً وعشرين ليلة، وذلك قبل أن يفرض الحجاب على نساء النبي «صلى الله عليه وآله»[1].

وقد تقدم: أن الحجاب قد فرض ـ حسبما يدَّعون ـ عند زواجه بزينب بنت جحش، ونحن قلنا سابقاً: إنه قد فرض قبل ذلك. فلا نعيد..

وأما أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نزل في قبر أم رومان، فهو مما رواه محبوها.

وقد عوَّدنا هؤلاء أنهم إكراماً لعائشة، ولأبي بكر، على استعداد لاقتحام كل المسلمات، وإيقاع أنفسهم في المتناقضات.

فإذا احتاجت عائشة إلى رواية مسروق بن الأجدع عن أم رومان، فإن أم رومان تعود إلى الحياة بعد عشرات السنين من موتها، ومسروق بن الأجدع يولد قبل زمان ولادته بعشر أو بعشرات من السنوات.

وإذا احتاجوا أم رومان لإظهار فضيلة لها من حيث إنها زوجة لأبي بكر، فإنها قد تموت قبل زمان موتها الحقيقي بعشرات السنين، لكي ينزل النبي «صلى الله عليه وآله» في قبرها، وينشئ لها المدائح والتقاريظ البديعة..

ونبقى نحن في أتون الحيرة والشك، فلا ندري من وما نصدق!! هل

---

(١) راجع: صحيح مسلم ج٤ ص١٨٨ و ١٨٧ و ١٨٩ و ١٩٠ والدر المنثور ج٦ ص٢٤٢ و ٢٤٣ عنه وعن ابن مردويه وعبد بن حميد ومسند أبي يعلى ج١ ص١٥٠ وعن تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤١٥ وصحيح ابن حبان ج٩ ص٤٩٦ وكنز العمال ج٢ ص٥٢٨ والجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص١٨٩.

نصدق بموتها؟ أم بحياتها؟!.. أم نكذب هذا وذاك؟!

ونقول:

إنه ليس لها أي دور مميز يفرض على الناس أن يهتموا بتدوينه، وإنما يراد استخدام خصوصية كونها أماً لعائشة وزوجاً لأبي بكر لتسويق ما يريدون تسويقه من اختراعات وابتداعات، تهدف إلى تبييض وجه هذا أو ذاك.

ولعل هذا الاحتمال الأخير هو الأولى بالقبول، والأقرب إلى الاعتبار، والمنسجم كل الانسجام مع ما عرفناه وألفناه من هؤلاء وعنهم..

إسلام أبي هريرة:

ويقولون: إن أبا هريرة قد أسلم في سنة سبع، وقدم على النبي «صلى الله عليه وآله» في وقعة خيبر، وسيأتي الحديث عن ذلك حين الحديث عن خيبر إن شاء الله تعالى..

إسلام عمران بن حصين:

وذكروا: أن عمران بن حصين قد أسلم في سنة سبع أيضاً[١].

وروي: أنه كان من المنحرفين عن علي «عليه السلام» أيضاً[٢]، وأن علياً «عليه السلام» سيَّره إلى المدائن، وذلك أنه كان يقول: إن مات علي، فلا

---

(١) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص٢١ وأضواء على السنة المحمدية ص١١٦ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٥٠٨.

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٧٧.

أدري ما موته، وإن قتل، فعسى أني إن قتل رجوت له[1].

والظاهر: أنه قد رجع إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، وصار من شيعته، فإن الفضل بن شاذان قد عده في السابقين الذين رجعوا إلى علي «عليه السلام»[2].

أو أنه كان متردداً، فتارة يكون معه، وتارة يكون عليه، كما يدل عليه روايته لحديث تسليم أبي بكر وعمر على علي «عليه السلام» بإمرة المؤمنين[3].

وحديث سعيه لإقناع عائشة بالرجوع عن حرب علي «عليه السلام»[4].

وأما حديثه في تحليل المتعة[5] فلا يدل على موالاته لعلي «عليه السلام»، ولا على معاداته لمناوئيه.

---

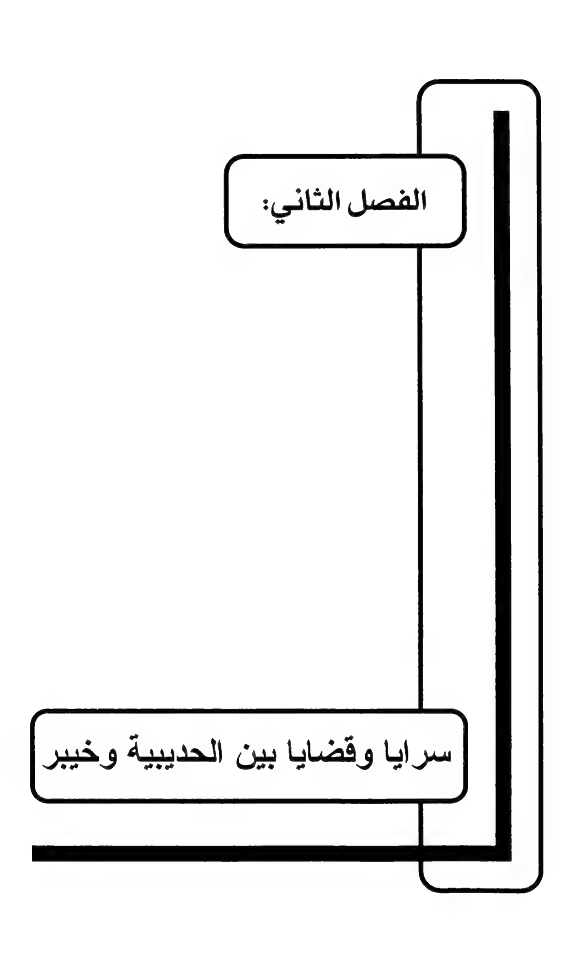
(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٧٧.

(٢) إختيار معرفة الرجال ص٣٨.

(٣) إختيار معرفة الرجال ص٩٤ والأمالي ص١٩ واليقين ص٢٨٥ و ٣١٦ ومدينة المعاجز ج١ ص٦٢ والبحار ج٣٧ ص٣١١ و ٣٢٣ و ٣٣٥ ومواقف الشيعة ج٣ ص١٠٠.

(٤) البحار ج ٣٢ ص١٤٠ والكافئة ص٢١ ومواقف الشيعة ج٢ ص٣٥.

(٥) راجع: مصادر حديثه هذا في كتابنا: زواج المتعة.



الفصل الثاني:

سرايا وقضايا بين الحديبية وخيبر

[illegible]

[illegible]

سرية أبان بن سعيد إلى نجد:

وقالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل في سنة سبع أبان بن سعيد بن العاص في سرية من المدينة نحو نجد، فقدم أبان في أصحابه على النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو في خيبر، بعدما افتتحها، وإن حُزُم (جمع حزام) خيلهم الليف، ولم يقسم لهم النبي «صلى الله عليه وآله» من غنائم خيبر..

وكان أبان قد أسلم بين الحديبية وخيبر. وهو الذي أجار عثمان بن عفان حينما بعثه النبي «صلى الله عليه وآله» ليعلم أهل مكة بما جاء له[1].

وقد ادَّعى أبو هريرة: أنه كان حاضراً، حين قدوم هؤلاء أيضاً، فقال: «قلت: يا رسول الله، لا تقسم لهم».

قال أبان: «وأنت بهذا يا وبر تحدر من رأس ضأن»؟!.

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٤١ وقال: كذا في حياة الحيوان. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٢٨ عن أبي داود في سننه، وعن أبي نعيم في مستخرجه، وعن تمام الرازي في فوائده، والبداية والنهاية ج٤ ص٢٠٧ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٦ ص١٣٣ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٨٢ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٤٤ والمعجم الأوسط ج٣ ص٣٠٧ ونصب الراية ج٤ ص٢٦٦ وأحكام القرآن ج٣ ص٧٤.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا أبان اجلس.

فلم يقسم لهم[1].

ملاحظة: قيل في معناه: أن الوبر حيوان صغير، كالسنور، وهي دابة وحشية، تسمى غنم بني إسرائيل.

أراد أبان بقوله هذا: أن يظهر احتقاره لأبي هريرة، وأنه ليس بالموضع الذي نفسه فيه.

ثم شبهه بتلك الدابة الوحشية، ثم قال: إنه مجرد راع تحدر إليهم من رأس جبل اسمه «ضأن»، يقع في أرض دوس.

هذا.. ولكن هناك رواية أخرى تذكر: أن أبا هريرة هو الذي طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يسهم له في خيبر.

فقال بعض ولد سعيد بن العاص: لا تسهم له يا رسول الله.

فقلت: هذا قاتل ابن قوقل.

فقال أبان بن سعيد بن العاص: وا عجباً لوبر تدلى علينا. وفي رواية أنه قال: «واعجباً لك، وبر تدأدأ (أي هجم علينا بغتة) من قدوم (أي من طرف) ضأن. ينعى عليَّ قتل رجل أكرمه الله على يديَّ، ومنعه أن يهينني بيده الخ..»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٢٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٠٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٢٨ وفي هامشه عن البخاري (كتاب المغازي) ج٧ ص٥٢٩ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٣٩٣ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٧٧ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٣٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٩٣ وشيخ المضيرة ص٤٥.

ونقول:

إن لنا على ما تقدم ملاحظات، هي التالية:

١ ـ إذا كان أبو هريرة حديث الإسلام، فلماذا يبادر إلى هذا التدخل القوي فيما لا يعنيه، ضد رجل قد أسلم حديثاً، وبادر إلى الجهاد في سبيل الله، وعاد هو وأصحابه سالمين؟! فهل كانت هناك ترات وإحن قديمة بينه وبين أبان؟! أم أنه أراد أن يعلِّم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحكام الشريعة؟!! أم أن ذلك مجرد حشرية وفضول منه؟!..

٢ ـ إذا كان أبان بن سعيد لم يشارك في غزوة خيبر، فاستحق الحرمان من مغانمها، فإن أبا هريرة أيضاً لم يشارك في تلك الغزوة، فلماذا يريد أن يأخذ لنفسه، ثم يريد حرمان غيره من ذلك؟!

بل إن غيره كان أولى منه؛ لأنه عائد من جهاد آخر، واجه فيه الأخطار، وأبو هريرة ومن معه كانوا في راحة وأمن وسلام..

٣ ـ إن أبان قد أعلن أمام النبي «صلى الله عليه وآله» وسائر من حضر: أن أبا هريرة ليس أهلاً لأن يشير بشيء، لضعفه وقلة غنائه، فهو مجرد دابة شاردة، وهو لا يحسن إلا رعي الغنم في رأس جبل ضال، أو ضأن.

ويفهم من أبي الحسن الفاسي:

أن ما قصده أبان بكلامه هو: أن أبا هريرة ملصق في قريش (أو في هذه الجماعة المقاتلة المؤمنة)، كلصوق ما يعلق بوبر الشاة من شوك وغيره مما يتدلى عليها[1].

---

(١) راجع: شيخ المضيرة ص٤٦ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٧٧.

٤ ـ إن مطالبة الدوسيين بالمشاركة في الغنيمة مع عدم مشاركتهم في الحرب، فيه دناءة ظاهرة.

٥ ـ رغم أن أبان قد أعلن بما يفيد تحقير وازدراء أبي هريرة، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يدافع عن أبي هريرة، ولا اعترض على أسلوب أبان في إهانته له. ولا طيَّب خاطر أبي هريرة ولو بكلمة واحدة، مع أنه جاءه لتوه، ومع أنه بحكم الضيف بالنسبة إليه..

بل هو قد اكتفى بالقول لأبان: يا أبان، اجلس.

مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يسكت عن نصرة المظلوم، فكيف إذا كان هذا المظلوم قد تعرض للظلم في حضرته «صلى الله عليه وآله»..

وقد ورد في دعاء الإمام السجاد «عليه السلام»: «وأعوذ بك من مظلوم ظلم في حضرتي فلم أنصره»[1].

٦ ـ إن إشراكهم في الغنائم لم يكن عن استحقاق منهم لها.

بل هو مجرد عمل أخلاقي، بدليل: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كلم أصحابه في أن يشركوهم في الغنيمة، ففعلوا.

حكم الظهار:

وقالو: إن حكم الظهار نزل في سنة ست قبل خيبر، وقيل: بعد

---

(١) راجع: الصحيفة السجادية الكاملة ص١٨٩ وشرح الصحيفة السجادية للأبطحي ص١٨٧ وميزان الحكمة ج٢ ص١٧٨٠ وج٣ ص١٨٥٩.

خيبر[1].

وذلك: أن أوس بن الصامت غضب على زوجته خولة بنت ثعلبة ذات يوم، وقال لها: «أنت علي كظهر أمي».

وكان ذلك أول ظهار في الإسلام، وكان الظهار طلاقاً في الجاهلية..

ثم ندم على ما قال، فأتت خولة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وعائشة تغسل رأسه، فقالت: يا رسول الله، إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني، وأنا ذات مال وأهل. فلما أكل مالي، وذهب شبابي، ونفضت بطني، وتفرق أهلي ظاهر مني.

فقال «صلى الله عليه وآله»: حرمت عليه.

فبكت، وصاحت، وقالت: أشكو إلى الله فقري، وفاقتي، ووجدي، وصبية صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ما أراك إلا حرمت عليه.

فجعلت ترفع صوتها باكية، وتقول: اللهم إني أشكو إليك.

فبينما هي على تلك الحالة إذ تغيَّر وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» للوحي، فنزل جبرئيل «عليه السلام» بقوله تعالى:

﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الآيات.

فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أوس بن الصامت، فتلى عليه الآيات المذكورة، وقال له: أعتق رقبة.

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٨.

فقال: ما لي قدرة.

قال: فصم شهرين متتابعين.

قال: إني إذا لم آكل في اليوم مرتين كلَّ بصري.

قال: فأطعم ستين مسكيناً.

قال: لا أجد، إلا أن تعينني منك بعون وصلة.

فأعانه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بخمسة عشر صاعاً، وكانوا يرون: أن عند أوس مثلها، وذلك لستين مسكيناً، لكل مسكين نصف صاع[1].

وبعض النصوص تقول عن أوس: إنه «كان به لمم، فإذا اشتد لممه ظاهر من امرأته»[2].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٢٥ و ٢٦ وراجع: نور الثقلين ج٥ ص٢٥٤ والدر المنثور ج٦ ص١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ عن ابن المنذر، وأبي داود، وأحمد، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي، والحاكم، وابن ماجة، وابن أبي حاتم، وسعيد، بن منصور، والنحاس. وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٩ والبحار ج٢٢ ص٥٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٩٢ وعن تفسير مجمع البيان ج٩ ص٤٠٩ وجامع البيان ج٢٨ ص٤ و ٥ وأحكام القرآن ج٣ ص٥٧٠ وأسباب نزول الآيات ص٢٧٤ والجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٢٧١ وأسد الغابة ج١ ص١٤٦.

(٢) الدر المنثور ج٦ ص١٨٠ عن سعيد بن منصور، وابن مردويه، والبيهقي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم، وصححه، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٩ والآحاد والمثاني ج٥ ص٣٣٢ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٤١ والطبقات الكبرى ج٣ ص٥٤٧ وج٨ ص٣٧٩ وأسد الغابة ج٥ ص٤١٧.

ونقول:

إننا نعتقد: أن الرواية الأصح هي التالية:

روى القمي، عن أبي جعفر «عليه السلام»: أنها حين أخبرت النبي «صلى الله عليه وآله» بالأمر، قالت: فانظر في أمري.

فقال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما أنزل الله تبارك وتعالى كتاباً أقضي فيه بينك وبين زوجك، وأنا أكره أن أكون من المتكلفين.

فجعلت تبكي وتشتكي ما بها إلى الله عز وجل، وإلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. إلى أن أنزل الله عز وجل قرآناً..

إلى أن قالت الرواية: فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المرأة فأتته، فقال لها: جيئي بزوجك.

فأتت به، فقال له: أقلت لامرأتك هذه: «أنت حرام كظهر أمي»؟.

فقال: قد قلت لها ذلك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قد أنزل الله تبارك وتعالى فيك وفي امرأتك قرآناً، وقرأ: **﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾**[1].

فَضُمَّ إليك امرأتك، فإنك قد قلت منكراً من القول وزوراً، وقد عفا الله عنك وغفر لك، ولا تعد.

---

(١) الآيتان ١ و ٢ من سورة المجادلة.

فانصرف الرجل، وهو نادم على ما قال لامرأته، وكره الله عز وجل ذلك للمؤمنين بعد.

وأنزل الله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ..﴾ الآية[1].

ونقول:

إننا إذا لاحظنا هذه الرواية، والرواية المتقدمة، فسنجد ما يلي:

١ ـ إن هذه الرواية تقول: إن ذلك الرجل لم يكفِّر بإطعام ستين مسكيناً. بل عفا الله عنه.. ثم وضع ذلك على من جاء بعده، وفعل ذلك، ما دام أنه لم يتعظ بما جرى لذلك الرجل.

ولعل عفو الله عز وجل عن أوس بن الصامت إنما كان لأجل شدة حاجته، وعدم قدرته على التكفير.

والظاهر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمره بإطعام ستين مسكيناً، فأخبره بأنها ليست عنده، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنا أتصدق عنك، فأعطاه تمراً لإطعام ستين مسكيناً، فقال: اذهب، فتصدق بها.

فقال: والذي بعثك بالحق، لا أعلم بين لابتيها (وهي جانبا المدينة) أحداً أحوج إليه مني ومن عيالي.

---

(١) راجع: نور الثقلين ج٥ ص٢٥٤ و ٢٥٥ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٣٠١ و ٣٠٢ وتفسير القمي ج٢ ص٣٥٣ والتفسير الصافي ج٥ ص١٤٣ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٥ ص٥٠٦ والبحار ج٢٢ ص٧٢ وعن ج١٠١ ص١٦٦ والكافي ج٦ ص١٥٢ وقريب منه في الدر المنثور ج٦ ص١٨٠ عن ابن مردويه عن ابن عباس.

قال: فاذهب، وكل، وأطعم عيالك[1].

٢ ـ إن هذه الرواية تقول: إن الآيات قد نزلت في غياب المرأة، لا في حضورها. كما زعمته الرواية الأولى.

٣ ـ إنها تقول، وكذلك رواية ابن عباس[2]: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يعط المرأة جواباً، والرواية الأولى تقول: إنه أجابها مباشرة بأنها قد حرمت على زوجها.

٤ ـ إن الرواية الأولى قد ذكرت: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لها: ما أراك إلا حرمت عليه.

وفي بعض نصوصها: ما أمرنا بشيء من أمرك، أراك إلا قد حرمت عليه[3]. فهل كان النبي «صلى الله عليه وآله» يفتي برأيه؟! ثم يظهر خطؤه!!. أم أنه يخبر عن حكم الله الثابت الذي أطلعه الله سبحانه وتعالى

---

(١) نور الثقلين ج٥ ص٢٥٧ عن الكافي ج٦ ص١٥٥ وتهذيب الأحكام ج٨ ص١٥ و ٣٢١ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص٤٠٩ و ٤١١ والنوادر ص٦٦ ودعائم الإسلام ج٢ ص٢٧٤ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٥٣٢ والإستبصار ج٤ ص٥٧ والوسائل ج١٥ ص٥٥١ وعلل الدارقطني ج١٠ ص٢٣٩.

(٢) راجع: الدر المنثور ج٦ ص١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ عن النحاس، وابن مردويه، والبيهقي، وعبد بن حميد، والطبراني.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٨٥ وتفسير القرآن للصنعاني ج٣ ص٢٧٧ وجامع البيان ج٢٨ ص٧ وأحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٥٥٨ وعن تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٤٣ والدر المنثور ج٦ ص١٨٠ و ١٨٣ والطبقات الكبرى ج٨ ص٣٧٩ وتاريخ المدينة ج٢ ص٣٩٣.

عليه، ثم نسخه الله؟!

فإن كان يفتي برأيه، ويخطئ فيه، فإنه لا يكون مأموناً على شرع الله سبحانه، كما أن ذلك لا ينسجم مع حقيقة كونه لا ينطق عن الهوى..

وإن كان قد أخبر عن حكم الله تعالى، ثم نسخ الله حكمه، فلماذا نسب ذلك إلى رأي نفسه، ويقول: ما أراك إلا حرمت عليه؟!

٥ ـ وأما الروايات التي صرحت: بأن أوساً كان به لمم، فكان إذا اشتد به لممه ظاهر من امرأته فهي أيضاً مردودة، بأن الظهار في حال اللمم ليس له أثر، ولا يوجب التحريم، لأن اللمم نوع من الجنون[1] يوجب سقوط عبارة المظاهر عن التأثير.

ولأجل ذلك نقول:

إنه إذا صح أنه قد كان في أوس لمم، فإنه إنما ظاهر في بعض صحواته، كما صرحت به بعض الروايات فراجع[2].

٦ ـ إنهم يزعمون: أن أوس بن الصامت كان أعمى، مع أنهم يقولون: إنه قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إذا لم آكل في اليوم مرتين (أو ثلاث) كلَّ بصري»[3] وهو يدل على أنه لم يكن أعمى..

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٩.

(٢) الدر المنثور ج٦ ص١٨١ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى ج٣ ص٥٤٧ وج٨ ص٣٧٩.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٩ والبحار ج٢٢ ص٥٨ وعن تفسير مجمع البيان ج٩ ص٤٠٩ وأسباب نزول الآيات ص٢٧٤ وسنن الدارقطني ج٣ ص٢١٨ ومسند الشاميين ج٤ ص٨ والجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٢٧١ وعن الدر المنثور ج٦ ص١٨٠.

وقول العسقلاني: المراد: أن بصره يكلُّ لو كان مبصراً، لا يفيد في ترقيع الخروق التي في هذه الرواية، فإنه خلاف الظاهر جداً[1].

تحريم الخمر:

وقالوا: إن الخمر قد حرمت في السنة السادسة من الهجرة. سنة الحديبية، وبه جزم الدمياطي[2].

وهناك أقوال أخرى، تحدثنا عنها في الجزء السادس من هذا الكتاب في فصل: فاطمة وعلي ومناوئوهما.. فراجع ما ذكرناه في ذلك الفصل.

وهناك بعض الكلام عن تحريم الخمر وما يرتبط بذلك من أمور، حاول الحاقدون والمناوئون لأهل البيت «عليهم السلام» أن يكيدوهم بها وانصب اهتمامهم على الكيد لعلي وحمزة صلوات الله وسلامه عليهما..

ونحن نحيل القارئ الكريم إلى ما ذكرناه في ذلك الموضع أيضاً.

أسطورة سحر النبي ﷺ:

وزعموا: أنه في شهر محرم من السنة السابعة، وقيل سنة ست: سحر رسول الله «صلى الله عليه وآله»[3].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٩.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٢٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٩ وعن فتح الباري (المقدمة) ص٦٥ و ج١٠ ص٢٥ وعمدة القاري ج١٠ ص٨٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٣ ص٤١٠ وج١٢ ص٦٨ وج١٠ ص٥٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٠ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٩٦ وعن فتح الباري ج١٠ ص١٩٢.

فعن عائشة، قالت: سحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى إنه يخيل إليه: أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم عندي دعا الله، ودعاه، ثم قال: أشعرت يا عائشة: أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟!

قلت: وما ذاك يا رسول الله؟!

قال: جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليَّ، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟

قال: مطبوب.

قال: وما طبه؟

قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، من بني زريق.

قال: في ماذا؟

قال: في مشط، ومشاطة، وجف طلعة ذكر.

قال: فأين هو؟

قال: في بئر ذي أروان.

قال: فذهب النبي «صلى الله عليه وآله» في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها، وعليها نخل، ثم رجع إلى عائشة، فقال: والله، لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين.

قلت: يا رسول الله، فأخرجته؟!

قال: لا، أما أنا فقد عافاني الله وشافاني، وخشيت أن أثور على الناس فيه شراً.

وأمر بها فدفنت[١].

أي: أنه أمر بالبئر فدفنت.

وفي نص آخر، عن ابن عباس: أن الملكين أمرا بنزح الماء ورفع الصخرة، واستخراج الركية التي فيها السحر، وأن يحرقوها، فبعث عمار في نفر، فاستخرجوا الركية، وأحرقوها. فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت عليه المعوذتان، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة[٢].

---

(١) صحيح البخاري ج٧ ص٣٠ كتاب: بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، وكتاب: الطب، باب: هل يستخرج السحر وباب: السحر، وصحيح مسلم ج٧ باب السحر، وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٥٦ وج٣ ص٤١١، وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٤١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٥ ص٤٣٥ وتفسير ابن كثير (ط دار الجيل) ج٥ ص٥٧٩ وأضواء على الصحيحين ص٢٧٣ وعن مسند أحمد ج٦ ص٦٣ و ٩٦ وج٣ ص٤١١ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٢٩١ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٩٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٣ ص٤١١ وج١٠ ص٥٦ و ٥٧ عن البيهقي، وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٤١ والدر المنثور ج٦ ص٤١٧ عن ابن مردويه، وعن البيهقي في دلائل النبوة، ومكارم الأخلاق ص٤١٤ والبحار ج١٨ ص٧٠ و ٧١ وعن ج٦٠ ص١٣ و ١٥ و ٢٤ وعن ج٨٩ ص٣٦٥ وعن ج٩٢ ص١٢٦ و ١٣٠ وعن فتح الباري ج١٠ ص١٩١ و ١٩٦ وعن تفسير مجمع البيان ج١٠ ص٤٩٢ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٩٦ والتفسير الأصفى ج٢ ص١٤٩٣ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٧١٨ و ٧١٩، وأسباب نزول الآيات ص٣١٠ وزاد المسير ج٨ ص٣٣٣ والجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص٢٥٣ وج٥ ص٧١٨ وعن تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٦١٥ وتفسير الجلالين ص٨٢٦ و ٨٣٠ =

وعن عائشة: سحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن.

قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان[1].

وعن أنس، قال: سحر النبي «صلى الله عليه وآله»، فأتاه جبريل «عليه السلام» بخاتم، فلبسه في يمينه، وقال: لا تخف شيئاً ما دام في يمينك[2].

وعن زيد بن أرقم: سحر النبيَّ «صلى الله عليه وآله» رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أياماً، فأتاه جبريل «عليه السلام»، فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك، وجعل لذلك عُقَدَاً.

فأرسل «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» فاستخرجها، وجاء بها، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» كأنما نشط من عقال. فما ذكر ذلك لليهودي، ولا رآه في وجهه[3].

= ولباب النقول ص٢٢٠ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٩٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٤٧١ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٦٢.

(١) عن صحيح البخاري ج٧ ص٢٩، كتاب: الطب، باب السحر، وتفسير القرآن العظيم (ط دار الجيل) ج٤ ص٥٧٩ وأضواء على الصحيحين ص٢٧٣ وعن فتح الباري ج١٠ ص١٩٩ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج٢ ص١٨١ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣٢٣ عن ابن عدي، ولسان الميزان ج٢ ص٣٨٧ والكامل ج٣ ص٩ وميزان الإعتدال ج١ ص٦٤٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٧ ص٢١ عن أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، والنسائي، وأبي الشيخ، والبيهقي، والمصنف لابن أبي شيبة ج٥ ص٤٣٥ ومجمع الزوائد =

وعن زيد بن أرقم في نص آخر: أن رجلاً من الأنصار سحر النبي «صلى الله عليه وآله»، وأن ملكين أتيا النبي «صلى الله عليه وآله» وأخبراه: أن فلاناً عقد له عقداً، وأنها في بئر فلان، وأن الماء قد اصفرَّ من شدة عقده[1].

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: إنما سحره بنات أعصم، أخوات لبيد، وكان لبيد هو الذي ذهب به، فأدخله تحت راعوفة البئر.

ودس بنات أعصم إحداهن، فدخلت على عائشة، فسمعت عائشة تذكر ما انكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» من بصره، ثم خرجت إلى أخواتها بذلك. فقالت إحداهن: إن يكن نبياً فسيخبَّر، وإن كان غير ذلك فسوف يدلهه هذا السحر، فيذهب عقله، فدله الله عليه[2].

= ج٦ ص٢٨١ عن الطبراني، والنسائي، وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٥٧٩ (ط دار الجيل) عن أحمد، والنسائي، والمعجم الكبير ج٥ ص١٧٩ و١٨٠ والمعرفة والتاريخ ج٣ ص٢٨٩ و ٢٩٠ وشمائل الرسول لابن كثير ص٦٥ و ٦٦ وسنن النسائي ج٧ ص١٣ وفتح القدير ج٥١ ص٥١٩ عن عبد بن حميد، والبحار ج٣٨ ص٣٠٣ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٩٥ والدر المنثور ج٦ص٤١٧ والفايق في غريب الحديث ج٢ ص٢٩٥ والتبيان في آداب جملة القرآن للنووي ص١٨٣.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٧ ص٩ وج١٠ ص٥٦ عن ابن سعد، والحاكم وصححه، والبيهقي، وأبي نعيم، وعن البداية والنهاية ج٦ ص٤٤ وراجع: المستدرك للحاكم ج٤ ص٣٦٠ وعن المعجم الكبير ج٥ ص١٧٩ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٨١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٣ ص٤١٠ وج١٠ ص٥٧ عن ابن سعد، وتاريخ الخميس ج٢ ص٤١ عن كنز العباد، والطبقات الكبرى ج٢ ص١٩٨.

وقد مرض «صلى الله عليه وآله» من سحرهن له، حتى إنه لم يقدر على قربان أهله ستة أشهر، وذكر السنة، والأربعين يوماً، في الوفاء(١).

وعن أنس: صنعت اليهود لرسول الله «صلى الله عليه وآله» شيئاً، فأصابه من ذلك وجع شديد، فأتاه جبريل بالمعوذتين يعوذه بهما، فخرج إلى أصحابه صحيحاً(٢).

وذكرت بعض الروايات: أن اليهود جعلت لابن الأعصم ثلاثة دنانير(٣).

وذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» أقام في السحر أربعين يوماً(٤).

وقيل: ستة أشهر، يرى أنه يأتي ولا يأتي(٥).

وقال الدياربكري: ويمكن الجمع، بأن يكون ستة أشهر من ابتداء تغير

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٤١ عن كنز العباد، وعن الوفاء، والبخاري، وعن عون المعبود ج٤ ص٢٣٧ وعن البداية والنهاية ج٣ ص٢٩٠ وسبل الهدى والرشاد ج٣ ص٤١٣ وعن مسند أحمد ج٦ ص٦٣ وعن تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٦١٤ وسير أعلام النبلاء ج٢١ ص١٠١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٥٧ عن أبي نعيم، وتفسير الجلالين ص٨٣٠ ولباب النقول ص٢٢٠.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٤١ وعن فتح الباري ج١٠ ص١٩٢ والطبقات ج٢ ص١٩٧ وسبل الهدى والرشاد ج٣ ص٤١٠.

(٤) تاريخ الخميس ج٢ ص٤١ عن الإسماعيلي.

(٥) تاريخ الخميس ج٢ ص٤١ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (ط دار الجيل) ج٤ ص٥٧٩ وعن مسند أحمد ج٦ ص٦٣ وعن صحيح البخاري ج٧ ص٨٨ وسير أعلام النبلاء ج٢١ ص١٠١.

مزاجه، والأربعين يوماً من استحكامه[1].

وعن الزهري: أنه لبث سنة.

قال العسقلاني: قد وجدناه موصولاً بالأسناد الصحيح، فهو المعتمد[2].

وعن عائشة: سحر، حتى إنه كان ليخيل إليه: أنه يفعل الشيء وما فعله[3].

وعن ابن عباس، وعائشة: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدبت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ من مشاطة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعدة أسنان من مشطه، فأعطاها اليهود فسحروه فيها، فمرض «صلى الله عليه وآله»، وانتثر شعر رأسه، ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيها[4].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٤١.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٤١ عن السهيلي، عن جامع معمر.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٤١ عن البخاري وج٧ ص٢٨ و ٣٠ وأضواء على الصحيحين ص٢٧٢ وعن فتح الباري ج١٠ ص١٩٢ وعن مسند أحمد ج٦ ص٦٣ وصحيح مسلم ج٧ ص١٤ وشرح مسلم للنووي ج١٤ ص١٧٤ وجامع البيان ج١ ص٦٤٤ وزاد المسير ج٨ ص٣٣٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٤٧٣.

(٤) تاريخ الخميس ج٢ ص٤١ عن معالم التنزيل، وتفسير القرآن العظيم (ط دار الجيل) ج٤ ص٥٧٩ عن الثعلبي، وأسباب النزول (ط سنة ١٤١٠ هـ) ص٤٠٥ وعن فتح الباري ج١٠ ص١٩٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٤٧٢.

وذكر العسقلاني: أن رجلاً نزل في البئر، واستخرجه، وأنه وجد في الطلعة مثالاً من الشمع لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإذا فيه إبر مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة، (وفي نص آخر: ووجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» خفة فقام كأنما أنشط من عقال[1]) فنزل جبرئيل بالمعوذتين، فكلما قرأ آية انحلت عقدة، وكلما نزع عقدة وجد لها ألماً، ثم يجد بعدها راحة[2].

وقيل: قتل النبي «صلى الله عليه وآله» مَنْ سَحَرَهُ، وقيل: عفا عنه.

قال الواقدي: عفوه عنه أثبت عندنا. وروي قتله[3].

وفي بعض الروايات: أن سِحْرَ يهود بني زريق حبس النبي «صلى الله عليه وآله» عن خصوص عائشة سنة[4].

---

(١) تفسير الجلالين ص٨٢٦ ومكارم الأخلاق ص٤١٤ والبحار ج١٨ ص٧١ وعن ج٦٠ ص١٣ و ١٥ وعن ج٩٢ ص١٣٠ وعن فتح الباري ج١٠ ص١٩١ وعن تفسير مجمع البيان ج١٠ ص٤٩٢ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٧١٩ وأسباب نزول الآيات ص٣١٠ وزاد المسير ج٨ ص٣٣٣ والجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص٢٥٣ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٦١٥.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٤١ عن المواهب اللدنية عن فتح الباري، والدر المنثور ج٦ ص٤١٧ وعن فتح الباري ج١٠ ص١٩٦ وسبل الهدى والرشاد ج٣ ص٤١١.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٤١ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٩٩.

(٤) راجع: المصنف للصنعاني (ط دار إحياء التراث العربي) ج١١ ص٩ وعن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج٢ ص١٨٢ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٥.

وروي أن الغلام الذي سحر النبي «صلى الله عليه وآله» والذي كان يخدمه هو نفس لبيد بن الأعصم[١].

وهناك تفاصيل أخرى، وردت في بعض الروايات[٢]. وفيما ذكرناه كفاية.

ونقول:

إننا لا نشك في كذب هذه الروايات، ونعتقد: أنها من مجعولات أعداء هذا الدين، أو من قبل أناس أعمى الجهل بصائرهم، وتاهت في ظلمات الضلالات عقولهم.

ونحن نلخص ما نريد الإلماح إليه هنا بالمطالب التالية:

تناقض الروايات:

ولسنا بحاجة إلى التذكير بالتناقضات الكثيرة بين مضامين تلك

---

(١) الدر المنثور ج٦ ص٤١٧ عن ابن مردويه، والبيهقي في دلائل النبوة.

(٢) راجع: البرهان (تفسير) للبحراني ج٤ ص٥٢٩ و ٥٣٠ والمصنف للصنعاني ج٦ ص٦٥ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص١١٥ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٢٩٠ والإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٤٥ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٩٦ والعلل لأحمد بن حنبل ج١ ص٦٨ وميزان الإعتدال ج١ ص٦٤٢ والكامل ج٣ ص٩ ومعجم البلدان ج٣ ص٥ والبداية والنهاية ج٦ ص٤٤ وج١٠ ص٢١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٤٧٢ ومستدرك الوسائل ج١٢ ص٦٥ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٦٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٣٠١ ومسند أحمد ج٤ ص٣٦٧ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١١٧٣ وعن فتح الباري ج٦ ص٢٣٩ وج١٠ ص١٩٢ وج١١ ص١٦٣ وغير ذلك كثير.

الروايات، وما ذكرته من خصوصيات، ونكتفي من ذلك بأمثلة يسيرة هي:

١ ـ بعضها يقول: إن الملكين أمرا باستخراج السحر وإحراقه، فإنه أرسل من استخرجه، وصار كلما حل عقدة منه وجد لذلك خفة، حتى قام كأنما نشط من عقال.

ورواية تقول: إنه لم يخرجه، وقد عافاه الله وشافاه بدون ذلك.

٢ ـ هل الذي سحره هو لبيد بن الأعصم؟ أم أن الساحر هو بنات أعصم أخوات لبيد؟

٣ ـ هل بقي لا يقدر على قربان أهله ستة أشهر؟ أم بقي أربعين يوماً؟ أم سنة؟ أو أنه بقي أياماً؟

٤ ـ هل شفي بسبب حل العقد؟ أم بسبب أن جبرئيل أتاه فعوَّذه بالمعوذتين، فخرج إلى أصحابه صحيحاً؟ أم أنه شفي بسبب الخاتم الذي ألبسه إياه جبرئيل؟

٥ ـ هل قتل النبي ذلك الذي سحره؟ أم أنه عفا عنه؟

٦ ـ هل الغلام الذي كان يخدم النبي «صلى الله عليه وآله» هو لبيد بن الأعصم نفسه؟ أم أنه رجل آخر؟

٧ ـ وهل السحر وضع في بئر ميمون؟ أم في بئر أروان؟

النبي ﷺ الأسوة، والقدوة، والمثال:

إن كلام هؤلاء معناه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد فقد قدرة التمييز بين الأمور وفقد توازنه، ولم يعد قادراً على التركيز، وبسبب ما يعانيه من اختلالات في عقله وإدراكه..

بل في بعضها: «فأقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا يسمع ولا يبصر، ولا يفهم، ولا يتكلم، ولا يأكل ولا يشرب»[1].

وكلامهم يعني أيضاً: أنه قد أصبح من الجائز أن يتخيل «صلى الله عليه وآله» أنه يصلي، أو يحج، أو يصوم، وهو لا يصلي، ولا يحج في واقع الأمر. بل هو يفعل أمراً آخر وقد يكون هذا الأمر الذي يفعله موبقة من الموبقات، أو جريمة من الجرائم، وقد يكون منافياً للآداب وللأخلاق وللإنسانية.

وقد يتخيل: أنه يبلِّغ أحكام الله وهو في واقع الأمر ينطق بالكفر، ويدعو الناس للضلال.

فهل يمكن أن يكون هذا حال من وصفه الله تعالى بأنه: **﴿مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾**..

وهل يمكن أن يقول الله تعالى للناس: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾**.

وأن يقول: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾**.

وأن يجعل قوله، وفعله، وتقريره «صلى الله عليه وآله» حجة ودليلاً على الأحكام، مع أنه رجل مسحور، قد يتكلم بالباطل، وقد يكون تصرفه لا يرضي الله تعالى؟!

إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً:

والذي يؤكد لنا: أن ثمة يداً تحاول الطعن في النبوة، بل وفي الدين

---

(١) دعائم الإسلام ج٢ ص١٣٨ والبحار ج٦٠ ص٢٣.

كله.. أن هؤلاء أرادوا استصدار اعتراف من المسلمين أنفسهم، ومن أقرب الناس لرسول الإسلام «صلى الله عليه وآله» بأن نبيهم رجل مسحور لا يصح اتباعه، ولا مجال لتصديقه.

وقد اقتدوا في ذلك بأسلافهم، أعداء الأنبياء، الذين حكى الله عنهم: أن الاتهام بالوقوع تحت تأثير السحر هو أحد الوسائل التي اتبعوها لإسقاط دعوات الأنبياء السابقين، قال تعالى حكاية لقول فرعون: **﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾**[1].

ويقول سبحانه عن الظالمين: **﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾**[2].

وقال: **﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾**[3].

وقد أخذ هؤلاء على عاتقهم خدمة هذا الكيد الشيطاني، بنسبتهم هذه الأباطيل إلى ساحة قدس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع أن الله سبحانه قد نزهه عنها.

حفظ الله تعالى لأنبيائه عليهم السلام:

وحين نحكم بكذب الروايات التي تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سحر فعلاً، فذلك لا يعني: أننا نريد نفي أن يكون اليهود وغيرهم قد بذلوا بعض المحاولات في هذا المجال.

---

(١) الآية ١٠١ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٨ من سورة الفرقان.

(٣) الآية ٤٧ من سورة الإسراء.

بل إن ذلك: هو المتوقع منهم، والمظنون بهم، ولعل هذه المحاولات قد تكررت وتنوعت..

ولكننا نقول:

إن جميع محاولاتهم قد باءت كلها بالفشل الذريع، ومني الذين قاموا بها بالخيبة القاتلة والخسران المبين، وفضحهم الله على لسان رسوله «صلى الله عليه وآله» ليكون ذلك معجزة له، من حيث إنه إخبار لهم بما أسروا من ذميم الفعل، وخبيث النوايا..

كما أن ما فعلوه لم يكن له أي تأثير على دعوته «صلى الله عليه وآله».

وخير دليل على ذلك: أنه لم يمكن لهم التعلق بشيء من ذلك طيلة كل هذه الأحقاب المتمادية.. وبقيت صورة نبينا الأكرم «صلى الله عليه وآله» تزداد تألقاً وسطوعاً جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن..

هل كان يهودي يخدم رسول الله ﷺ؟!

وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد حارب يهود بني قينقاع، والنضير، وقريظة، وقد قتل المسلمون عدداً من زعماء اليهود الآخرين، الذين كانوا يعيشون في المنطقة، من الذين جاهروا بالعداوة لهم وحالفوا أعداءهم، وساعدوا وسعوا في إثارة الحروب ضدهم، ولم يزل يهود المنطقة في خيبر، وتيماء، ووادي القرى على هذه الحال معهم أيضاً..

فكيف يرضى النبي «صلى الله عليه وآله» والحال هذه، بأن يخدمه ذلك اليهودي، الذي يرى نفسه موتوراً، ولا تصفو نفسه لواتره؟!

خصوصاً مع وجود التأكيدات القرآنية المتضافرة على شدة عداوة

اليهود للمسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ..﴾[1].

ألم يكن في المسلمين من يقوم بهذه الخدمة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى احتاج إلى خدمة يهودي؟!

يضاف إلى ذلك: أنهم يقولون: إن لبيد بن الأعصم كان موسراً كثير المال[2].

ومن كان كذلك: فإنه لا يرضى عادة بأن يكون خادماً لأحد، وإن رضي بذلك للتوصل إلى أهداف شريرة، فإنه سيكون موضع ريب وشك من كل أحد وسوف يتساءل الناس كلهم، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً عن سبب إقدام هذا الرجل على خدمة رجل ليس على دينه، بل هو يهاديه، وقد كانت بينه وبين قومه حروب هائلة..

على أن بعض روايات السحر قد ذكرت: أن غلاماً مر بلبيد وفي أذنه قرط فجذبه، فخرم أذن الصبي، فأخذ فقطعت يده، فكوي منها فمات[3].

فإن عقوبة من خرم أذن صبي ليست هي قطع يده.

كما أن اليد إذا كويت لا يموت صاحبها..

---

(١) الآية ٨٢ من سورة المائدة.

(٢) دعائم الإسلام ج٢ ص١٣٨.

(٣) دعائم الإسلام ج٢ ص١٣٨ ومستدرك الوسائل ج١٣ ص١٠٨ والبحار ج٦٠ ص٢٢.

الرسول ﷺ بدون شعر!!

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن شعر رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد انتثر بواسطة السحر..

وهذا أمر عجيب وغريب، لم نعهده في سحر الساحرين، ولا قرأناه في تاريخ هذا النبي الأمين «صلى الله عليه وآله»، فلو كان ذلك قد حصل فعلاً لاعتبره المؤرخون مفصلاً تاريخياً في حياته «صلى الله عليه وآله».. ولكان قد بقي في ذاكرة الأجيال المتعاقبة كما بقيت قصة بدر، وأحد، وغيرهما..

وكما حفظ لنا التاريخ حديث الطائر المشوي، وحديث تصدق علي «عليه السلام» بخاتم في الصلاة، وحديث الغدير، وما إلى ذلك..

يضاف إلى ذلك: أن هذا الأمر لو حدث فعلاً فسنجد عائشة تحاول بما لا مزيد عليه نشره، والتهويل به، والإمعان في وصف جزئياته، وحالاته وتحولاته..

كما أن ذلك سوف ينقص قدره لدى زوجاته، ويثير فيهن حالات من الاستغراب، وقد يصل الأمر ببعضهن إلى حد إظهار الاشمئزاز من حالته.. مع أن شيئاً من ذلك لم يحدث، أو أننا على أقل تقدير لم نسمع بما يشير إلى شيء من ذلك..

تصنيف الروايات المتقدمة:

والناظر في الروايات المتقدمة يخرج بحقيقة: أنها رغم دلالتها على تعدد محاولة التوسل بالسحر للتأثير على النبي «صلى الله عليه وآله».. فإنه لابد من تصنيفها في دائرتين:

إحداهما: دائرة المقبول والمعقول. وهو ما دل على تأثير السحر في جسد الرسول، من حيث إيجابه مرضاً، أو ضعفاً، أو تعباً، فإن الأمراض مما يجوز حصوله للأنبياء، والسحر من أسبابها العادية، فلا يضر عروض المرض لهم، ولا يوجب نقصاً في محلهم، ولا في مراتبهم.

تماماً كما جرى لأيوب «عليه السلام»، الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[1].

حيث دلت هذه الآية وكذلك الروايات الواردة في تفسيرها، على أنه لا مانع من تأثير السحر في تسليط بعض الأرواح الشريرة على أبدان الأنبياء «عليهم السلام» لإتعابهم، وإيذائهم، ويكون ذلك من موارد امتحان الأنبياء «عليه السلام» لإظهار مدى صبرهم، وعظيم تحملهم وحقيقة ملكاتهم، وقدراتهم في مواجهة المصائب والمصاعب.

الثانية: أن الأنبياء «عليهم السلام» محفوظون من السحر الذي يؤثر في إفساد عقولهم، والعبث بقدراتهم، في مجال الفهم، والإدراك، والتمييز، وما إلى ذلك.

وكلامنا إنما هو في إبطال الروايات التي تنحو هذا المنحى وتريد إثبات تأثير السحر في هذه المجالات.. أما التي هي من النوع الأول فلسنا بصدد إثباتها ولا نفيها.

هذا، وهناك أمور أخرى يمكن أن تذكر في جملة المؤاخذات على الروايات المذكورة، غير أننا نكتفي بما ذكرناه آنفاً. والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) الآية ٤١ من سورة ص.



الباب الرابع

دعـــوة مـلـــــــوك الأرض

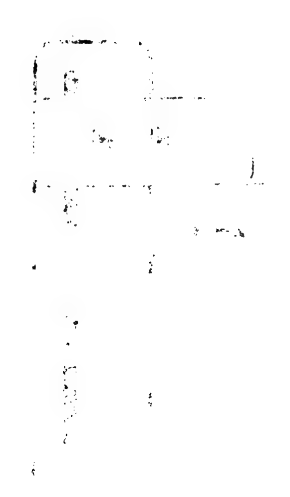
الفصل الأول: بيانات تمهيدية

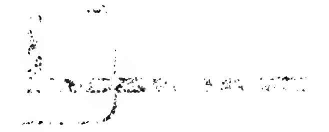
الفصل الثاني: كتاب النبي ﷺ إلي كسرى

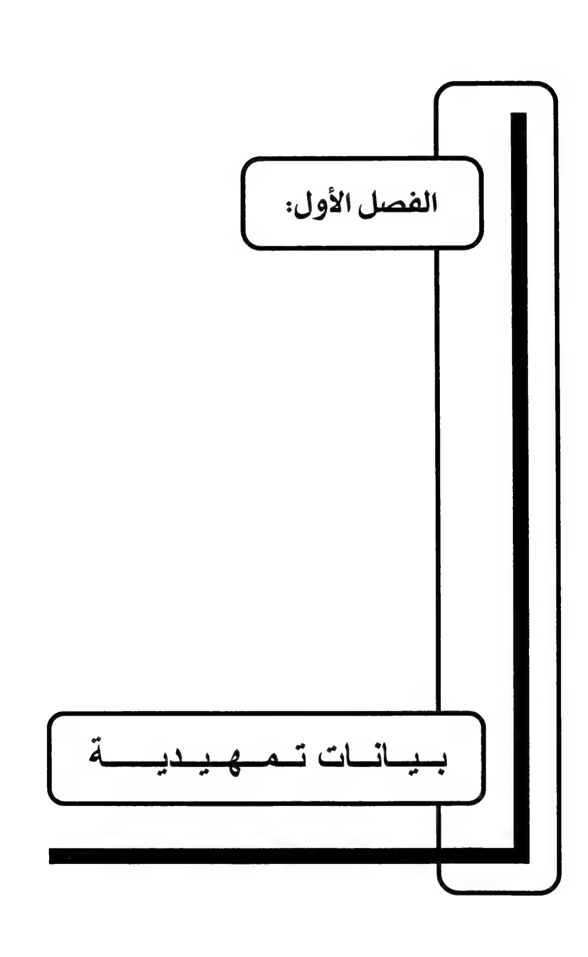
الفصل الثالث: كتاب النبي ﷺ إلي قيصر

الفصل الرابع: كتاب النبي ﷺ إلي المقوقس

الفصل الخامس: كتاب النبي ﷺ إلي النجاشي الثاني

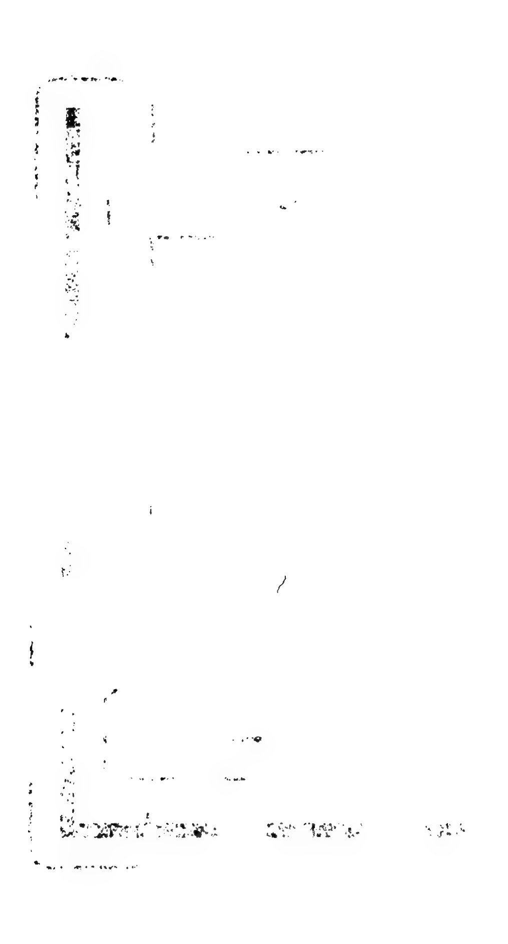






الفصل الأول:

بيانات تمهيدية



كتابة إلى ستة من الملوك:

وفي سنة ست[1] أو في سنة سبع[2] كان إرسال النبي «صلى الله عليه وآله» الرسل إلى ستة من الملوك، الذين يتحكمون في شعوب الأرض، فقد

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٢٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٨ والكامل لابن الأثير ج٢ ص٢١٠ والجامع للقيرواني ص٢٨٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٢ والبحار ج٢٠ ص٣٨٢ ومروج الذهب ج٢ ص٢٨٩ وفتح الباري ج٨ ص٩٨ وج١٠ ص٢٧٤ وسفينة البحار ج١ ص٣٧٦ وتحفة الأحوذي ج٧ ص٤١٧ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٩٨ وميزان الحكمة ج٤ ص٣٢٠٩ والطبقات الكبرى ج١ ص٢٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٤٣٠ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص٣١٥ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٤٤.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٢٩ عن الوفاء، والمواهب اللدنية، وأسد الغابة ج١ ص٦٢ والطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج١ ص٢٥٨ والتنبيه والإشراف ص٢٢٥ وتاريخ أبي الفدا ج١ ص١٤٨ والطبقات الكبرى ج١ ق٢ ص١٥ ووفاء الوفاء ج١ ص٣١٥ والثقات لابن حبان ج٢ ص٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٤٣ وعن فتح الباري ج١٠ ص ٢٧٤ وعن الكامل لابن عدي ج٤ ص١٥٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٣٥٧ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٤٤.

أرسل في ذي الحجة الحرام، أو في أواخره[١] أو في المحرم[٢] ستة نفر في يوم واحد[٣] فخرجوا مصطحبين[٤].

وقد كتب إليهم وإلى غيرهم من الملوك، والرؤساء، في داخل بلاد الإسلام وخارجها.

وكانت اللغة التي كتب إليهم بها هي العربية، والتي هي لغة القرآن والإسلام.

الملوك الستة الذين كتب إليهم:

والملوك الستة الذين كتب النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم هم:

١ ـ النجاشي، ملك الحبشة.

٢ ـ قيصر، ويقال: هرقل، عظيم الروم.

٣ ـ كسرى، حاكم فارس والمدائن.

٤ ـ المقوقس، صاحب الإسكندرية (مصر).

٥ ـ الحارث، والي تخوم الشام ودمشق.

٦ ـ ثمامة بن أثال، وهوذة بن علي الحنفيين، ملكي اليمامة، وقائديها.

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٢٩ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٨.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٢٩.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٢٩ عن المواهب اللدنية.

(٤) تاريخ الخميس ج٢ ص٢٩ عن المنتقى وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٨ والبحار ج٢٠ ص٣٨٢.

حاملو الكتب:

أما الذين حملوا الكتب إلى هؤلاء فهم:

١ ـ عمرو بن أمية الضمري، إلى النجاشي.

٢ ـ دحية بن خليفة الكلبي، إلى قيصر.

٣ ـ عبد الله بن حذافة السهمي، إلى كسرى.

٤ ـ حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، إلى المقوقس.

٥ ـ الشجاع بن وهب الأسدي، إلى الحارث بن أبي شمر الغسَّاني.

٦ ـ وسليط بن عمرو العامري، إلى ثمامة وهوذة.

التثاقل عن تنفيذ أمر الرسول ﷺ:

والظاهر هو: أنه قد كان ثمة رهبة شديدة وخوف عظيم لدى بعض المسلمين من هذا الأمر، حتى إن الرسل أنفسهم أظهروا تثاقلاً عن تنفيذ أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد يكون من أسباب ذلك خوفهم من بطش أولئك الملوك بهم، وذلك في سورة غضب شديد توقَّعوها منهم حين تسليم الرسائل إليهم، فقد قالوا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية، فقال:

يا أيها الناس، إن الله بعثني رحمة وكافة؛ فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا عليَّ كما اختلف الحواريون على عيسى!!

وقال: «انطلقوا ولا تصنعوا كما صنع رسل عيسى بن مريم».

فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟!.

فقال: دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه.. فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي

وسلَّم، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً، فكره وجهه، وتثاقل.

فشكى ذلك عيسى إلى الله تعالى؛ فأصبح المتثاقلون، كل واحد منهم يتكلم بلسان الأمة التي بعث إليها[1].

وقد اعتبر الواقدي: أنَ من معجزات رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه حين بعث النفر الستة إلى الملوك: «أصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثهم إليهم».

وقالوا: «كان ذلك معجزة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..»[2].

وعلى كل حال.. فإن هذا الحديث يدل: على أنه قد جرى لرسول الله «صلى الله عليه وآله» مع من أرسلهم إلى الملوك، نفس ما جرى لعيسى مع الحواريين .. فظهر مصداق ما أخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله» من

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٢٩ و ٣٠ عن الإكتفاء وكنز العمال (ط الهند) ج١٠ ص٤١٨ و ٤١٩ و (ط مؤسسة الرسالة) ج١٠ ص٦٣٣ و ٦٣٤ و ٦٣٥ وج١١ ص٦٤٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٥٤ و ٢٥٥ والمعجم الكبير ج٢٥ ص٢٣٢ و ٢٣٣ وعن ج٢٠ ص٨ والكامل لابن عدي ج٤ ص١٥٦١ وحياة الصحابة ج١ ص١٠١ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٩٠ و ١٩١ ونشأة الدولة الإسلامية ص٧٥ والطبقات الكبرى (ط ليدن) ج١ ق٢ ص١٥ و ١٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤١ والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج٣ ص٥٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٩ والآحاد والمثاني ج١ ص٤٤٥ والأحاديث الطوال ص٦٠ ومكاتيب الرسول ج١ ص١٨٤ و ١٨٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٥٠.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٢٩ عن الواقدي.

أن هذه الأمة سوف تسير على سنن من قبلها حذو القذة بالقذة، ومطابق النعل بالنعل، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوا فيه..

لماذا باللغة العربية؟!

إن ههنا سؤالاً يفرض نفسه، ويلح بطلب الإجابة عليه، وهو: أن الله سبحانه قد بعث محمداً «صلى الله عليه وآله» نذيراً للبشر كلهم، أبيضهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾[1].

وكان «صلى الله عليه وآله» يكلم كل قوم بلسانهم، فلماذا كتب لملوك الأرض كلهم باللغة العربية، ولم يكتب لهم بلغاتهم الخاصة بهم؟!

والجواب:

أولاً: من الطبيعي أن الإسلام يملك قيماً حضارية ومبادئ إنسانية يريد لها أن تحكم العالم، وتهيمن عليه، فلا غرو أن يسعى لفرض لغته ومصطلحاته الخاصة به على الشعوب كلها، واللغة هي الصلة بين جميع اتباع هذا الدين من هذه الأمة التي يفترض فيها أن تعيش تلك القيم، وترتكز في تعاملها وسلوكها إلى تلك المبادئ. لأن المطلوب هو: أن تتحول تلك المبادئ والقيم إلى مشاعر وأحاسيس، وأن يكون لها دور في صنع خصائص الشخصية الإنسانية، وتصبح هي عينه التي ينظر بها، وأذنه التي يسمع بها، ولسانه المعبر عن حقيقته الباطنية، وحركته العفوية، وتكوّن

---

(١) الآية ٤ من سورة إبراهيم.

لمحاته، ولفتاته، وكل مظهر من مظاهر الحياة والوعي لديه.

وتكون الكلمة، واللغة، والمصطلح الإيماني هو ذلك المحرك القوي، الذي يطلق في حنايا الروح، وفي أعماق الضمير والوجدان الإنساني شحناته الرافدة لمشاعره وأحاسيسه، والغامرة لها بفيوضات من معاني القيم، والمثل العليا.

ومن أجل ذلك كله، نقول:

إنه لابد من أن تفرض لغة القيم نفسها على البشرية كلها، وإن احتفظت الشعوب بلغاتها الخاصة بها فإنما ذلك من أجل أن تكون وسيلتها في تلبية حاجاتها في مفردات ومجالات ليست لها علاقة مباشرة بمعاني القيم ونظام المثل والمبادئ.

ولهذا كتب النبي «صلى الله عليه وآله» إلى ملوك العالم باللغة العربية، ولم يكتب لهم بلغاتهم التي يتكلمون بها.

ثانياً: إن وحدة اللغة فيما يرتبط بالقيم الإنسانية ومناهج الدين، تعطي الشعوب الإحساس الوجداني العميق بالرابط القيمي فيما بينها وبين الشعوب الأخرى، وتؤكد شعورها بالقواسم المشتركة في مفردات الدين والإيمان..

ولذلك أنزل الله القرآن، وهو كتاب العالم بأسره باللغة العربية، وجعل لقراءته ثواباً، ورتب أحكاماً، كما أنه قد شرع الصلاة، والأدعية، والزيارات، وبعض العقود وغيرها باللغة العربية أيضاً.

ثالثاً: إن الأمم الراقية تسعى لنشر لغتها في الشعوب على مستوى العالم بأسره، وذلك على حد قول العلامة الأحمدي «رحمه الله»: «إعمالاً للسيادة،

وتثبيتاً للعظمة»[1].

ويعدُّ هذا من أسباب قوة الدعوة، وثباتها، وتعزيزها في وجدان الناس، وفي عقولهم، وفي حياتهم العملية أيضاً..

تفاوت مستويات الرسائل العربية:

وقد يلاحظ: أن كتب النبي «صلى الله عليه وآله»، ورسائله، وعهوده، وإقطاعاته، تختلف وتتفاوت من حيث اشتمالها على الألفاظ الوحشية والغريبة فيها تارة، وخلوها من ذلك أخرى، ومن حيث سهولة التعبير وحزونته فيها، وغير ذلك من خصوصيات..

والسبب في ذلك هو: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يكلم الناس، ويكتب لهم على قدر عقولهم، وحسبما ألفوه من لغاتهم، ويصوغ لهم العبارات، ويورد التراكيب وفق ما هو متداول فيما بينهم، فأوجب ذلك اختلاف كلماته معهم، ورسائله لهم، من حيث وعورة الألفاظ وعذوبتها، وسهولة التراكيب وتعقيدها. «اتساعاً في الفصاحة، واستحداثاً للإلفة والمحبة، فكان يخاطب أهل الحضر بكلام ألين من الدهن، وأرق من المزن، ويخاطب أهل البدو بكلام أرسى من الهضب، وأرهف من القضب»[2].

وكلا هذين النوعين من الكلام بليغ وفصيح، فإن الغريب والوحشي لم يكن وحشياً ولا غريباً بالنسبة للذين خاطبهم به، بل هو فصيح بالنسبة

---

(١) مكاتيب الرسول ج١ ص٨٤.

(٢) مكاتيب الرسول ج١ ص٨٠ وكنز العمال ج١٠ ص٦١٧ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص.

إليهم، بل هذا النمط هو أعلى درجات البلاغة والفصاحة عندهم.

بل قد يقال: إن ما ظهر في لهجات ولغات كثير من القبائل من هنات وهنات[1] كان يعدُّ هو الفصاحة بعينها بالنسبة لتلك القبائل.

ولغة قريش فقط هي التي سلمت من أمثال هذه الهنات، فكانت هي الأفصح، والأجمل، والأصفى، وكان «صلى الله عليه وآله» من قريش، فكان «صلى الله عليه وآله» أفصح العرب، أو أفصح من نطق بالضاد حسبما روي عنه[2].

الكتابة في عهد رسول الله ﷺ:

لا ريب في أن الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة في أول البعثة النبوية الشريفة كانوا قليلين..

ولكن توسع الإسلام، خصوصاً بعد الهجرة، وظهور حاجة الناس في كثير من شؤون حياتهم وعلاقاتهم إلى القراءة والكتابة، وتشجيع الإسلام على تعلُّمها، وقد بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» في حثه على كتابة العلم،

---

(١) راجع: دائرة المعارف ج٦ ص٢٧٧ ـ ٢٨١ والوسيط في الأدب العربي.

(٢) راجع: الإختصاص ص٨٣ وشرح الشفاء للقاري ج١ ص١٩٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص١٧٨ وشرح أصول الكافي ج٩ ص٣٢٢ ونور البراهين ج١ ص١٢٠ ومكاتيب الرسول ج١ ص٨١ وتذكرة الموضوعات ص٨٧ وكشف الخفاء ج١ ص٢٠٠ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٤٢٩ وج٢ ص١٠٣ والقاموس المحيط ج١ ص٦ ومغني اللبيب ج١ ص١١٤ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ وغير ذلك.

وعلى كتابة القرآن، والسنة، الغاية، ووافى على النهاية، إلى حد أن جعل فداء الأسير في بدر، هو أن يعلِّم عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة(١).

وكان «صلى الله عليه وآله» أمر عبد الله بن سعيد بن العاص: أن يعلم الناس الكتابة بالمدينة، وكان محسناً(٢).

وقد ذكر العلامة الأحمدي «رحمة الله» في كتابه «مكاتيب الرسول» العديد ممن صرحوا: بأنهم كتبوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في مختلف المجالات، فلا بأس بمراجعة ذلك الكتاب.

لم يكن النبي ﷺ يكتب بيده:

وكانت طريقته «صلى الله عليه وآله» في كتابة رسائله وغيرها، هي: أنه يملي، والكاتب يكتب، ولم نجد ما يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» قد كتب بيده إلا ما تقدم عن البراء بن عازب في قصة الحديبية، حيث قال:

---

(١) التراتيب الإدارية ج١ ص٨٤ و ٤٩ عن المطالع النصرية للهوريني، وعن السهيلي، ومسند أحمد ج١ ص٢٤٧ والروض الأنف ج٣ ص٨٣ والإمتاع ص١٠١ وتاريخ الخميس ج١ ص٣٩٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص١٩٣ وطبقات ابن سعد (ط ليدن) ج٢ ق١ ص١٤ ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (الحياة الدستورية) ص٤٨ والبحار ج١٩ ص٣٥٥ والمستدرك للحاكم ج٢ ص١٤٠ ومجمع الزوائد ج٤ ص٩٦ والبداية والنهاية ج٣ ص٣٩٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٥١٢.

(٢) نسب قريش لمصعب الزبيري ص١٧٤ والإصابة ج١ ص٣٤٤ عنه والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٢ ص٣٧٢ وأسد الغابة ج٣ ص١٧٥ وراجع: السنة قبل التدوين ص٢٩٩ ومكاتيب الرسول ج١ ص١٠٥ و ٣٩٤.

«فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليس يحسن يكتب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الخ..»[1].

وقد قالوا: إن الروايات الأخرى قد صرحت: بأن علياً «عليه السلام» قد امتثل أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكتب ما أمر به.

فيكون المراد: أنه أمر علياً «عليه السلام» بالكتابة، فكتب، وما فعله رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو: أنه محا الكلمة السابقة فقط.

ولكن ذلك لا يعني: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يعرف القراءة والكتابة، عن طريق التعليم الإلهي الموجب لظهور المعجزة له في ذلك.. كما أثبتناه في كتابنا «مختصر مفيد»[2].

وكان عدم تصديه لكتابة رسائله وغيرها مراعاة للعرف السائد آنذاك، ولذلك لم يكن الخلفاء بعده يتصدون للكتابة بأنفسهم أيضاً، بل كانوا يملون على الكاتب، وهو يكتب.. إلا إذا كانت هناك ضرورة لتصديهم للكتابة بأنفسهم..

---

(١) راجع: البحار ج٢٠ ص٣٧٢ و ٣٥٢ ومسند أحمد ج٤ ص٢٩٨ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٠٤ والأموال ص١٥٨ وسنن الدارمي ج٢ ص٢٣٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٥ وكنز العمال (ط الهند) ج١٠ ص٣٠٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج١٤ ص٤٣٥ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٨ ص٩٣ و ٩٦ وصحيح البخاري ج٤ ص٧١ وج٥ ص٨٤ وصحيح مسلم ج٥ ص١٧٤ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٧٣ وشرح الشفاء للقاري ج١ ص٧٢٧ و ٧٢٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٤.

(٢) مختصر مفيد ج١ ص١١.

بداية كتب الرسول ﷺ:

وقد زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان في مدة من الزمن يكتب: «باسمك اللهم».

ثم صار يكتب: «بسم الله».

ثم صار يكتب: «بسم الله الرحمن».

ثم صار يكتب: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

فقد روي عن الشعبي، أنه قال:

كان أهل الجاهلية يكتبون: «باسمك اللهم».

فكتب النبي «صلى الله عليه وآله» أول ما كتب: «باسمك اللهم»، حتى نزلت: ﴿..بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا..﴾ [1]، فكتب: «بسم الله».

ثم نزلت: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ..﴾[2]. فكتب: «بسم الله الرحمن».

ثم أنزلت الآية التي في طس: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[3]. فكتب: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»[4].

---

(١) الآية ٤١ من سورة هود.

(٢) الآية ١١٠ من سورة الإسراء.

(٣) الآية ٢٠ من سورة النمل.

(٤) راجع: المصادر التالية: الدر المنثور ج٥ ص١٠٦ و ١٠٧ عن عبد الرزاق، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وأبي عبيد في فضائله، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي داود في المراسيل، وكنز العمال (ط الهند) ج١٠ ص١٩٤ والتنبيه والإشراف ص٢٢٥ والعقد الفريد ج٤ ص١٥٨ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٤٠ =

زاد في السيرة الحلبية بعد قوله: فكتب أول ما كتب: «باسمك اللهم وكتب ذلك في أربعة كتب»[1].

ونقول:

إننا بغض النظر عن الطعون التي ربما يشار إليها فيما يتعلق بالشعبي نفسه، فضلاً عمن يروي عنه، وبقطع النظر عن أن الشعبي لم يكن حاضراً ولا ناظراً لما يجري في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، نقول:

أولاً: إن آية: **﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** قد نزلت قبل سورة النمل، وقبل آية: **﴿قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ..﴾** وقبل آية: **﴿..بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا..﴾**. بل هي قد بدأت تنزل مرة بعد أخرى من أول البعثة، وإلى حين وفات النبي ، وكان «صلى الله عليه وآله» ولم يزل منذ بعثه الله نبياً يصلي ويقرأ بفاتحة الكتاب، المشتملة على آية: **﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**.

وقد ذكرنا في كتابنا «حقائق هامة حول القرآن الكريم»: أن المروي عن

= ومستدرك الوسائل ج٨ ص٤٣٢ و ٤٣٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٠ وج١ ص٢٤٩ والجامع لأحكام القرآن ج١ ص٩٢ وج١٣ ص١٩٤ والوزراء والكتاب للجهشياري ص١٣ و ١٤ والطبقات الكبرى ج١ ص٢٦٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج١٤ ص١٠٥ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص٨ والمراسيل لأبي داود ص٩٠ والتفسير الكبير للرازي ج١ ص٢٠٠ وروح المعاني ج١ ص٢٧ وثمرات الأوراق (بهامش المستطرف) ج٢ ص١٠٥ وعمدة القاري ج٥ ص٢٩١.

(١) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٦٩.

الإمام الصادق «عليه السلام»[1]، وعن ابن عباس، وعثمان بن سعيد بن جبير:

أنهم كانوا لا يعرفون (أوكان النبي لايعرف) انتهاء السورة السابقة، وبدء السورة اللاحقة إلا بنزول: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[2].

---

(١) تفسير العياشي ج١ ص١٩ ومصباح الفقيه (كتاب الصلاة) ص٧٦ والبحار ج٨٩ ص٢٣٦ ونور الثقلين ج١ ص٦.

(٢) راجع: الدر المنثور ج١ ص٧ وج٣ ص٢٠٨ عن أبي داود، والبزار، والدارقطني في الإفراد، والطبراني، والحاكم، وصححه، والبيهقي في المعرفة، وفي شعب الإيمان، وفي السنن الكبرى، وعن أبي عبيد، والواحدي، وفتح الباري ج٩ ص٣٩ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص١٦ ونيل الأوطار ج٢ ص٢٢٨ ومستدرك الحاكم ج١ ص٢٣١ و ٢٣٢ وصححه على شرط الشيخين، وتلخيص المستدرك للذهبي، بهامشه، وأسباب النزول للواحدي ص٩ و ١٠ والسنن الكبرى ج٢ ص٤٢ و ٤٣ ومحاضرات الأدباء المجلد الثاني، الجزء ٤ ص٤٣٣ والإتقان ج١ ص٧٨ وبحوث في تاريخ القرآن وعلومه ص٥٦ و ٥٧ وراجع ص٥٥ عن بعض من تقدم، والجامع لأحكام القرآن ج١ ص٩٥ وعمدة القاري ج٥ ص٢٩٢ ونصب الراية ج١ ص٣٢٧ والمستصفى ج١ ص١٠٣ وفواتح الرحموت (بهامشه) ج٢ ص١٤ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٣٤ والتفسير الكبير ج١ ص٢٠٨ وغرائب القرآن بهامش الطبري ج١ ص٧٧ والمصنف للصنعاني ج٢ ص٩٢ ومجمع الزوائد ج٦ ص٣١٠ وج٢ ص١٠٩ عن أبي داود، والبزار، وكنز العمال ج٢ ص٣٦٨ عن الدارقطني في الإفراد، والتمهيد في علوم القرآن ج١ ص٢١٢ عن الحاكم واليعقوبي، وسنن أبي داود ج١ ص٢٠٩ والمنتقى ج١ ص٣٨٠ وتبيين الحقائق ج١ ص١١٣ وكشف الأستار ج٣ ص٤٠ ومشكل الآثار ج٢ ص٥٣ والمراسيل لأبي داود السجستاني ص٩٠ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص١٥ وذكر أخبار إصبهان لأبي نعيم ج٢ ص٣٥٦ والمستدرك على الصحيحين ج٢ ص٦١١ والكامل لابن =

فلماذا عمل «صلى الله عليه وآله»، واستن بآية: ﴿..بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا..﴾ واستن بآية: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ..﴾ ولم يعمل ولم يستن بـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ التي رافقته في جميع السور منذ بعثته، وإلى حين وفاته؟!..

ثانياً: يضاف إلى ذلك: أن كتب الله تعالى كلها قد افتتحت بقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وكانت هذه الكلمة أول كل كتاب نزل من السماء، فلماذا لم يستن بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما استن بآية: ﴿..بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا..﴾، وبغيرها من الآيات المتقدمة؟!

فراجع الحديث المروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: مفتاح كل كتاب»[1].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: ما أنزل الله من السماء كتاباً إلا وفاتحته «بسم الله الرحمن الرحيم»[2].

= عدي ج٦ ص٣٠٣٩ وج٣ ص١٠٣٩ والضعفاء الكبير للعقيلي ج٢ ص٣٥ والمعجم الكبير ج١٢ ص٨٢ والبيان في تفسير القرآن ص٤٤٢ وعن فتح الباري ج٩ ص٣٥ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص١٠٦ والدر المنثور ج١ ص٧.

(١) كنز العمال (ط الهند) ج١٠ ص٤٩٣ والدر المنثور ج١ ص١٠ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٦ وميزان الحكمة ج٢ ص١٣٦٦ وج٣ ص٢٦٦٤ والجامع الصغير ج١ ص٤٨١ وشرح مسند أبي حنيفة ص٥ وفيض القدير ج٣ ص٢٩٤ وفتح القدير ج١ ص١٩.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ج٥ ص١١٦ و ١١٧ عن الكافي، والمحاسن، وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٠ ومستدرك الوسائل عن العياشي، ونور الثقلين ج١ ص٦ =

وعن الإمام الباقر «عليه السلام»: أول كل كتاب نزل من السماء: «بسم الله الرحمن الرحيم»[1].

ثالثاً: ومع غض النظر عن هذا وذاك، فإننا لم نجد هذه الكتب المبدوءة بـ «باسمك اللهم». أو بـ «بسم الله» أو بـ «بسم الله الرحمن» رغم بحثنا عنها، وما ادَّعاه الحلبي، لو صدقناه فيما ادَّعاه، لم نستطع أن نجد له شاهداً يثبته، ولا مصداقاً يمكن الاعتماد عليه..

رابعاً: قال العلامة الأحمدي «رحمه الله»: «أما ما نقل عنه «صلى الله عليه وآله» من الكتب، وليس فيها البسملة فمن آفات الرواة، وتلخيص الناقلين، وعدم اهتمامهم ببعض الأمور.

وأما ما أخرجه السيوطي من كتابه «صلى الله عليه وآله» لأهل نجران، فسيأتي الكلام عليه في ذكر وفد نجران. مع أن المنقول في جمهرة رسائل العرب ج١ ص٧٦ عن صبح الأعشى ج٦ ص٣٨ و ٣٨١ هكذا: «بسم الله الرحمن الرحيم، إله إبراهيم..» الخ..

وأضف إلى ما ذكرنا: ما سيأتي من أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»

= وج٢ ص٢٣٨ عن العياشي، والكافي، والبرهان ج١ ص٤٢ والوسائل ج٤ ص٧٤٧ والبحار ج٨٢ ص٢٠ وج٨٩ ص٢٣٦ وج٩٢ ص٢٣٤ و ٢٣٦ وتفسير العياشي ج١ ص١٩ وتفسير كنز الدقائق ج١ ص٣١، وراجع: مكاتيب الرسول للأحمدي ج١ ص٥٦ وج٣ ص٥٠٥ و ٥٠٦ عن مصادر كثيرة.

(١) الكافي ج٣ ص٣١٣ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج٤ ص٧٤٦ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٦ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٦ وج٣ ص٨٤ وتفسير كنز الدقائق ج١ ص٣١.

كتب للداريين بمكة، سنة خمس أو ست، من البعثة، أو قبلها، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم» انتهى[١].

البدء باسمه الشريف:

ويلاحظ: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان في كتبه يقدم اسمه الشريف موصوفاً بوصف الرسالة أو النبوة، فيكتب مثلاً: من محمد رسول الله إلى فلان. أو من محمد النبي لفلان. أو هذا ما كتبه النبي محمد لفلان..

ويصرح باسم المرسل إليه، وربما وصفه: بأنه عظيم الروم مثلاً، أو صاحب مملكة كذا، أو نحو ذلك.

وذلك ـ كما يقول العلامة الأحمدي «رحمه الله» ـ تعظيماً منه للنبوة، وترفيعاً لمقام الرسالة.. إلى أن قال: إذ كما يجب على غيره أن يعظِّم ساحتها المقدسة السامية، يلزم على نفسه الكريمة أيضاً أن يحفظها ويصونها، وأن لا يضعها ولا يذلها.

ألا ترى: أنه يجب عليه «صلى الله عليه وآله» أن يصلي على نفسه في الصلاة، وأن يشهد لنفسه بالنبوة، فيقول: أشهد أن محمداً عبده ورسوله، واللهم صل على محمد وآل محمد.

وليس ترفيعاً، أو إكباراً، أو إعظاماً في الحقيقة، بل هو وضع للشيء في موضعه[٢].

---

(١) مكاتيب الرسول ج١ ص٦٥ وج٣ ص٥٠٥ و ٥٠٩ والآحاد والمثاني ج٥ ص١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٦٥.

(٢) راجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٦٧ و ٦٨.

وقد أغضب تقديمه اسمه الشريف على اسم المكتوب له، كسرى ملك الفرس، فمزق كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

كما أن أخا قيصر، أو ابن عمه أراد أن يخرق كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لنفس السبب، فمنعه قيصر من ذلك، وقال له:

«إنك أحمق صغير، أتريد أن تمزق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه؟! ولعمري، إن كان رسول الله لَنَفْسُهُ أحق أن يبدأ بها مني»[2].

الحمد والتسليم:

وكان يكتب أيضاً: «سلم أنت» أو «سلام عليك» أو «سلام على من آمن بالله».

وكان يكتب: «أحمد الله إليك» أو «أحمد إليك الله» أي أهدي إليك حمد الله. وكان ذلك تحية يكتبونه في افتتاح كتبهم[3].

---

(١) المعجم الكبير ج٤ ص٢٢٥ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص١٥٣ وعن فتح الباري ج٨ ص١٦٥ وكنز العمال ج١٠ ص٥٨٥ و ٦٣٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٧ ص٢٠٩ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٥٥٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٠٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٠٥ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٥٣.

(٢) مكاتيب الرسول ج١ ص٦٩ والدر المنثور ج٤ ص١٥٦ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣٠٨ وج٨ ص٢٣٦.

(٣) راجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٦٧ و ٦٨ وج٢ ص٣٧٣ و ٦٤٩ وج٣ ص٥٤٨ وأشار في هامشه إلى: التراتيب الإدارية ج١ ص١٣٧ و ١٣٨ عن صبح الأعشى، وإكمال الدين ص٥٧١ والغارات ج١ ص٢١٠ وكنز الفوائد ص٢٤٩ والبحار ج٢٢ ص٨٧ وج٥١ ص٢٤٩ وعن ج٧٤ ص١٦٢ والمستدرك للحاكم ج٣ =

وكذلك كان يكتب أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، وأم سلمة في كتابها إلى عائشة حين نهتها عن الخروج قبل وقعة الجمل.

إتخاذ الخاتم:

ويقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» قد اتخذ الخاتم في سنة ست، وبه ختم الكتب التي أرسلها إلى الملوك، يدعوهم فيها إلى الإسلام..

وزعم المؤرخون: أنه «صلى الله عليه وآله» لما أراد أن يكتب إلى الملوك، قيل له: إنهم لا يقبلون كتاباً إلا بخاتم، أو مختوماً. فصاغ النبي «صلى الله عليه وآله» خاتماً من ذهب. واقتدى به ذوو اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب.

فلما لبس رسول الله «صلى الله عليه وآله» خاتمه، لبسوا أيضاً خواتيمهم.

فجاء جبرئيل «عليه السلام» من الغد، وقال: لبس الذهب حرام لذكور أمتك. فطرح النبي «صلى الله عليه وآله» خاتمه، وطرح أصحابه أيضاً خواتيمهم.

ثم اتخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» خاتماً حلقته وفَصُّه من فضة، ونقش فيه محمد رسول الله: محمد سطر. ورسول سطر. والله سطر. ونهى أن ينقش عليه أحد.

واقتدى به أصحابه، فاتخذوا خواتيمهم من فضة[1].

= ص٢٧٣ والمعجم الصغير ج١ ص١٥١ وكنز العمال ج١٥ ص٧٤٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٨٥ ومجمع البحرين ج١ ص٥٦٩.

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٢٩. وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص٣٥٦ وج٦ ص٢ =

ونقول:

١ ـ إن اتخاذ الخاتم والختم في آخر الكتاب، إنما هو من أجل المنع من الزيادة فيه.

كما أن ختمه بعد طيه وجعل الختم على شيء رطب من الطين ونحوه، إنما هو من أجل أن لا يفضه حامله أو غيره، ويطلع على ما فيه غير المكتوب إليه، ولكي لا يزاد فيه، ولا تحرَّف بعض كلماته[1].

٢ ـ إن حديث: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اتخذ أولاً خاتماً من ذهب. ولبسه حتى جاءه جبرئيل، وأخبره أن الذهب حرام على ذكور الأمة.. لا يمكن قبوله.

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه.

فإن كان قد فعل ذلك حقاً فلابد أن يكون قد فعله عن أمر الله تعالى، وبإذن منه..

ثانياً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن لينفق أموالاً على خاتم له من ذهب، وهو ما لا يقدم على اتخاذه إلا ذوو اليسار من أصحابه، كما صرحت به الرواية، بل كان يساوي نفسه في مأكله وملبسه ومشربه

= و ٣ و٤ والبحار ج٧ ص٢٠٢ و ٢٠٤ وسنن أبي داود ج٤ ص٨٨ و ٨٩ والطبقات الكبرى (ط ليدن) ج١ ق٢ ص١٦٥ وعن فتح الباري ج١٠ ص٢٦٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٠ و ٢٤١ والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج٣ ص٥٥ و ٥٦ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٧٩.

(١) راجع: الجامع الصغير للقيرواني ص٢٨٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٠ والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج٣ ص٥٥.

بالضعفاء منهم، كما هو معلوم في سيرته..

والصحيح: هو أنه اتخذ خاتماً من فضة، فاقتدى به من شاء من أصحابه.

النبي ﷺ يؤرخ رسائله:

وقد ذكرنا في هذا الكتاب: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وضع التاريخ الهجري، وأنه كان يؤرخ به رسائله، وغيرها..

فراجع فصل: أعمال تأسيسية في مطلع الهجرة، لتجد صحة ما ذكرناه.

كتب دعوة لا كتب حرب:

إن الكتب التي أرسلها النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الملوك قد تضمنت دعوتهم إلى توحيد الله تعالى وإلى الإسلام..

ولم نجد فيها: أية إشارة إلى الحرب، ولا إلى إلزامهم بالجزية لو امتنعوا من الإسلام.. وذلك لأن الهدف هو نشر الدين بإطلاق نداء الضمير، والوجدان، والفطرة، والالتزام بحكم العقل، وإتمام الحجة عليهم.. والقصد إنما هو إلى إسعاد الناس، وتوجيههم نحو الحياة الكريمة والطيبة، حيث العظمة والمجد، والسؤدد، من دون أن تكون هناك أي امتيازات ظالمة لأحد.

وليس القصد الاستيلاء على بلاد الناس ولا قهرهم، أو إذلالهم، أو أي نوع من أنواع الإيذاء لهم..

من أجل ذلك نلاحظ: أن هؤلاء لم ينأوا في الأكثر بأنفسهم عن الإسلام، بل قَبِلَهُ بعضهم، وأجاب بعضهم بجواب لين، ظهرت فيه أمارات التردد، بسبب وساوس شيطانية، ومخاوف غير واقعية على ملكهم

وسلطانهم، أو على بعض امتيازاتهم فيه.

وما أشبه الليلة بالبارحة، حيث كان المستضعفون في مكة قد قبلوا الإسلام في بدء الدعوة، فلما عرف أسيادهم والمستكبرون من عظمائهم وأشرافهم بالأمر، لاموهم على ذلك، ومنعوهم منه، وواجهوا من أصر على موقفه بالعنف والقسوة البالغة.

فقد ذكروا: أنه لما أظهر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الإسلام أسلم أهل مكة كلهم، وكانوا يجتمعون على الصلاة حتى ما يستطيع بعضهم أن يسجد من كثرة الزحام، وضيق المكان، حتى قدم رؤوس قريش: الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام ـ بالطائف في أراضيهم ـ فقالوا: تدعون دين آبائكم؟! فكفروا[1].

وهذا بالذات ما جعل ملوك الأرض ـ باستثناء بعضهم ـ يواجهون دعوته «صلى الله عليه وآله» لهم، بمزيد من التروي، والمرونة، وأرسلوا إليه بكتب نضحت بالإكرام والإعظام، وبعثوا إليه بالتحف والهدايا، وقد قال قيصر لأخيه حين طلب منه أن يرمي الكتاب من يده: أترى أرمي كتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر؟!

وقد أسلم النجاشي ملك الحبشة.

والمنذر بن ساوى ملك البحرين.

---

(١) تاريخ يحيى بن معين ج٣ ص٥٣ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٤٩٠ ومكاتيب الرسول ج١ ص١٨٨ ومجمع الزوائد ج٢ ص٢٨٤ وعن فتح الباري ج٢ ص٤٥٥ والمعجم الكبير ج٢٠ ص٥ وكنز العمال ج١ ص٤١١ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص١٥٥ وعن الإصابة ج٦ ص٤٢.

وأسلم فروة عامل قيصر على عمّان.. فلما بلغ قيصر ذلك أخذه واستتابه، فأبى، فقتله.

وأسلم جيفر وعبد ابنا جلندى، ملكا عُمان.

وأسلم ضغاطر أسقف الروم بعد قراءة كتاب الرسول «صلى الله عليه وآله» إلى قيصر.

وأجابه ملوك حِمْيَرَ ووفدوا عليه.

وأسلم أقيال حضرموت.

وأسلم عمال كسرى بالبحرين واليمن.

وقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي. فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكذاب، ووجدت معه آلة النبوة، بإخراج الخبأ، والإخبار بالنجوى، وسأنظر.

وأعطاه أساقفة نجران الجزية.

وأجابه ملك أيلة ويهود مقنا، إما بالإسلام، أو الجزية[1].

حساسية مخاطبة الملوك:

إن مخاطبة الملوك في أي شأن من الشؤون، حتى ما كان منها عادياً ومألوفاً، ليست على حد مخاطبة سائر الناس. بل هي محفوفة بالأخطار، لابد من حساب كل مفرداتها وفقراتها بدقة بالغة، وبحساسية متناهية.

وذلك بسبب الأخلاق الخاصة التي يكتسبها هؤلاء الملوك من

---

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج١ ص١٨٩ و ١٩٠ وج٢ ص٤٢٢ ونصب الراية ج٦ ص٥٦٤ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٦٣.

الأجواء المحيطة بهم، والتي يغذيها شعورهم بالعظمة، وبالقوة، بجميع مكوناتها ومظاهرها، فيبتلون الملوك من خلال استمرار هذا الشعور بالبأو، وبالكبر، والاستعلاء، والزهو، وما إلى ذلك..

يضاف إلى ذلك: أن شعورهم بعدم مسؤوليتهم عما يقومون به من تصرفات، من شأنه أن يسهل عليهم البطش، وتظهر عليهم الرعونة إلى حد الإفراط في اتخاذ القرارات المتهورة ضد الأشخاص، والجماعات الصغيرة، فيستضعفونها، ويقهرونها بسلطانهم ويهيمنون عليها ببطشهم وجباريتهم.

ويتعاظم هذا الخطر ويبلغ أقصى مداه حينما يواجه هؤلاء الملوك دعوة إلى أمر قد يرون أنه يستبطن تقليص نفوذهم، أو يحدَّ من سلطانهم، ويقلل إلى حد ما من هيبتهم، أو يكسر من شوكتهم، أو يقيد إطلاق يدهم في الأمور وفي التصرفات السلطانية..

فإذا أحسوا بشيء من ذلك، أو راودتهم شكوك، أو حتى بعض الأوهام فيه، فإن حرصهم على محو هذه الدعوة وكل من يقف وراءها من الوجود، سيكون بلا حدود، ولن تقيده قيود، أو تحول دونه موانع أو سدود.

وهذا يعطي: أن دعوة الأنبياء والمصلحين من أتباعهم للملوك والجبارين في منتهى الصعوبة، وغاية الدقة، وأقصى درجات الحساسية، وأن أي إخلال في ذلك يؤدي إلى حرمان هذا النوع من الناس الذين تتحكم فيهم تلك العاهات النفسية من الهداية، كما أن ذلك يحركهم إلى حرمان غيرهم منها، بما يثيرونه من أجواء مشحونة بالتحدي لا يجرؤ معها كثير من الناس على المبادرة بخطوة في هذا الاتجاه؛ بسبب أخطار لا يملكون القدرة على دفعها عن أنفسهم، ولا يستطيعون التحرز منها، ولا يمكنهم تحملها.

رسائل النبي ﷺ للملوك:

وإذا راجعنا نصوص الرسائل التي كتبها رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى ملوك الأرض، فإننا نجدها في غاية الدقة في مراعاة حالات أولئك الملوك، فهي خالية عن أية إثارة لهم، ولا تعطيهم أية فرصة للتخلص أو التملص من مسؤولية النظر في صحة ما يدعوهم إليه، والتعاطي معه بمسؤولية، وتعقل.

وإذا ما ظهر من بعض أولئك الجبابرة أي تصرف غير متوازن، فإنما كان ذلك منه لاعتبارات اختلقها لنفسه، انطلاقاً من عدوانيته، وانسجاماً مع جباريته، ومن دون أي مبرر وجده في طريقة تعاطي رسول الله «صلى الله عليه وآله» معه، أو في المضامين التي وجدها في خطابه «صلى الله عليه وآله»، الذي أرسله إليه..

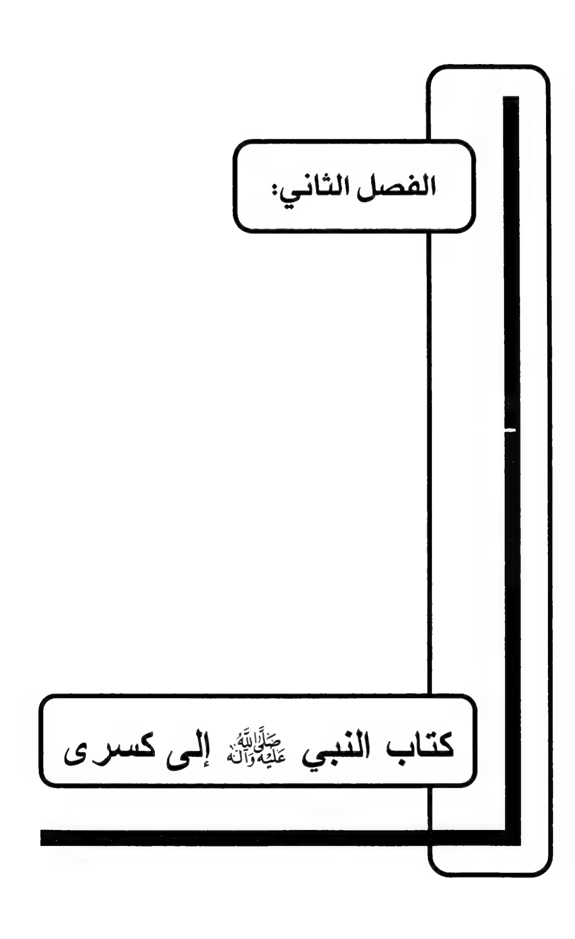
ونحن من أجل وضوح ما نرمي إليه بصورة عملية، نلقي نظرة على بعض تلك الرسائل، مقتصرين على رسائله «صلى الله عليه وآله» لأربعة منهم وهم:

١ ـ ملك الفرس.

٢ ـ ملك الروم.

٣ ـ ملك مصر.

٤ ـ ملك الحبشة.



الفصل الثاني:

كتاب النبي صلى الله عليه وآله إلى كسرى

١ـ رسالته ﷺ إلى كسرى:

ويقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كتب إلى كسرى ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين.

أسلم تسلم.

فإن أبيت فعليك إثم المجوس»[1].

---

(١) لقد كفانا العلامة الشيخ علي الأحمدي «رحمه الله» مؤونة استقصاء المصادر لهذه الرسالة، حيث ذكر جملة وافرة منها في كتابه القيم: «مكاتيب الرسول» ج٢ ص٣١٦ فما بعدها، فنحن نورد نفس كلامه، وإن اختلفت المصادر التي اعتمد عليها في طبعاتها، فقد أرجع «رحمه الله» إلى: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٧ والسيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحلبية ج٣ ص٦٥ واليعقوبي ج٢ ص٦٦ وفي (ط أخرى) ص٦١ والكامل لابن الأثير ج٢ ص٢١٣ والطبري ج٢ ص٦٥٤ =

= وأعيان الشيعة ج٢ ص١٤٤ وفي (ط أخرى) ج١ ص٢٤٤ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص٢٩٢ و ٢٩٣ وإعلام السائلين ص٩ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٣٥ وإعجاز القرآن ص١١٢ والمواهب اللدنية للقسطلاني شرح الزرقاني ج٣ ص٣٤٠ و ٣٨٩ وتاريخ ابن خلدون ج٢ ق٢ ص٣٧ ورسالات نبوية لعبد المنعم خان ص٢٥٠ (عن المواهب) وحياة الصحابة ج١ ص١١٥ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٠٦ (عن عدة مصادر) وفقه السيرة ص٣٨٨ وزاد المعاد لابن القيم ج٣ ص٦٠ وناسخ التواريخ في سيرة الرسول «صلى الله عليه وآله»، وتأريخ الخميس ج٢ ص٣٤ ونصب الراية للزيلعي ج٤ ص٤٢٠ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٤٤ والبحار ج٢٠ ص٣٨٩ عن المنتقى للكازروني، والمنتظم ج٣ ص٢٨٢ ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٣٩ عن بعض المصادر المتقدمة وعن سعيد بن منصور ص٤٢٨٠ ثم قال: قابل وانظر كايتاني ج٦ ص٥٤ واشپرنكر ج٣ ص٢٦٤ وعن الجرائد والمجلات العصرية وعن: مفيد العلوم ومبيد الهموم للقزويني ج٢٤ ص١٧ والمواهب اللدنية والمنتقى لأبي نعيم: ورقة ٣٥/ ١ ب ونثر الدر المكنون للأهدل ص٧٦٠ ومنشآت السلاطين ج١ ص٣١ ووسيلة المتعبدين لعمر الموصلي ٨/ ورقة ٢٧/ ب والإمتاع للمقريزي، خطية كوپرولو، وتاريخ گزيده لحمد الله المستوفي (سلسلة كتب لوندرا) ص١٤٧ وتاريخ البلعمي (وهو ترجمة تأريخ الطبري إلى الفارسية مع حذف وزيادات) (ط طهران) ص١١٣٨ ونهاية الإرب في أخبار الفرس والعرب، والوفاء لابن الجوزي ص٧٣٢ وشرف المصطفى لأبي سعيد النيسابوري عن ابن إسحاق.

وقال رحمه الله أيضاً: أوعز إلى الكتاب في البداية والنهاية ج٤ ص٢٦٩ وج٦ ص٣٠٦ والبخاري ج١ ص٢٥ وج٤ ص٥٤ وج٦ ص١٠ وج٩ ص١١١ وفتح الباري ج١ ص١٤٣ وج٦ ص٧٨ وج٨ ص٩٦ وج١٣ ص٢٠٥ وعمدة القاري ج٢ص٢٧ وج١٤ ص٢١٠ وج١٨ ص٥٧ و ٥٨ وج٢٥ ص٢٠ وصحيح =

ولنا مع هذا الكتاب وقفات، هي التالية:

اختلاف الكتب:

وقد اشار العلامة الأحمدي «رحمه الله» إلى أن هناك نصوصاً أخرى للكتاب الذي أرسله «صلى الله عليه وآله» إلى كسرى..

ففي أحدها وردت عبارة: «فأسلم تسلم، وإلا فأذن بحرب من الله

= مسلم ج٣ ص١٣٩٧ ومسند أحمد ج٣ ص١٣٣ و ج٤ ص٧٥ و ج١ ص٢٤٣ و ٣٠٥ والترمذي ج٥ ص٦٨ والطبقات لابن سعد ج١ ق٢ ص١٦ وج٤ ق١ ص١٣٩ وصبح الأعشى ج٦ ص٢٩٦ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٧٨ وج١ ص٩١ وكنز العمال ج١ ص٢٣٩ و٤ج ص٢٧٤ وج١٠ص٤١٨ ومشكل الآثار للطحاوي ج١ ص٢١٥ وتهذيب تأريخ ابن عساكر ج٧ ص٣٥٥ و ٣٥٦ وج١ ص١١٤ والأموال لأبي عبيد ص٣٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٧٧ و ١٧٩ والتنبيه والإشراف ص٢٢٥ وأحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٢٤١ والبحار ج٤ ص١٠٠ وج١٧ ص٢٠٦ والجامع للقيرواني ص٢٨٨ وسيرة ابن هشام ج٤ ص٢٥٤ وفقه السيرة ص٣٨٤ والروض الأنف ج٣ ص٣٠٤ وثقات ابن حبان ج٢ ص٦ والإقبال لابن طاووس ص٤٩٦ والإستيعاب هامش الإصابة ج٢ ص٢٨٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٣٨٨ ومجمع الزوائد ج ٨ ص٢٣٧ ومرقاة المفاتيح ج٤ ص٢٢١ ومشكاة المصابيح هامش المرقاة ص٢٢١ والأم للشافعي ج٤ ص١٧١ وحياة محمد لهيكل ص٣٥٣ والأموال لابن زنجويه ج١ ص١٢١ وراجع: أسد الغابة ج٣ ص١٤٣ والمنتظم ج٥ ص٣٢.

ورسوله»[١].

وورد في نص آخر: «من شهد شهادتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فله ذمة الله وذمة رسوله»[٢].

وفي نص ثالث: «فإني أحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو. وهو الذي آواني، وكنت يتيماً. وأغناني، وكنت عائلاً. وهداني، وكنت ضالاً. ولم يدع ما أرسلت به إلا من سلب معقوله، والبلاء غالب عليه. أما بعد يا كسرى، فأسلم تسلم، أو ائذن بحرب من الله ورسوله، ولن تعجزها، والسلام»[٣].

وفي نص رابع: «إني أحمد الله لا إله إلا هو الحي القيوم، الذي أرسلني بالحق بشيراً ونذيراً إلى قوم غلبهم السفه، وسلب عقولهم، ومن يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ليس كمثله شيء، وهوالسميع البصير..

أما بعد.. فأسلم تسلم، أو ائذن بحرب من الله ورسوله الخ..»[٤].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣١٩ عن المناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٧٩ وراجع: البحار ج٢٠ ص٣٨١ وأحكام القرآن ج١ ص٦٨ والبداية والنهاية ج٦ ص٣٣٨ وعن عيون الأثر ج٢ ص٣٢٧ وكنز العمال ج٤ ص٤٣٨ وتاريخ بغداد ج١ ص١٤٢.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣١٩ عن تاريخ بغداد ج١ ص١٣٢ ورسالات نبوية ص٢٥١ وكنز العمال ج٤ ص٢٧٤.

(٣) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٢٠ و ٣٢١ عن مجموعة الوثائق السياسية ص١١١ عن نهاية الإرب في أخبار الفرس والعرب.

(٤) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٢١ عن مجموعة الوثائق السياسية ص١٤٠.

وفي نص خامس: أنه كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي رسالة اقتصر فيها على قوله: أما بعد.. **﴿تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**[1].

وعن الزهري: «كانت كتب النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم واحدة، وكلها فيها هذه الآية»[2].

وعن ابن عباس: «أن كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الكفار: **﴿تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾**»[3].

ولعل هذه الكتب قد أرسلت إلى عمال كسرى، أو إلى كسرى نفسه، بعد أن ظهر عنادهم للحق، وبغيهم على أهله، وقد اشتبه الأمر على المؤرخين في ذلك..

---

(١) الدر المنثور ج٥ ص١٠٧ وسنن سعيد بن منصور ج٢ ص١٨٩ والبحار ج٢١ ص٢٨٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج١٤ ص٣٣٨ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٢٠ عنهم وعن الأموال ص٢٣ وفي (طبعة أخرى) ص٣٤ وعن كنز العمال ج٥ ص٣٢٦ وفي (طبعة أخرى) ج١٠ ص٤١٧ وإقبال الأعمال ج٢ ص٣١١ والمباهلة ص٢٩.

(٢) البداية والنهاية ج٣ ص٨٣ وفي (ط دار إحياء التراث) ص١٠٤ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٤١.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص٤٠ عن الطبراني، ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٢٠ و ٣٩٨ و ٤٩٠ وميزان الحكمة ج٤ ص٣٢١٤ والمعجم الأوسط ج٥ ص٣٢٣ وعن المعجم الكبير ج١١ ص٣١١ وفتح القدير ج١ ص٣٤٨.

إذ من غير المعقول: أن يبدأ النبي «صلى الله عليه وآله» دعوته لهم بالتهديد والوعيد، قبل إتمام الحجة، وظهور اللجاج والعناد والبغي منهم، ولاسيما لملوكٍ يعيشون حالة الكبر والزهو، والعنفوان الظالم، والشعور بالعظمة والقوة.. فإن مواجهتهم بها يوجب نفورهم بمثابة الإسهام في حرمانهم من الهداية..

من أجل ذلك نرجح: أن يكون الكتاب الذي ذكرناه أولاً هو الذي أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» أولاً، ثم أرسل رسائل أخرى ذكر فيها الجزية، وغير ذلك.

كما أننا لا نستبعد: أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد ذكر في كتابه لكسرى الآية المباركة: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ..﴾** لأن للمجوس أحكام أهل الكتاب،

وقد ورد: أنه قد كان لهم كتاب فضيعوه أو أحرقوه[1].

ولعل عدم نقلها في كتاب كسرى، من أجل أن المؤرخين أسقطوها اختصاراً أو سهواً، أو لم ينقلها لهم الناقلون؛ لأنهم اعتقدوا خطأً: أنها لا تحمل مضموناً خاصاً، يراد إبلاغه للمرسل إليهم، سوى دعوتهم إلى توحيد الله، الذي ذكر في الرسالة نفسها أولاً..

---

(١) راجع: فقه القرآن ج١ ص٣٤٢ و ٣٤٤ وعن فتح الباري ج٩ ص٣٤٣ والكافي ج٣ ص٥٦٨ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٥٤ وتهذيب الأحكام ج٤ ص١١٣ وج٦ ص١٥٩ والوسائل ج١١ ص٩٦ و ٩٧ والفصول المهمة ج٢ ص٢١٢ والبحار ج١٤ ص٤٦٣ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤١٣ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣٤ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٠٢ وقصص الأنبياء للجزائري ص٥١٤.

بسم الله الرحمن الرحيم:

١ ـ إن أول ما يواجهنا في ذلك الكتاب هو أنه «صلى الله عليه وآله» قد بدأه باسم الله، ولم يبدأه باسمه «صلى الله عليه وآله» هو؛ مما يعني: أنه يريد أن يفهم كسرى: أن هذا النبي خاضع لله، الذي لا يجد أحد حرجاً في الخضوع له. ولا تعتبر الدعوة للاعتراف به والخضوع له، والرجوع إليه تعالى إذلالاً لأحد بقدر ما هي شرف، وعزة، وسؤدد وكرامة للبشر جميعاً..

٢ ـ يضاف إلى ذلك: أن هذا الاعتراف يمثل تحديد مرجعية لا غضاضة على البشر جميعاً بالرجوع إليها، والخضوع والالتزام بأوامرها ونواهيها، والسعي لنيل رضاها، وهي مرجعية ليست للبشر، بل هي لله الغني بذاته، الذي ليس له مصلحة مع أحد، بل البشر كلهم بالنسبة إليه بمنزلة واحدة، يعاملهم بالعدل، ويجري عليهم أحكامه.

فالدعوة التي يعرضها على هذا الملك ليست دعوة لشخص، يريد أن يستأثر لنفسه بشيء، من حطام الدنيا، بل هي دعوة لله سبحانه..

٣ ـ ثم إنه هو الله الرحيم بعباده، والقريب إليهم، وليست هذه الرحمة أمراً عارضاً له. بل هي من تجليات ذاته، وباهر صفاته..

٤ ـ والله تعالى هو المالك لكل شيء، والغني عن العباد، فهو إذن لا يحتاج إلى ملك كسرى، ولا إلى ملك سواه، ولذلك لم يطلب منه التخلي عنه، بل طلب منه فقط: أن يخضع لأوامره ونواهيه، وأن يكون في موضع رضاه، لا رضا أحد من بني البشر، وخضوعه لأوامر الله تعالى لا يزيد في ملكه، ولا يضيف إليه شيئاً من العظمة، أو القوة والمجد، وإنما هو أمر يعود نفعه عليه، وهو كرامة وشرف له..

فلا ينبغي إذن أن يخشى على ملكه، ولا أن يستكبر على ربه..

عظيم فارس:

إنه «صلى الله عليه وآله» قد صدَّر كتبه إلى ملك الفرس، والروم، والحبشة، ومصر، والبحرين بكلمة عظيم فارس، وعظيم البحرين، وبكلمة صاحب كذا ـ كما في بعض النصوص..

وبذلك يكون:

أولاً: قد خاطبه بما يرضيه من أوصاف ولكنها واقعية، فليس له أن يجد في نفسه أية غضاضة، كما أنه ليس لديه ما يتذرع به لإظهار التغيظ، بحجة أنه قد أهانه أو غمطه حقه، حيث لم يكن الخطاب لائقاً، ولا مناسباً لمقامه، فيزيِّن لنفسه الخلاف، ويجد من يعذره أو يتعاطف معه في أي موقف سلبي يتخذه تجاه من يدعوه، وما يدعوه إليه..

ثانياً: إنه بذلك يكون قد تحاشى الإقرار بالملكية لهؤلاء، خصوصاً بملاحظة كونه رسول الله، وخاتم النبيين، ولا يريد أن يسجل أمراً قد يتعلق به طلاب اللبانات، ويتخذونه ذريعة لادعاءات الأحقية بالاستناد إلى الاعتراف لهم بالسلطة والحاكمية في مجالات بعينها، ثم تتعقد الأمور ولا يجد الناس العاديون القدرة على المناقشة في هذا الأمر، وبذلك يتمكن «صلى الله عليه وآله» من إخضاع أولئك المدَّعين لمقتضيات أحكام الدين وشرائعه القاضية: بأنه لا ملك ولا سلطة للكافر، بل ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولمن ولَّاه، وأقر له به، وفقاً لقوله تعالى: ﴿..إِنَّ

الأَرْضَ لله يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١].

وبذلك يتم تحصين الناس من سيئاتهم، وسوف لا يصغي الكثيرون منهم بعد هذه المزاعم أولئك الطامعين، وسيفتح أمامهم المجال الواسع للنقاش القوي في دلالة كلمة «**ملك فارس**» أو نحوها على الاعتراف له بالملك، وسيقولون لهم: إنها لمجرد الإشارة لموقعه الفعلي الذي هو فيه، حتى لو كان قد حصل عليه بالبغي، والظلم، والابتزاز، وليس فيها دلالة على الرضا ببقائه في هذا الموقع أو عدمه.

وهذا نظير ما كتبه الإمام الحسن «عليه السلام» في وثيقة الهدنة مع معاوية من أنه سلمه «**الأمر**» حيث لم يقل: «**سلمه الخلافة**»، أو الإمامة، أو الملك، أو ما إلى ذلك..

سلام على من اتبع الهدى:

وها هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» يبلِّغه عن الله تعالى: أن دعوته تقوم على السلام، لا على الحرب، وتسير وتستمر بالرضا دون السخط، وبالرأفة، لا بالجبروت، وكان «صلى الله عليه وآله» يكتب لغير المسلم «سلام على من اتبع الهدى» ويكتب للمسلم «سلام عليك» أو «سلم أنت».

وكلمة «سلام على من اتبع الهدى» إنشاء للالتزام بسلام مشروط باختيار طريق الهدى، ويتضمن تلويحاً بالحث والإغراء باختيار هذا الطريق واتِّباعه.

---

(١) الآية ١٢٨ من سورة الأعراف.

كما أنه يشير إلى: أن ما يطلبه منه هو ـ فقط ـ اتباع الهدى، وما أرضاها من دعوة، وما أيسره من طلب، إذ إن أحداً لا يستطيع أن يتنكر للهدى، ولا أن يعادي دعاته.

ثم هو «صلى الله عليه وآله» لا يتهم كسرى بالضلال، بل هو يدعوه لاتباع الهدى، فإن الاتهام بالضلال مما يرفضه الناس عادة، ولكنهم لا يرفضون أن ينسب إليهم التقصير في اتباع الهدى.

فما أجمل السلام، وما أحب الهدى.. وما أروع الحياة في ظل ذاك، وفي حظ هذا.. ولأجل ذلك كانت أول كلمة يكتبها النبي «صلى الله عليه وآله» إلى كسرى هي: «سلام على من اتبع الهدى».

وهو سلام يغري بالرد عليه بمثله، ويفسح المجال لإظهار الرغبة في معرفة هذا الهدى، وفي اتباعه بعد التحقق منه.

وآمن بالله ورسوله:

ثم تأتي الكلمات التالية في الكتاب لتشير إلى: أن اتباع الهدى إنما هو من خلال الإيمان بالله عز وجل، ورسوله «صلى الله عليه وآله»، والشهادة لله بالوحدانية..

وهذا الإيمان بالله، والاعتراف به هو الأساس، وهو المطلوب لرسوله «صلى الله عليه وآله»، وليس المطلوب له أي شيء آخر مما يطلبه ملوك الدنيا عادة من بعضهم البعض.

وأول درجات الإيمان هو الاعتراف بوجود الله سبحانه، ثم الإيمان، بمعنى: أن يلزم نفسه، باحتضانه في داخل كيانه، وفي عمق وجدانه، ليعيش

الإحساس بالأمن والسكينة معه..

ثم أن يقر: بأن لله رسلاً يربطون المخلوق بخالقه، ويبلغون الناس عنه، ويرشدونهم إليه، ويعرِّفونهم على ما يرضيه، وما يسخطه ليختاروا هم أنفسهم أن يكونوا في مواقع رضاه سبحانه، ويختاروا اجتناب مواقع سخطه.

الشهادة لله بالوحدانية:

ويأتي بعد ذلك: الطلب إليه أن يشهد لله تعالى بالوحدانية، ونفي الشركاء له، فلا إله إلا الله، وحده لا شريك له. وشهادته بذلك تعني: الاعتراف بهذه الحقيقة، وتأكيدها من موقع المعرفة الفطرية، والوجدانية، والعقلية، التي تصل إلى حد الرؤية والمشاهدة الحقيقة لفاقديَّة، ولعجز، وضعف، ونقص كل ما عدا الله سبحانه، وأن كل واجدية وكمال، وقوة، فإنما هو بالله تعالى ومنه.

وهذا معناه: أنه لا إله إلا الله وحده.

وأنه لا شريك له، يعينه، ويضاعف قوته، ويجبر ضعفه.

وأن محمداً عبده ورسوله:

ثم هو يطلب منه، ومن الناس جميعاً: أن يشهدوا أن رسل الله تعالى باقون في موقع العبودية له، ولا تكسبهم رسوليتهم أي عنصر إلهي، ولا ترتفع بهم إلى درجة أن يكون لهم استقلال حقيقي عنه سبحانه في جميع تصرفاتهم..

فدرجات فضلهم، وما ينالونه من مقامات وكرامات عنده، إنما هي بتدرُّجهم في مقامات العبودية له، والمعرفة به، والطاعة والخضوع لديه..

وباب العبودية هذا مفتوح أمام جميع المخلوقات، فمن دخله كان آمناً ونال من البركات والفيوضات، والكرامات والمقامات بمقدار إيغاله فيه، وتحققه به..

ولابد أن يعرف البشر جميعاً هذا الأمر، معرفة حقيقية تخولهم إقامة الشهادة به.. ولا يكفي مجرد إخبارهم به في آية قرآنية، أو في خبر نبوي..

وهذا ما يفسر لنا: إدراج هذا الأمر في سياق الشهادة التي طلبها «صلى الله عليه وآله» من كسرى حيث قال: «وأن محمداً عبده ورسوله..»

أدعوك بدعاية الله:

وحين أراد «صلى الله عليه وآله» الشروع في إبلاغ دعوته لكسرى، قال له: «أدعوك بدعاية الله».

فكسرى إذن، لا يواجه تحدياً من إنسان مثله، قد تأخذه العزة في مواجهته، أو يأنف من التواضع له، بل هو يواجه طلباً من إله الوجود كله، وهو قوة لابد أن يعترف لها بالقدرة والإحاطة والمالكية والهيمنة.

ولابد من الاستجابة لهذا الطلب؛ لأن الاستجابة له لا تضر بمصالحه، ولا تنقص من هيبته، ولا تحد من نفوذه، ولا تختزل من ثرواته، ولا تقتطع شيئاً من ملكه، بل هي تزيده شوكة وعزة، ونفوذاً، وسعة في الرزق، وما إلى ذلك..

إنها دعوة الله له للنجاح والفلاح، والسداد والرشاد، والاستقامة على جادة الهدى الإلهي، وليست دعوة للذل والعبودية للأشخاص، وإنما ليكون عبداً لله وحده..

فإني أنا رسول الله:

ويلاحظ هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أضاف كلمة «أنا» في قوله: «فإني أنا رسول الله..» وقد كان يمكن الاستغناء عنها بأن يقول: «فإني رسول الله..».

فلعل السبب في إضافتها: أنه يريد أن يذكِّرهم: بأنه هو النبي الموعود والمنتظر والمعلوم لديهم، من خلال بشارات الرسالات السماوية كلها بظهوره.

فهو بهذا التذكير لم يعد بحاجة إلى إقناع الناس بضرورة إرسال رسول، أو قد أصبحت إمكانية إرسال رسل، وبعث أنبياء أمراً مفروغاً عنه، إلى حد أصبح توقع إرسالهم، وبعثتهم أمراً قائماً، ومحسوماً، وتنحصر مهمة الإقناع بتحديد شخص المرسل، بأن هذا الشخص هو الذي بعثه الله تعالى، وهو النبي الموعود فعلاً..

إلى الناس كافة:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» بيَّن له أنه ليس مبعوثاً للعرب وحدهم، ولا لأي أمة أخرى بعينها دون ما عداها، كما كان الحال بالنسبة لموسى وعيسى «عليهما السلام»، وسواهما ممن بعثهم الله لخصوص بني إسرائيل، بل هو مبعوث للناس جميعاً، كما قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾**[1]. وقال: **﴿نَذِيراً لِّلْبَشَرِ﴾**[2].

---

(١) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ٣٦ من سورة المدثر.

وقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً..﴾[1].

لأنذر من كان حياً:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» يخبر من يكتب إليه: أنه لا يطلب منه شيئاً لنفسه، وإنما هو مجرد نذير له، يريد بإنذاره هذا: أن يحفظ له عزته وكرامته، وأن يجنبه مزالق الخطر، وأن يؤمِّن له السعادة والسكينة، والأمن من كل ما يحذره، ويخافه، مما هو غائب عنه، وهي غيبة تظهر عجزه وفشله، والله هو الذي يحميه، ويحفظه منه، ويحصيه له، ويدفعه عنه، من موقع الهيمنة والقدرة، والعزة..

وقد أعلمه أيضاً: أن هذا الإنذار الهادف إلى حفظ حياة الكرامة والسعادة للمنذَرِين لا يختص بفرد دون فرد، ولا بفريق دون فريق، بل هو شامل للناس جميعاً، ويهدف إلى تكوين مجتمع بشري يعيش معنى السعادة، بعمق، ويشعر بالأمن بجميع فئاته، وشرائحه، أفراداً وجماعات..

وذلك انطلاقاً من حقيقة: أن البشر كلهم يحتاجون إلى الأمن، وإلى السلام والسلامة، ويستوي في ذلك العربي والأعجمي، والأبيض والأسود والملك، وحفار القبور.

ويحق القول على الكافرين:

وعلى هذا الأساس، فإنه إذا اختار أحد طريق الجحود، ولم يستجب لنداء الله سبحانه، فإنه تعالى هو الذي يجري عليه سننه، ويتولى عقوبته، وتكون خصومته معه تبارك وتعالى، لا مع غيره.. فإن كان لأحد من الناس

---

(١) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف.

موقف منه، فإنما هو الموقف الذي أراده الله تعالى منهم.

وفي التعبير بكلمة: «يحق القول» إشارة إلى حتمية حلول العقوبة بالكافر، من حيث إنها قرار إلهي، والقرار الإلهي نافذ لا محالة..

أسلم تسلم:

ويأتي قوله «صلى الله عليه وآله»: «أسلم تسلم» بمثابة نتيجة طبيعية لكل تلك المقدمات التي قررت: أن المقصود هو: حفظ الإنسان كله.

أو فقل: حفظ كل من كان حياً، من المهالك والرزايا، والمصائب والبلايا، وأن الذي يختار طريق الكفر، فلا نجاة ولا سلامة له إلا باتباع الهدى، والإسلام والاستسلام لله سبحانه وتعالى، وامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه..

فليست هذه الكلمة تهديداً لكسرى بالحرب، ولا هي إكراه له على الإسلام، حتى إذا خالف كانت عقوبته السيف..

ومما يشير إلى ذلك أيضاً قوله:

فإن أبيت فعليك إثم المجوس:

حيث دلت هذه الكلمة: على أن الكلام إنما هو عن السلامة في الآخرة، والنجاة من مهالكها، إذ لو كان قوله: «أسلم تسلم» تهديداً لكسرى بالقتل، لو لم يسلم، فالمناسب هو أن يقول له: فإن أبيت، فالسيف بيننا وبينك..

ولكنه لم يقل ذلك، بل أثبت عليه إثم الإنسان الذي يضل، ويتسبب بالضلال لغيره أيضاً، وهذا الإثم إنما تظهر آثاره في الآخرة فقط، أما عقوبة الدنيا، فهي حتى لو كانت هي القتل، فإنها تبقى أقل من الجريمة التي

ارتكبت، غير أن هذه العقوبة لا تعيد الناس إلى الهدى، ولا تدفع مفسدة إضلالهم، خصوصاً إذا كان هذا الإضلال سينال أمة عظيمة كتلك التي يحكمها كسرى..

ولا تزر وازرة وزر أخرى:

ومن جهة ثانية نقول:

صحيح أن الإيمان والكفر يقعان تحت اختيار الإنسان، وصحيح أنه: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ..﴾ وأنه: ﴿لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

ولكن من الصحيح أيضاً: أن هناك من يسهم في إضلال الناس، وفي تعمية الأمور عليهم، ويعمل على إيقاعهم في الشكوك والشبهات، أو هو على الأقل يسد منافذ الهداية، ويحرمهم من فرص التعرف على الحق، ومن الوصول إليه.. وهذا من أعظم الآثام، ومن موجبات عقوبة الإله الملك العلام بلا ريب..

فإذا كان كسرى أو قيصر قد أوجب حجب نور الهداية عن المجوس، أو عن الأكّارين، أو عن الأريسيِّين، واستضعفهم، ومنعهم من السعي للوصول إليه، والحصول عليه، أو منع الناس المخلصين من إيصال الحق إليهم، ومن إثارة دفائن عقولهم، بالبراهين الساطعة، والأدلة القاطعة، فإنه سيكون هو المتحمل لإثم ما هم فيه من كفر وضلال، وفساد وانحلال. وقد قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ..﴾[1].

---

(١) الآية ١٣ من سورة العنكبوت.

وقال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ..﴾[1].

إثم المجوس أو إثم الأكارين:

وقد ورد في بعض نصوص الكتاب: بدل قوله: «فعليك إثم المجوس» قوله: «فعليك إثم الأكَّارين»[2] أو نحو ذلك.

وفي نقل ابن خلدون: «فإن أبيت فإثم الأريسيِّين عليك»[3]. وهي

---

(١) الآية ٢٥ من سورة النحل.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٢٤١ وراجع: البحار ج٢٠ ص٣٨٨ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٢٥ وشرح مسلم ج١٢ ص١٠٩ وعن فتح الباري ج١ ص٣٦ وعن المعجم الكبير ج٨ ص١٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٩٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٩٨ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٤٥.

(٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٩٣ وج٢٣ ص٤٢٤ و ٤٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٥٣ والبحار ج٢٠ ص٣٨٧ و ٣٩٥ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٢٥ و ٣٩٠ وميزان الحكمة ج٤ ص٣٢١٣ ومسند أحمد ج١ ص٢٦٣ وعن صحيح البخاري ج٣ ص٢٣٤ وج٤ ص٤ وج٥ ص١٦٩ وصحيح مسلم ج٥ ص١٦٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٧٨ وشرح مسلم ج١٢ ص١٠٧ و ١٠٩ وعن فتح الباري (المقدمة) ص٧٦ وعن ج٣ ص١٢١ وج٨ ص١٦٦ و ١٦٧ والديباج على مسلم ج٤ ص٣٨٠ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٤٦ والأدب المفرد ص٢٣٧ والآحاد والمثاني ج١ ص٣٦٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٣١١ ومسند =

الكلمة التي وردت في رسالته «صلى الله عليه وآله» لقيصر..

والأكَّارون هم الزراع، وهم أسرع انقياداً إلى ملوكهم من غيرهم، لأن الغالب عليهم الجهل والتقليد، كما أن الغالب على حكومتهم الظلم لهم(١). وشدة الوطأة عليهم.

وذكر العلامة الأحمدي «رحمه الله»: أن الأريس والإرسيس كجليس وسكيت: هو الأكّار، كما عن ابن الأعرابي.

= الشاميين ج٤ ص٢١٩ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٤٩٥ والأحاديث الطوال ص٦٣ وعن المعجم الكبير ج٨ ص١٦ و ١٨ و ٢٢ وكنز العمال ج٤ ص٣٨٤ والجامع لأحكام القرآن ج٤ ص١٠٦ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٣٧٩ والدر المنثور ج٢ ص٤٠ وفتح القدير ج١ ص٣٤٨ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٧٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٠٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٠١ والنهاية في غريب الحديث ج١ ص٤١.

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٢٥ والبحار ج٢٠ ص٣٨٢ و ٣٨٩ وج٢٢ ص٢٥٠ ومسند أحمد ج١ ص٢٤٣ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣٠٦ وتحفة الأحوذي ج٧ ص٤١٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٤٣٦ والأحاديث الطوال ص٦٠ وعن المعجم الكبير ج٢٠ ص٩ والطبقات الكبرى ج١ ص٢٥٩ وتاريخ خليفة بن خياط ص٤٧ و ٦٢ وتاريخ بغداد ج١ ص١٤٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٣٥٧ وعن الإصابة ج١ ص٤٦٣ وكتاب المحبر ص٧٧ وفتوح البلدان ج٢ ص٣٥٨ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٧٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٥٢ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٢٥ وعن عيون الأثر ج٢ ص٣٢١ و ٣٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٤٣ و ٥٠٨ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٥٦ وج١١ ص٣٣٨ و ٣٦١.

وعن أبي عبيد: أنهم الخدم والخول.

وقال الأزهري: وهي لغة شامية، وهم فلاحو السواد، الذين لا كتاب لهم.

وقيل: هم قوم من المجوس، لا يعبدون النار، ويزعمون أنهم على دين إبراهيم.

والمراد: أن عليه إثمهم، لأنهم بقوا على ضلالهم بسببه.

وسيأتي كلام آخر عن المراد من الأريسيِّين في كتابه «صلى الله عليه وآله» إلى قيصر ملك الروم، إن شاء الله تعالى.

من هو حامل الرسالة؟!

وقد ذكروا: أن حامل الكتاب إلى كسرى هو عبد الله بن حذافة السهمي[1].

وقيل: هو خنيس بن حذافة[2].

---

(١) راجع: كنز العمال ج١٠ ص٤١٨ وعمدة القاري ج١٨ ص٥٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٩ (وط دار إحياء التراث) ص٣٠٦ عن ابن جرير والكامل ج٢ ص٢١٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٨ ونصب الراية ج٦ ص٥٦٢ ومسند أحمد ج١ ص٢٤٣ والطبقات الكبرى ج٤ ص١٨٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٣٤٩ وتهذيب الكمال ج١ ص١٩٧ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٠٨ وسبل الهد والرشاد ج١١ ص٣٦٢ والروض الأنف ج٣ ص٦٨ والتنبيه والإشراف ص٢٢٥ وعن فتح الباري ج٨ ص٩٦.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٨٣ وعن فتح الباري ج٨ ص٩٦ عن ابن شبة، والآحاد والمثاني ج١ ص٤٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٧٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٣٤.

وقيل: شجاع بن وهب[1].

وقيل: عمر بن الخطاب[2].

وهذا القول الأخير بعيد جداً عن الصواب، إذ لو صح أن عمر كان هو الرسول إلى كسرى، لرأيت الكتب مملوءة بالتفاصيل وبالدقائق، واللطائف، ولربما تجد فيها من البطولات، والعجائب، والمعجزات والغرائب ما يملأ عشرات الصفحات، ولألفيت ذلك حديث المجالس والندوات، في الغدوات والعشيات!!

ولكن الله سلَّم!!

حديث تسليم الكتاب:

وقد ذكروا: أن كسرى أذن لحامل الكتاب بالدخول عليه، فلما دخل: أمر بقبض الكتاب منه، فقال: لا. حتى أدفعه إليك كما أمرني رسول الله «صلى الله عليه وآله». فدنا منه، وسلمه الكتاب.

فدعا كسرى من يقرؤه فلما قرأ: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، غضب كسرى حيث بدأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنفسه، وصاح، وأخذ الكتاب، فمزقه قبل أن يعلم ما فيه، وقال: يكتب إليَّ بهذا وهو عبدي؟!

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٨٣ ودلائل النبوة ج٤ ص٣٨٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٠٧.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٨٣ وعن فتح الباري ج٨ ص٩٦ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٢٧ والبداية والنهاية ج٧ ص١٧٥.

وأمر بإخراج حامل الكتاب، فأخرج. فقعد على راحلته وسار..

فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه، بعث في طلب حامل الكتاب، فطلب، فلم يوجد.

ووصل إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وأخبره بما جرى، فقال «صلى الله عليه وآله»: مزق كسرى ملكه.

وقيل: دعا عليهم أن يمزقوا كل ممزق، وقال: اللهم مزق ملكه[1].

وفي نص آخر: أنه دعا بالجلمين (أي المقراض) فقطعه، ثم دعا بالنار فأحرقه، ثم ندم وقال: لابد أن أهدي له هدية.

قال: فكلمه عبد الله بن حذافة كلاماً شديداً[2].

ولا ينافي ذلك ما قاله اليعقوبي، من أن كسرى كتب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً جعله بين سرقتي حرير، وجعل فيهما مسكاً.. فلما دفعه الرسول إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فتحه، فأخذ قبضة من المسك فشمه، وناوله أصحابه.

وقال: لا حاجة لنا في هذا الحرير، وليس من لباسنا، وقال:

لتدخلن أمري، أو لآتينك بنفسي، ومن معي، وأمر الله أسرع من ذلك. فأما كتابك فأنا أعلم به منك، فيه كذا وكذا.

ولم يفتحه، ولم يقرأه، ورجع الرسول إلى كسرى، وأخبره الخبر[3].

---

(١) راجع المصادر المتقدمة.

(٢) تاريخ بغداد ج١ ص١٣٢ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٢٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٧٧ وراجع: مسند أحمد ج١ ص٩٦ و ١٤٥ والطبقات الكبرى ج١ ص٣٨٩ والبحار ج٢٠ ص٣٨٩ (هامش) وتاريخ بغداد ج١ =

وإنما قلنا: إن هذا لا ينافي ذاك؛ لأن من الجائز: أن كسرى قد مزق الكتاب أولاً، ثم عاد فتدارك الأمر بإرسال الهدية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ثانياً.. ولكنه شفعها بالتهديد والوعيد.

وربما أرسل إليه مع تلك الهدية تراباً أيضاً.

فقد قال ابن شهرآشوب: إن كسرى مزق الكتاب، وبعث إليه بتراب، فقال «صلى الله عليه وآله»: مزق الله ملكه كما مزق كتابي. أما إنكم ستمزقون ملكه. وبعث إليَّ بتراب: أما إنكم ستملكون أرضه.

فكان كما قال[1].

عدوانية كسرى تجاه رسول الله ﷺ:

ويؤيد ما قلناه آنفاً أيضاً: ما يذكرونه من: أن كسرى كتب إلى (باذان) عامله باليمن: أن يسير إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ويستتيبه، فإن تاب، وإلا فليبعث إليه برأسه.

وفي نص آخر: أمره أن يبعث إلى الحجاز رجلين ليأتيانه برسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فأرسل (باذان) قهرمانه ورجلاً آخر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكتاب كسرى، وكتب إليه يأمره بالمسير معهما إلى كسرى.

فدخلا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بزي الفرس، وقد حلقا

= ص١٣٢ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٢٨.

(١) المناقب ج١ ص٥٥ وفي (ط أخرى) ص٧٠ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٢٩ والبحار ج٢٠ ص٣٨١ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٦٢.

لحاهما، وأعفيا شواربهما. فكره النظر إليهما، وقال: ويلكما من أمركما بهذا؟

قالا: أمر ربنا (يعنيان كسرى).

فقال «صلى الله عليه وآله»: لكن أمر ربي بإعفاء لحيتي، وقص شاربي، فأبلغاه بما جاءا به، فأجلهما إلى الغد.

وأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخبر من السماء، بأن الله قد سلط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا، لكذا وكذا، في ليلة كذا.

فلما أتاه الرسولان قال لهما: إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا، من شهر كذا وكذا، بعدما مضى من الليل سبع ساعات، سلط عليه شيرويه فقتله[1].

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» تركهم خمس عشرة ليلة لا يكلمهم ولا ينظر إليهم إلا إعراضاً.. ثم أمرهم أن يقولوا لباذان: إن ديني وسلطاني سيبلغ إلى منتهى الخف والحافر وقال: قولا له: إنك إن أسلمت

---

(١) وهي ليلة الثلاثاء، لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع.

راجع: الطبقات الكبرى ج١ ق٢ ص١٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٩٧ وعمدة القاري ج٢ ص٢٨ وج١٨ ص٥٨ وعن فتح الباري ج٨ ص٩٦ والبحار ج٢٠ ص٢٩١ و ٣٧٧ و ٣٩٠ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص٢٩٥ والإصابة ج١ ص٦٣٢ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٢٣٠ عنهم، والخرايج والجرايح ج١ ص٦٤ ودرر الأخبار ص١٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٣٥٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٠٩.

أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك»[1].

فخرج الرسولان، وقدما على باذان، وأخبراه بما جرى، فقال: والله، ما هذا كلام ملك، وإني لأراه نبياً، ولننظرن..

إلى أن قال: فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه، يخبره بقتل كسرى، ويقول له: «وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب إليك فيه، فلا تزعجه، حتى يأتيك أمري فيه»[2].

فأسلم باذان، وأسلم من معه باليمن من أبناء فارس، وبعث إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بإسلامه، وإسلامهم[3].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٢٣٠ و ٢٣١ عن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٠ وعن السيرة النبوية لدحلان، وعن السيرة الحلبية، وعن الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٠٤ وعن دلائل النبوة لأبي نعيم ص٢٩٥ والبحار ج٢٠ ص٣٩١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥١٠.

(٢) أرجع العلامة الأحمدي في مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٣١ إلى: السيرة الحلبية، والسيرة النبوية لدحلان والبداية والنهاية ج٤ ص٣٠٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٩٧ والبحار ج٢٠ ص٣٩١ ورسالات نبوية والإصابة ج١ ص١٦٩ و ١٧٠ في ترجمة بابويه وتأريخ الخميس ج٢ ص٣٧ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص٢٩٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥١٠.

(٣) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٣١ عن المصادر التالية: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٧ وما بعدها والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٦٥ وسيرة ابن هشام ج١ ص٤٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٨ و ج٦ ص٣٠٦ والكامل =

قريش في مهب الريح:

وحين سمعت قريش بما كان من كسرى، وبإرساله إلى باذان بأوامره فيما يتعلق بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فرحوا واستبشروا، وقالوا: قد نصب له كسرى ملك الملوك. كفيتم الرجل.

ولكنهم حين سمعوا برجوع الرسولين، وقتل كسرى، وإسلام باذان، ومن معه من أبناء فارس باليمن، صار رجاؤهم خيبة، وسرورهم هماً وغماً[1].

باذان ملك اليمن:

فلما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» إسلام باذان، ومن معه بعث إليه بنيابة اليمن كلها، وخاطبه في رسالته بملك اليمن، فراجع [2].

= ج٢ ص٢١٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٦٥٤ وعمدة القاري ج٢ ص٢٨ وج١٨ ص٥٨ وج٢٥ ص٢٠ وفتح الباري ج٨ ص٩٦ وحياة الصحابة ج١ ص١١٥ ـ ١١٧ ومجمع الزوائد ج٨ ص٢٨٨ والطبقات ج١ ق٢ ص١٦ وابن أبي شيبة ج٤ ص٣٣٧ و ٣٣٨ ورسالات نبوية ص٩٤ والمعرفة والتاريخ ج٣ ص٢٦٢ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج٧ ص٣٥٥ و ٣٥٦ والإصابة ج١ ص١٦٩ وراجع ص١٧٠ في ترجمة بابويه وفي ترجمة باذان أيضاً والبحار ج٢٠ ص٣٨٠ و ٣٨٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٣٨٧ وتأريخ الخميس ج٢ ص٣٤ و ٣٥ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص٢٩٢ ـ ٢٩٥ والمنتظم ج٣ ص ٢٨٣.

(١) راجع المصادر المتقدمة.

(٢) مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص١٧٨ و ١٦٠ عن تاريخ بيهق لابن فندق ص١٤١ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٣٣ والبداية والنهاية ج٦ ص٣٣٨.

ولم يعزله عنها حتى مات، أو قتله الأسود العنسي.

ففرق رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولايات اليمن بعد موت باذان على ما يقرب من عشرة رجال هم: شهر بن باذان، وعامر بن شهر الهمداني، وأبو موسى الأشعري، وخالد بن سعيد، ويعلى بن أمية، وعمرو بن حزم، وزياد بن لبيد، والطاهر بن أبي هالة، وعكاشة بن ثور المهاجر، أو عبد الله[1].

باذان وعقله:

وقد ظهر من كل ذلك الذي ذكرناه: أن باذان كان رجلاً حكيماً عاقلاً، ومنصفاً، وأنه لم يتخذ موقفه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بدافع الهوى والعصبية، أو الغرور والعنجهية الطاغية، أو من خلال حسابات مصلحية، ومطامع دنيوية، بل كان الرجل المتأني، الذي لا يستكبر عن قبول

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٣٣ عن المصادر التالية: البداية والنهاية ج٦ ص٣٠٧ والبحار ج٢١ ص٤٠٧ وتاريخ ابن خلدون ج٢ ص٥٩ والتراتيب الإدارية ج١ ص٢٤١ والإصابة ج١ ص١٧٠ و ٧٥٩ وج٢ ص٢٢٢ في ترجمة طاهر بن أبي هالة والطبري ج٢ ص٦٥٥ و ٦٥٦ وج٣ ص١٥٨ و ٢٢٧ ـ ٢٢٩ والكامل ج٢ ص٢١٤ و ٣٠٤ و ٣٣٦ وعمدة القاري ج٢ ص٢٩ وج١٨ ص٥٨ وج ٢٥ ص٢٠ والوثائق ص١٧٨ وحياة الصحابة ج١ ص١١٤ والبحار ج٢١ ص٤٠٧ والطبقات ج١ ق٢ ص١٦ ورسالات نبوية ص٩٤ و ٩٥ والمعرفة والتأريخ ج٣ ص٢٦٢ ـ ٢٦٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٣٥ ـ ٣٧ وأسد الغابة ج١ ص١٦٣.

الحق، حين ظهور دلائله.

كفاية باذان:

كما أن تولية النبي «صلى الله عليه وآله» له على اليمن كلها ما دام حياً، يدل على ثقته «صلى الله عليه وآله» بكفايته وبتدبيره، حتى لقد احتاج «صلى الله عليه وآله» إلى حوالي عشرة رجال ليقوموا مقامه بعد وفاته أو استشهاده على يد الأسود العنسي.

فرحم الله باذان، وهنيئاً له ثقة رسول الله «صلى الله عليه وآله» به، وأناله في الآخرة شفاعته إنه ولي قدير.

باذان لم يسلم طمعاً:

ولا ينبغي أن يفهم من طريقة تعامل النبي «صلى الله عليه وآله» مع باذان: أنه «صلى الله عليه وآله»، قد أعطاه رشوة على إسلامه، وذلك لأن باذان قد أسلم استناداً إلى ظهور معجزة وكرامة الرسول «صلى الله عليه وآله»؛ لاقتناعة بصدق رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما يقول، حيث ظهر له صحة ما أخبر به من قتل كسرى على يدي ابنه، وذلك قبل حدوث هذا القتل، بالإضافة إلى شواهد ودلائل أخرى وجدها في رسائله، وفي ما يدعو إليه، وفي سلوكه مع المبعوثين الذين أرسلهم إليه، وربما من أمور أخرى عرفها عنه أيضاً..

ويدل على أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخبره بالقتل قبل وقوعه: رسالته له التي يقول فيها: «إن الله وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا، فانتظر ذلك».

وقد يقال: إن هذا ينافي ما تقدم، من قوله «صلى الله عليه وآله» لرسل باذان، وهم عنده في المدينة: «إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا، من شهر كذا وكذا، بعدما مضى من الليل سبع ساعات، سلط عليه شيرويه فقتله».

وأن ذلك قد حصل ليلة الثلاثاء لعشر مضين من شهر جمادى الأولى سنة سبع.

ويمكن أن يجاب: بأن رسالته لباذان صريحة في: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخبرهم: بأن ذلك سوف يحصل لكسرى. وأن الذي يتولى ذلك منه هو ابنه.. فهي أولى بالاعتبار؛ لأن شاهد صدقها هو: إسلام باذان، استناداً إلى ظهور صدق ما أخبره به فيها.

فلعل في الكلمات المنقولة عنه «صلى الله عليه وآله» مع رسولي باذان، بعض التصرف الذي أوجب خللاً فيها..

أو يقال: لعله أرسل الرسالة إلى باذان قبل عودة رسوليه إليه، وقبل أن يخبرهما بالأمر.

بل قد يحاول البعض أن يقول: إن التعبير بصيغة الماضي في قوله: «قتل ربكما» وقوله: «سلط عليه شيرويه» ما هو إلا إخبار عن المستقبل بصيغة الماضي، للدلالة على أن هذا الأمر المستقبلي قد قضي وحتم حتى ليصح الإخبار عن حصوله فعلاً، فهو نظير، قول الواهب: أعطيتك ألف درهم، في إشارة منه إلى أن ذلك حتمي إلى حد يمكن أن يقال عنه: إنه قد حصل ومضى وانتهى..

تفاؤل رسول الله ﷺ:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تكلم بما يفيد: أنه تفاءل بتمزيق ملك كسرى؛ لأن كسرى مزق كتابه، وبأنه يملك بلاده؛ لأن كسرى أرسل إليه من ترابها.

ونحن وإن كنا قد قدمنا في جزء سابق بعض الحديث عن موضوع التفاؤل، الأمر الذي أغنانا عن إعادة ذلك هنا.

غير أننا نشير: إلى أنه لا دليل على أن قوله «صلى الله عليه وآله» هذا قد جاء على سبيل التفاؤل، بل هو إخبار غيبي لابد أن يعتبر من أعلام النبوة، ومن دلائلها، التي تشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» قد تلقى ذلك عن الله تعالى، وهذا هو جزاء كسرى على جرأته على الله ورسوله، وهو العقوبة العادلة له على بغيه، وإجرامه في حق الدين والإنسانية، حيث بادر إلى تمزيق كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» من دون أي مبرر لذلك سوى ما كان يضج في باطنه من خبث، وصلف، وما كان يعتلج في صدره من سوء سريرة، وسقوطه الشائن والمهين في حمأة الجهل، والبغي، والاستكبار، ومن يكون كذلك فإنه يستحق هذه العقوبة الإلهية ولا يتوقع له سوى الخذلان والخزي والخسران الأكيد، والاندحار الذليل أمام دعوة الحق والصدق، والعدل، والهدى.

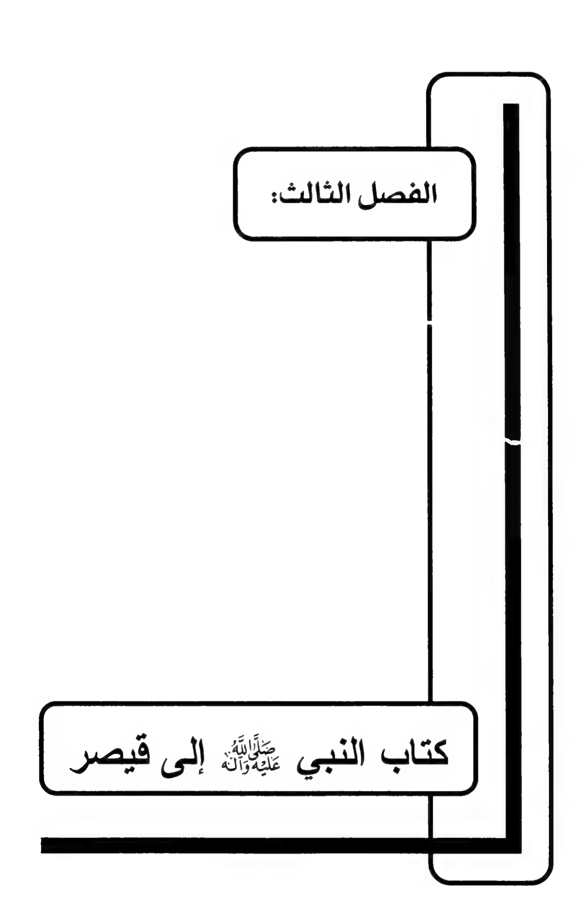
كما أن إعلان النبي «صلى الله عليه وآله» للناس بهذا الأمر، من شأنه أن يربط على قلوب المؤمنين منهم، وأن يكبت أعداءهم، ويكون ذلك للأجيال الآتية، الذين يشاهدون صدق هذا الخبر، سبيل هداية ونجاة..

حلقا لحاهما:

ومما يثير الانتباه أيضاً موقف النبي «صلى الله عليه وآله» من رسولي باذان، حين رآهما وقد حلقا لحاهما، وأعفيا شواربهما، حيث كره النظر إليهما، واعترض عليهما بشدة، وقال: ويلكما من أمركما بهذا؟!..

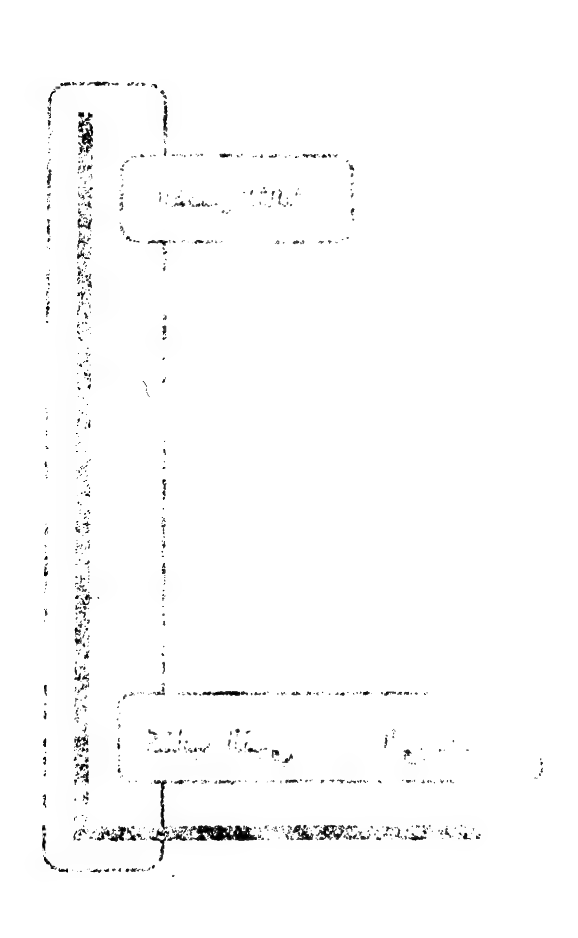
فإن هذه الشدة في الاعتراض تشير إلى أن ذلك كان بالغ القبح عنده، وأن قبحه هذا يدعوه إلى إظهار النفور من فاعله، حتى لو كان غير مسلم، أو من أهل بلد لم يدخل في طاعة أهل الإسلام.

والحديث حول حلق اللحية أو إعفائها جوازاً ومنعاً ليس محله هنا.



الفصل الثالث:

كتاب النبي صلى الله عليه وآله إلى قيصر



كتاب النبي ﷺ إلى قيصر:

هذا وقد كتب «صلى الله عليه وآله» أيضاً إلى قيصر كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، ونص الكتاب هو التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين و ﴿تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾»[1].

---

(١) لقد كفانا العلامة الأحمدي مؤونة تتبع مصادر هذا الكتاب، حيث أشار في كتابه القيم: مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٩١ و ٣٩٢ إلى المصادر التالية، وفقاً للطبعات المتوفرة لديه: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٥ وزيني دحلان ج٣ ص٦١ ورسالات نبوية ص٣١١ ومسند أحمد ج١ ص٢٦٣ وتهذيب تأريخ ابن عساكر ج١ ص١٤١ و ج٦ ص٣٩٢ و ٣٩٠ وج٥ ص٢٢ واليعقوبي ج٢ ص٦٧ وصبح الأعشى ج٦ ص٣٦٣ و ٣٦٤ والأموال لابن زنجويه ج١ ص١٢٠ وج٢ ص٥٨٤ و ٥٨٥ والمنتظم ج٣ ص٢٧٨ و ٢٧٩ وكنز العمال ج٢ ص٢٧٥ =

= وفي (ط أخرى) ج٤ ص٢٣٧ (١٩٤٢) (عن أحمد والبيهقي والنسائي) و ج١٠ ص٣٨٥ و ٤١٧ و ٤١٩ و ٤١١ والدر المنثور ج٢ ص ٤٠ (عن عبد الرزاق، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه) وج٤ ص٣٠ ومشكل الآثار للطحاوي ج٢ ص٣٩٧ و ٣٩٨ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص٢٩٠ والمعجم الكبير للطبراني ج٤ ص ٢٦٦ وج٨ ص ١٧ ـ ٢٧ بطرق متعددة وج٢٥ ص٢٣٦ وج١٢ ص٢٤٢ ونصب الراية للزيلعي ج٤ ص٤١٨ وسنن أبي داود ج٤ ص٣٣٥ والأموال لأبي عبيد ص٣٢ و ٣٦٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٤٤ وصحيح البخاري ج١ ص٧ و ٨٣ وج٤ ص٥٤ و ٥٥ و ٥٧ وج٦ ص٤٥ وج٩ ص١٩٣ وج٨ ص٧٢ وصحيح مسلم ج٣ ص١٣٩٦ والكامل لابن الأثير ج٢ ص٨١ وفي (ط أخرى) ص ٢١٢ والطبري ج٢ ص٢٩١ وفي (ط أخرى) ص٦٤٩ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٤ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٣٣ والأغاني ج٦ ص٩٣ والمواهب اللدنية للقسطلاني ج٣ ص٣٨٤ وإعلام السائلين ص١٠ ـ ١٩ وناسخ التواريخ في سيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ص ٢٧٤ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٤٢ وثقات ابن حبان ج٢ ص٥ وج١ ص١ ومآثر الإنافة ج٣ ص٢٤٧ وفقه السيرة ص٣٧١ والتأريخ لابن خلدون ج٢ ق٢ ص٣٦ وتأريخ الخميس ج٢ ص٣٣ والفائق للزمخشري ج١ ص ٣٦ و ١٤ وحياة الصحابة ج١ ص١١٠ وتفسير القرطبي ج٤ ص١٠٥ وتفسير المنار ج٣ ص٣٢٨ وزاد المعاد لابن القيم ج٣ ص٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨٤ وعبد الرزاق ج٥ ص٣٤٦ والوثائق ص١٠٧/ ٢٦ وقال: قابل مسند أحمد ج٣ ص١٣٣ وج٤ ص٧٤ و ٧٥ وأشار إلى المجلات العصرية المتعرضة للكتاب ونقله أيضاً عن جمع ممن تقدم (وعن تفسير النسائي ج٣ ص٤٤١ والمنتقى لأبي نعيم ورقة ١٣٢ وصبح الأعشى ج٦ ص٣٧٦ ومفيد العلوم ومبيد الهموم للقزويني ص١٧ ووسيلة =

مضامين الكتاب:

وبالمراجعة والمقارنة بين كتاب النبي «صلى الله عليه وآله» لكسرى، وكتابه لقيصر، يتضح مدى التوافق بين الكتابين، باستثناء اختلافات يسيرة فيما بينهما، سوف نحاول الإلماح إلى بعض ما تمس الحاجة إليه، فنقول:

= المتعبدين ص٨ مخطوطة بانكى پور في الهند ورقة ٢٧ والإمتاع للمقريزي (خطية كوپر لو) ص١٠١٢ والمبعث والمغازي للتيمي خطية ورقة ١٢ والوفاء لابن الجوزي ص٧٢٤) وراجع: مدينة البلاغة ج٢ ص٢٤٧ ومرقاة المصابيح ج٤ ص٢٢١ ومشكاة المصابيح بهامش المرقاة ص٢٢١ وحياة محمد لهيكل ص٣٥٢ والمصباح المضيء ج٢ ص٧٧ ونشأة الدولة الإسلامية ص ٢٩٩ و ٣٠٠.

وأشار إلى الكتاب: الترمذي ج٥ ص٦٨ والبحار ج٢١ ص٢٨٦ وج١٧ ص٢٠٧ وج١٥ ص٣٠ وج٤ ص١٠٠ وج٢٠ ص٣٨٦ والجامع للقيرواني ج١ ص٢٨٨ والطبقات الكبرى ج١ ق٢ ص١٦ وج٤ ق١ ص١٨ والتنبيه والإشراف ص٢٢٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٧٧ و ج١٠ ص١٣٠ و ١٣١ ومسند أحمد ج١ ص٢٦٢ وتفسير گازر ج٢ ص٦٥ وتفسير ابن كثير ج١ ص٣٧١ وتفسير الثعالبي ج١ ص٢٧٥ وابن هشام ج٤ ص٢٥٤ والنهاية لابن الأثير في «دعى» و «أرس» وكذا في لسان العرب. وراجع: فتح الباري ج١٣ ص٤٣٠ وج١ ص٣٥ وج٦ ص٧٩ و ج٨ ص١٦٥ والعمدة ج١ ص٧٩ وج ١٤ ص٢١٠ وج١٨ ص١٤٤ وعون المعبود ج٤ ص٤٩٨ و ٤٩٩ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣٠٦ والأم للشافعي ج٤ ص١٧١.

يؤتك الله أجرك مرتين:

ورد في الكتاب قوله «صلى الله عليه وآله»: «يؤتك الله أجرك مرتين» وهذا يتضمن إشارات لأمور عديدة، منها:

أولاً: لقد ذكر له «إيتاء الأجر» لا إعطاءه، والإيتاء يتضمن معنى الجزاء بل قد فسر به[1].

وهو **أيضاً يشير إلى**: أن ما يصل إليه إنما هو أحد طرفي معاملة أو فقل مبادلة من طرفين، فهو نظير آسى، وآكل أي أن الإيتاء إعطاء على سبيل المقابلة بشيء قد أوجب ذلك، ودعا إليه.. وقد يستبطن ذلك معنى السهولة واليسر أيضاً.

ثانياً: إن هذا الإيتاء الذي جاء على سبيل المقابلة والجزاء على فعل الإسلام، إنما هو من الله تعالى، فلا منة فيه لأحد عليه، ولا يطلب منه شكر ومكافأة لمخلوق مثله..

ثالثاً: إن هذا العطاء داخل في مقولة الأجر والمثوبة التي أوجبها إيمان؛ يعتبر عند الله عملاً محترماً، ومحفوظاً لعامله الذي قام به باختياره، وليس استجابة لعملية ابتزاز، وقهر، وإخضاع مذل. بل هو أمر فرضه على العامل معرفته بواقع كونه مربوباً، لابد أن يؤدي فروضه وواجباته بأمانة وصدق وإخلاص.

رابعاً: لعل إيتاء الأجر مرتين، إنما كان لأجل إيمانه نفسه.

أو ربما يكون الأجر مرتين هو أجر الدنيا وأجر الآخرة..

---

(١) راجع: لسان العرب ج١ ص٦٧.

أو ربما لأجل إيمانه نفسه وإيمان قومه.

وربما يكون ذلك جارياً وفق السنة في أهل الكتاب، فقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ، وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ، أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1].

وروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «من أسلم من أهل الكتاب فله أجره مرتين»[2].

وذلك لأن أهل الكتاب ينالون أجرهم مرة بصبرهم على أذى الطواغيت، وأذى المنحرفين عن الحق، وذلك في المرحلة السابقة على ظهور نبينا الأكرم «صلى الله عليه وآله». وينالون أيضاً أجراً آخر من أجل إيمانهم بمحمد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتحملهم الأذى في جنب الله تعالى.

إثم الأريسيّين:

وقد جاء في الكتاب إلى هرقل: «فإن توليت، فإنما عليك إثم الأريسيِّين».

وقد ذكر العلامة الأحمدي «رحمه الله»: اختلافات الناقلين في هذه

---

(١) الآيات ٥٢ ـ ٥٤ من سورة القصص.

(٢) راجع: المعجم الكبير ج٨ ص١٩١ وبمعناه في ص٢١٢ والسنن الكبرى ج٧ ص١٢٨ ومشكل الآثار ج٢ ص٢١٥ و ٣٩٤ ومسند أحمد ج٥ ص٢٥٩ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٩٥ عنهم، ومجمع الزوائد ج١ ص٩٣ والدر المنثور ج٥ ص١٣٣ وكنز العمال ج١ ص٩٦ وجامع البيان ج٢٧ ص٣١٧ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٠٥.

الكلمة أو الفقرة[1]، لا نرى حاجة للتعرض لها ههنا..

غير أن علينا أن نشير إلى المراد بهذه الكلمة، فنقول:

قد تقدم بعض الحديث عن المراد بها، حين الكلام عن كتابه «صلى الله عليه وآله» إلى ملك الفرس، ونضيف إلى ذلك هنا: أن أقرب الوجوه في معناها هو:

أن المراد بالأريسيِّين: أتباع آريوس أسقف الإسكندرية، الذين كانوا يقولون بالتوحيد الخالص، وأنكروا التثليث، واعتبروا المسيح عبداً من عباد الله المخلَصين.

وكانوا قد كثروا وانتشرت دعوتهم، فأخاف ذلك الإمبرطور الروماني قسطنطين، الذي كان وثنياً وتنصر، فجمع عدداً كبيراً من الأساقفة، بلغ (٣١٨) أسقفاً.. وبعد مناقشات حامية وفي ظل الترهيب والتخويف سيطر أنصار التثليث على أتباع آريوس، وفرضوا عقيدة التثليث، وحوصر أتباع آريوس بقرار الكنيسة بمنع تداول عقائدهم[2].

وقال أبو عبيد: إن الأريسيِّين هم الخدم والخول[3]، الذين يصدهم أربابهم عن الدين والحق.

وقيل: هم الأكَّارون ـ لأنهم كانوا عندهم من الفرس، وهم عبدة

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٩٦ و ٣٩٧.

(٢) راجع: تاريخ الفكر المسيحي (تأليف حنا الخضري) ج١ ص٦١٧، ودائرة المعارف للبستاني، كلمة «أرس».

(٣) الأموال ص٣٣ والنهاية في اللغة ج١ ص٣٨ ولسان العرب ج١ ص١١٧ وعن فتح الباري ج٨ ص١٦٧.

النار، فجعل عليهم إثمهم؛ إذ كانوا سبباً في عدم إيمانهم.

وقيل: أتباع عبد الله بن أريس ـ رجل كان في الزمن الأول ـ قتلوا نبياً بعثه الله إليهم.

وقيل: الأريسيُّون: الملوك، واحدهم إِرِّيس، فالملك هو إِرِّيسهم الذي يجيبون دعوته ويطيعون أمره.

وقيل: هم العشَّارون[1].

ما جرى عند ملك الروم:

ونحن نذكر هنا: ما جرى عند ملك الروم، ونختار النص الذي أورده العلامة الأحمدي «رحمه الله»، وهو التالي:

«وكتب مع دحية إلى قيصر كتاباً، يدعوه إلى الله تعالى ودين الإسلام، وأمره أن يدفعه إلى قيصر، فلما وصل دحية إلى الحارث ملك غسان، أرسل معه عدي بن حاتم ليوصله إلى قيصر.

فلما ذهب به إليه، قال قومه لدحية: إذا رأيت الملك فاسجد له، ثم لا ترفع رأسك أبداً حتى يأذن لك.

قال دحية: لا أفعل هذا أبداً، ولا أسجد لغير الله.

قالوا: إذاً لا يؤخذ كتابك.

فقال له رجل منهم: أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له.

---

(١) النهاية في غريب الحديث ج١ ص٤٢ ولسان العرب ج٦ ص٦ وراجع: السيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية) ج٣ ص٦٠ والبحار ج٢٠ ص٣٨٨ و ٣٩٦ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٩٧.

فقال دحية: وما هو؟

قال: إنه له على كل عتبة منبراً يجلس عليه، فضع صحيفتك تجاه المنبر حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها، ففعل.

فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب، وقال: إن هذا كتاب لم أره بعد سليمان:

بسم الله الرحمن الرحيم

فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية ثم قال: انظروا لنا من قومه أحداً نسأله عنه».

أبو سفيان عند ملك الروم:

وروي عن ابن عباس، عن أبي سفيان، أنه قال: «في الهدنة التي كانت بيني وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» خرجت للتجارة إلى الشام، فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى هرقل، فأرسل هرقل إليه في ركب من قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وعلى رأسه تاج، وحوله عظماء الروم، ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي.

فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسباً.

فقال: ادنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه، فقال: حدثني عن هذا الذي خرج بأرضكم ما هو؟

قلت: شاب.

قال : كيف نسبه فيكم؟

قلت: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟

قلت: لا.

قال: فهل كان من آبائه ملك؟

قلت: لا.

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟

قلت: بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قلت: لا، بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا.

قال: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قلت: الحرب بيننا وبينه سجال.

قال: كيف عقله ورأيه؟

قلت: لم نعب له عقلاً ولا رأياً قط.

قال: كيف حسبه فيكم؟

قلت: هو فينا ذو حسب».

قال لترجمانه: قل له: فما يأمركم به؟

قلت: يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصدق، والعفاف، والصلة، وأن نعبد الله وحده لا شريك له، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، والطهارة.

فقال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه، فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها.

وسألتك هل كان في آبائه ملك فزعمت أن لا.

فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت: رجل يطلب ملك آبائه.

وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم.

فقلت: بل ضعفاؤهم. وهم أتباع الرسل.

وسألتك هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليدَّعي الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله.

وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطة له، فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب.

وسألتك هل يزيدون أو ينقصون، فزعمت: أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتك هل قاتلتموه، فزعمت: أنكم قد قاتلتموه، فيكون الحرب بينكم وبينه سجالاً، ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلى، ثم

تكون لهم العاقبة.

وسألتك هل يغدر، فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله، فزعمت أن لا.

فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله، قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله.

قال ثم قال: إن يكن ما تقول حقاً فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي.

قال: ثم دعى بكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقرأه».

وذكر أن ابن أخي قيصر أظهر الغيظ الشديد، وقال لعمه: قد ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم.

فقال: والله إنك لضعيف الرأي، أترى أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر، وهو أحق أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق أنا صاحب الروم، والله مالكي ومالكه.

وفي نقل آخر: إن هذا الرجل أخوه.

قال أبو سفيان: فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللغط، فأمر بنا فأخرجنا.

قال: قلت لأصحابي: لقد أَمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر.

قال: فما زلت موقناً بأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

إكرام الرسول ﷺ:

ثم أمر الملك بإنزال دحية وإكرامه، وأمر منادياً ينادي: ألا إن هرقل قد ترك النصرانية، واتبع دين محمد «صلى الله عليه وآله»، فأقبل جنده قد تسلحوا حتى أطافوا بقصره.

فأمر مناديه فنادى: ألا إن قيصر إنما أراد أن يجرِّبكم، كيف صبركم على دينكم، فارجعوا قد رضي عنكم.

ثم قال للرسول: إني أخاف على ملكي، إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، والذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف، فاذكر له أمر صاحبكم، فهو أعظم في الروم مني، وأجوز قولاً مني عندهم، صاحبك والله نبي مرسل.

فجاء دحية فأخبره بما جاء به من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال ضغاطر: صاحبك والله نبي مرسل، نعرفه في صفته، ونجده في كتابنا باسمه، ثم ألقى ثياباً كانت عليه سوداء، ولبس ثياباً بيضاء، ثم أخذ عصاه، ثم خرج على الروم وهم في الكنيسة.

فقال: يا معشر الروم: إنه قد جاءنا كتاب أحمد يدعونا فيه إلى الله، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن أحمد رسول الله، فوثبوا عليه وثبة رجل واحد فضربوه فقتلوه، فرجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر.

فقال: قد قلت لك: إنا نخافهم على أنفسنا، وضغاطر كان والله أعظم عندهم مني».

ويظهر من بعض الألفاظ (كما يظهر من الإصابة عن بعض الرواة):

أن ضغاطر اجتمع مع ملك الروم، فأقرأه الكتاب، فقال: هذا النبي الذي كنا ننتظره.

قال: فما تأمرني؟

قال: أما إني فمصدقه ومشيعه.

قال قيصر: أما إن فعلت يذهب ملكي»(١).

---

(١) في مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٠٥ قال العلامة الأحمدي: راجع في تفصيل بعث دحية وقصة أبي سفيان: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٣ وسيرة دحلان ج٣ ص٥٨ ودلائل أبي نعيم: ٢٨٧ و ٢٩٠ والبحار ج٢٠ ص٣٨٩ ومسند أحمد ج٣ ص٢٦٣ وتهذيب تأريخ ابن عساكر ج١ ص١٤١ و ج٦ ص٣٩٢ والدر المنثور ج٢ ص٤٠ ومشكل الآثار للطحاوي ج٣ ص٣٩٧ والدلائل للبيهقي ج٤ ص٢٧٩ ـ ٢٨٤ والأموال لأبي عبيد ص٣٤ و ٣٦٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٤٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٧٧ و ج١٠ ص١٣٠ وفتح الباري ج١ ص٣٥ و ج٦ ص٧٩ و ج٨ ص١٦٥ وعمدة القاري ج١ ص٩٩ و ج١٤ ص٢١٠ وج١٨ ص١٤٤ وعون المعبود ج٤ ص٤٩٨ والطبقات الكبرى ج١ ق٢ ص١٦ وثقات ابن حبان ج٢ ص٥ والبخاري ج١ ص٢ ـ ٥ وج٤ ص٥٧ وتأريخ الخميس ج٢ ص٣٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٢ ـ ٢٦٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٦٤٦ والكامل لابن الأثير ج٢ ص٢١١ والإصابة ج٢ ص٢١٦ وأسد الغابة ج٣ ص٤١ ومجمع الزوائد ج٨ ص٢٣٦ و ٢٣٧ و ج٥ ص٣٠٦ ـ ٣٠٨ وحياة الصحابة ج١ ص١٠٤ وراجع: الطبراني في الكبير ج١٢ ص٤٤٢ (١٣٦٠٧) وج٢٥ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٨ وج٤ ص٢٦٦ وج٨ ص١٧ ـ ٢٨ بأسانيد متعددة والمصنف لعبد الرزاق ج٥ ص٣٤٤ والروض الأنف ج٣ ص٢٤٩ والأموال لابن زنجويه ج٢ ص٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٨٩ والمنتظم ج٣ ص٢٧٧ و ٢٧٨.

تعالوا إلى كلمة سواء:

وبعد، فإننا نلاحظ على ما تقدم ما يلي:

إنه قد ورد في كتابه «صلى الله عليه وآله» إلى ملك الروم قوله تعالى: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ ولا نشرَكَ به شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ الله فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**[1].

وقد تقدم: أن بعض النصوص صرحت: بأن كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الكفار هو: **﴿تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ..﴾** الآية[2].

وعن الزهري: كانت كتب النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم واحدة، كلها فيها هذه الآية[3].

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد كتب هذه الآية إلى كسرى[4].

وسيأتي: أنه كتب بها إلى المقوقس وإلى النجاشي أيضاً.

وقال أبو عبيد: «كتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي كتاباً واحداً:

---

(١) الآية ٦٤ من سورة آل عمران.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص٤٠ عن الطبراني عن ابن عباس وراجع المصادر المتقدمة.

(٣) البداية والنهاية ج٣ ص٨٣ والمصادر المتقدمة.

(٤) راجع: الأموال ص٣٤ وكنز العمال ج١٠ ص٤١٧ والبحار ج٢١ ص٢٨٧ الدر المنثور ج٥ ص١٠٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج١٤ ص٣٣٨ وسنن سعيد بن منصور ج٢ ص١٨٩ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٢٠.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من محمد رسول الله، إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي.

أما بعد، ﴿تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ..﴾الآية»[1].

وهذه الآية قد جاءت في سورة آل عمران.

وقد ذكروا أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» قد ذكر هذه الآية لأهل نجران، حين جاؤوا إلى المدينة[2].

وقالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كتبها.

وقيل: نزلت لأنها نزلت سنة تسع، وهي سنة قدوم النجرانيين[3].

وقيل: بل بعد نزولها؛ لأن نزولها كان في أول الهجرة في شأن اليهود[4].

ونقول:

إن قراءة النبي «صلى الله عليه وآله» للآية على النجرانيين، والطلب إليهم العمل بمضمونها لا يدل على نزول الآية في ذلك الحين، فإن مضمونها عام صالح للاستفادة منه في كل حين، وقد دلت الروايات على

---

(١) الأموال ص٣٤ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٢٠ و ٤٥٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٤٦١ وكنز العمال ج١٠ ص٦٣٢.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص٤٠ عن ابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير، وعن السدي.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٤ وراجع: عمدة القاري ج١ ص٩٣.

(٤) الدر المنثور ج٢ ص٤٠ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٤ وراجع: عمدة القاري ج١ ص٩٣ وجامع البيان ج٣ ص٤١٠ و ٤١٥ وفتح القدير ج١ ص٣٤٩.

نزولها قبل ذلك حين كان يحتج على يهود المدينة.

كما أن من الجائز أن يكون أهل نجران قد جاؤوا إلى المدينة في سنة ست.

الآية تفرض التوحيد:

وربما يتوهم بعضهم، أو يتعمد القول: بأن مفاد الآية هو دعوة أهل الكتاب إلى الالتزام بالقواسم المشتركة بيننا وبينهم، وهي عبادة الله، وتوحيده، ويبقى ما عداها خاضعاً للبحث والحوار..

إنه كلام غير صحيح، بل إن الآية تريد أن تلزم أهل الكتاب بالتوحيد، وأن تفرض عليهم التخلي عن الشرك، وعبادة غير الله، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.

وهو أمر لا يرضاه أهل الكتاب، وقد صرح القرآن بأنهم: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ..﴾[1].

وصرح أيضاً بشركهم، وبعبادتهم لغير الله عز وجل، حيث قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ..﴾[2].

وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، مَّا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً

---

(١) الآية ٣١ من سورة التوبة.

(٢) الآيتان ١٧ و ٧٢ من سورة المائدة.

وَلاَ نَفْعاً واللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ..﴾(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا..﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ الله..﴾(٣).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ الله ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِن دُونِ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ الله بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٤).

كما أن آية الجزية صريحة: في أن من أهل الكتاب، من لايؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا يدين دين الحق(٥).

فهذه الآيات كلها تدل: على أن أهل الكتاب لا يعبدون الله وحده لا شريك له، كما يريد أن يدَّعيه هذا البعض. بل إن قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَى

---

(١) الآيات ٧٣ ـ ٧٧ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٥٩ من سورة المائدة.

(٣) الآية ١١٦ من سورة المائدة.

(٤) الآيات ٣٠ ـ ٣٢ من سورة التوبة.

(٥) الآية ٢٩ من سورة التوبة.

كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ..﴾ الآية، يدل: على أنهم بعيدون عن كلمة السواء، ولا يلتزمون بها تماماً كاتخاذهم أحبارهم أرباباً من دون الله.

فإن الآية قد دعتهم إلى الالتزام بهذين الأمرين بصيغة واحدة، وسياق واحد، وذلك يدل على عدم التزامهم بهما معاً، كما قلنا..

ويؤيد ذلك: ما روي من أن النبي «صلى الله عليه وآله» كلم النضر بن الحارث حتى أفحمه، ثم قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ..﴾ الآية، فلما خرج النبي «صلى الله عليه وآله» قال ابن الزبعرى: أما والله لو وجدته في المجلس لخصمته، فاسألوا محمداً أكلُّ ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد عيسى.

فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا ويل أمه، أما علم أن «ما» لما لا يعقل، و «من» لمن يعقل؟

فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنَّا..﴾ الآية [1].

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٤٩ والكنى والألقاب ج١ ص٢٩٤ والبحار ج١٨ ص٢٠٠ والقواعد الفقهية ج٥ ص٣٣٨ عن الكاشف ج٣ ص١٣٦ وعن أسباب النزول للواحدي ص١٧٥ وعن الدر المنثور ج٥ ص٦٧٩.

وراجع: البداية والنهاية ج٣ ص١١١ والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٢٤١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٥٣ وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص٤٦٥ وجامع البيان ج١٧ ص١٢٨ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٦ ص١٠٣ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٢٠٨.

المجوس أهل كتاب:

وإذا كان «صلى الله عليه وآله» قد كتب بآية «كلمة السواء» إلى ملك الفرس بالإضافة إلى النجاشي، وقيصر، والمقوقس، فإن ذلك يعني: أن المجوس أيضاً من أهل الكتاب.

وقد ورد في الأحاديث: أنه كان لهم كتاب فضيعوه، أو أحرقوه[1]. فتضييعهم له، لم يخرجهم عن أحكامه، ولا أوجب معاملتهم معاملة أهل الشرك.

جواب قيصر:

ويقول المؤرخون أيضاً: إن قيصر قد رد دحية بن خليفة الكلبي مكرماً، وأهدى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» هدية، وكتب إليه:

«.. إلى أحمد رسول الله، الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم:

إني جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم.

وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك، فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيراً

---

(١) فقه القرآن ج١ ص٣٤٢ و ٣٤٤ وميزان الحكمة ج٤ ص٣١٨٣ والكافي ج٣ ص٥٦٨ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٥٤ وتهذيب الأحكام ج٤ ص١١٣ وج٦ ص١٥٩ و ١٧٥ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٩٦ و ٩٧ والفصول المهمة ج٢ ص٢١٢ والبحار ج١٤ ص٤٦٣ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤١٣ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٣٤ ونور الثقلين ج٢ ص٢٠٢ وقصص الأنبياء للجزائري ص٥١٤ وعن فتح الباري ج٩ ص٣٤٣.

لهم. ولوددت أني عندك، فأخدمك، وأغسل قدميك»[١].

وجعل كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الديباج والحرير، وجعله في سفط[٢].

فلما وصل كتابه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قال: «يبقى ملكهم ما بقي كتابي عندهم»[٣].

ونقل الحلبي أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «كذب عدو الله، إنه ليس بمسلم»[٤].

وقد ذكر السهيلي: أن هرقل وضع كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي كتب إليه في قصبة من ذهب، تعظيماً له، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه كابراً عن كابر، في أرفع صوان، وأعز مكان، حتى كان عند

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٧ و ٦٨ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٦ والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج٣ ص٦٣ والروض الأنف ج٤ ص١٩٦ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤١٠.

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٩١ وراجع: الروض الأنف ج٤ ص١٩٧ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤١٠ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٥٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٨ وراجع: مسند أحمد ج٣ ص٤٤٢ وج٤ ص٧٤ والبحار ج٢٠ ص٣٨٦ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤١٠ و ٤١٦ ومجمع الزوائد ج٨ ص٢٣٥ وعن فتح الباري ج١ ص٤٢ وكنز العمال ج١ ص٢٦٨ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٥٨ وج١١ ص٣٥٥.

(٤) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٦ والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج٣ ص٦٣ وموارد الظمآن ص٣٩٣.

«أذفونش» الذي تغلب على طليطلة، وما أخذ أخذها من بلاد الأندلس، ثم كان عند ابن بنته، المعروف بـ «السليطين».

حدثني بعض أصحابنا: أنه حدثه من سأله رؤيته من قواد أجناد المسلمين، كان يعرف بعبد الملك بن سعيد، قال: فأخرجه إلي، فاستعبرته، وأردت تقبيله، وأخذه بيدي، فمنعني من ذلك، صيانة له، وضناً به عليَّ.

حراجة موقف أبي سفيان:

ولا نريد التعليق على المحاورة التي جرت بين قيصر وأبي سفيان، بل نكتفي بالقول: إن أبا سفيان لم يكن سعيداً حين كان يجيب على أسئلة قيصر، وذلك من جهتين:

إحداهما: أنه يرى: أعدى أعدائه قد أصبح يشكل قضية كبيرة لقيصر، ولكسرى، ولغيرهما من ملوك الأرض، وأن هؤلاء الملوك الأقوياء جداً لم يستهينوا بأمر هذا النبي «صلى الله عليه وآله»، بل تلقوا أمره، وقرأوا كتبه لهم باهتمام بالغ، وبجدية ظاهرة، وكان موقفهم منه يتسم بكثير من التروي، والحرص على عدم ظهور أية بادرة عداء من قبلهم تجاهه، سوى ما ظهر من كسرى..

وقد أسلم بعض هؤلاء الملوك، أو أسلم كبار من أعوانهم ورجالاتهم، ومن لم يعلن إسلامه، فإنه اتخذ جانب المداراة، والتودد له، وأرسل له الهدايا، وخصه بالعبارات الرضية، والرقيقة..

وهذا أمر لابد أن يزعج أبا سفيان جداً، إلى حد الصدمة، ويجعله أكثر يأساً من الوصول إلى مبتغاه، ألا وهو القضاء على دعوته، والتخلص من

الدين الذي جاء به بيسر وسهولة..

الثانية: إنه وجد نفسه مضطراً للصدق في أجوبته على أسئلة قيصر، ليحفظ لنفسه موطئ قدم لديه، ولابد أن يكون ذلك صعباً عليه؛ لأنه يدرك أن كلماته سوف تترك انطباعاً إيجابياً لدى قيصر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو أمر كان أبو سفيان يخشى عواقبه وتبعاته كل الخشية، ولا يرضاه في حال من الأحوال.

لم أكن أظنه منكم:

ويثير الانتباه هنا: قول قيصر لأبي سفيان: إنه يعرف: أنه نبي، وأنه خارج لا محالة، ولكنه لم يكن يظن أنه من العرب..

غير أننا نقول:

هل كان سوء حال العرب، واستغراقهم في جهالاتهم وضلالاتهم هو الذي صرف ذهن قيصر عن تداول احتمال أن يكون الرسول الموعود منهم؟! وإلا فإن واقع الحال يشير إلى أنه برغم كل هذا التحريف للحقائق الذي ظهر في كتبهم التي يعتقدون بها، فقد حفلت تلك الكتب نفسها بإمارات ودلالات كثيرة جداً، تؤكد على أن هذا النبي هو من العرب، ومن مكة المكرمة بالتحديد. ونذكر مثالين على ذلك، وهما:

١ ـ ورد في الأصل العبراني من سفر التكوين ما ترجمته: «ولإسماعيل سمعته (إبراهيم) ها أنا أباركه كثيراً، وأنمِّيه، وأثمِّره كثيراً، وأرفع مقامه

كثيراً بمحمد، واثني عشر إماماً يلدهم إسماعيل، وأجعله أمة كبيرة»[١].

٢ ـ «هذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين، ليسألوه: من أنت؟!

فاعترف ولم ينكر، وأقر: إني لست المسيح.

فسألوه: إذن ماذا؟! إيليا أنت؟!

فقال: لست أنا.

النبي أنت؟!

فأجاب: لا.

فقالوا: من أنت لتعطي جواباً الخ..»[٢].

وهناك العديد من المؤلفات التي أوردت بشارات العهدين برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيمكن الرجوع إليها والوقوف على بعض من ذلك.. ويكفي أن نشير إلى أن الله تعالى يقول: ﴿**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ**﴾[٣].

ويقول: ﴿**النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ**﴾[٤].

ومعرفة قيصر بظهور نبي في آخر الزمان يدل على أن ذلك ـ كما أشار إليه القرآن ـ كان معروفاً عندهم. وهناك شواهد كثيرة على هذا الأمر لسنا بصدد تتبعها.

---

(١) سفر التكوين ١٧: ٢٠.

(٢) إنجيل يوحنا ١/ ١٩ فما بعدها.

(٣) الآية ١٤٦ من سورة البقرة، والآية ٢٠ من سورة الأنعام.

(٤) الآية ١٥٧ من سورة الأعراف.

ليبلغن ملكه تحت قدمي:

وقد تقدم أن قيصر قد أعلن: بأن ملك هذا النبي ـ الذي كان عالماً بأنه سيظهر ـ سوف يبلغ إلى تحت قدميه.. والمتوقع في حالات كهذه أحد أمرين:

أولهما: أن يؤمن ويسلم، ويستسلم للأمر الواقع، ويُرْجِع الأمر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه..

الثاني: أن يثور، وأن يزمجر، ويتهدد، ويتوعد، ويباشر العمل في تجهيز الجيوش، لإنزال الضربة الحاسمة بهذا الذي يخشاه على ملكه..

ولكن قيصر لم يفعل لا هذا ولا ذاك.. بل عامل النبي «صلى الله عليه وآله» بالمداراة والرفق.. ولكنه لم يدخل في الإسلام.

تقدم وسيأتي أنه قد ادَّعى الإسلام فكذَّبه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهذا يدل على أنه قد نافق، وماكر، وكذب على الرسول «صلى الله عليه وآله»، وسعى لدفعه برفق وأناة؛ لأنه يريد التصدي لإنسان يعرف أنه نبي مرسل، ويدرك أن إعلان الحرب عليه معناه إعلان الحرب على الله سبحانه، وهو يعرف أنه قد يعجز عن مواجهة بشر مثله، فهل يقدر على أن يواجه الله تعالى، ويعلن الحرب عليه؟!

حنكة قيصر في استجواب أبي سفيان:

وقد أظهر استجواب قيصر لأبي سفيان: أن هذا الرجل كان على جانب كبير من الحنكة والمعرفة بالأمور، وبمناشئها، ودوافعها، كما أنه كان مطلعاً على شيء من تاريخ دعوات الأنبياء «عليهم السلام»، وخصوصياتهم، بالإضافة إلى

قدر كبير من الدراية والبصر بأحوال الناس، وبأخلاقهم، وطبيعة نظرتهم للأمور، ويتضح لك فيما يلي:

نظرة في أسئلة قيصر:

وإذا ألقينا نظرة على أسئلة قيصر لأبي سفيان، فإننا سوف نخرج بنتيجة مفادها: أنها قد اختيرت بعناية فائقة، حيث عرف من خلالها كل الأمور والمزايا والخصوصيات التي تحتم نجاح مهمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه لا قدرة لأحد على الوقوف في وجه دعوة لها هذه الميزات، والخصوصيات.

ونذكر من ذلك على سبيل المثال:

١ ـ أن قيصر لم يسأل أبا سفيان عن معجزة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعن السبب في عدم انصياعهم لمعجزته. بل اتخذ الحوار بينهما منحى آخر يصب في اتجاه التعرف على ما يفيد في وضع خطة لمواجهة هذه الدعوة التي يخشاها كل الخشية ويريد أن يتجنب الصدام معها.

٢ ـ أنه سأل أبا سفيان عن نسب وحسب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره: أنه ذو نسب وحسب.. وله مكانة مرموقة فيما بين قومه.. وبديهي: أن الناس العاديين يعظمون ذوي الأحساب، ويحبون التقرب منهم، ولا يرضيهم إلحاق الأذى بهم، ولا يؤنسهم التطاول عليهم.. ومعرفة قيصر بهذا الأمر بالنسبة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، سوف يزعجه، ويزيد من هواجسه..

٣ ـ حين لم يجد قيصر في آباء رسول الله «صلى الله عليه وآلـه» ملكاً،

فإنه فقد المبرر لاتهامه «صلى الله عليه وآله» بأنه يريد أمراً لنفسه، وأنه طالب جاه ومقام ضاع منه..

٤ ـ وإذا كان ضعفاء الناس هم أتباع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن ذلك يعني: أن الشرفاء والرؤساء ـ وهم قليلون ـ يفقدون سيطرتهم على أولئك الضعفاء، الذين هم الكثرة الكاثرة، والذين يعيشون حالة من التلاحم، والتعاضد، ويعطف بعضهم على البعض الآخر، ويحن إليه، وتتلاقى مشاعرهم بالمظلومية والقهر، وتتشارك أمانيهم في التعلق بمن يأتي لينجيهم مما هم فيه، من ظلم وعسف أولئك الأسياد. ويهديهم إلى طريق الخلاص من متاعبهم، وآلامهم..

٥ ـ ومن الواضح: أن الوثوق بصدق القائد والرئيس أمر مهم جداً في حصول الاطمينان لدى الناس بأقواله وأفعاله، وفي سكون نفوسهم إليه.. وهو يقلل أيضاً من فرص التشكيك في صدقيته، وفي خلوصه، وإخلاصه.. وهو من موجبات احترام الناس وإكبارهم له.

كما أن ذلك يؤكد لهم صحة ما جاء به، ويزيد تقديسهم له..

٦ ـ وإن عدم ارتداد أحد ممن يدخل في دينه «صلى الله عليه وآله»، يشير إلى أن باطن هذا الدين لا يخالف ظاهره، وأن شعاراته متوافقة مع حقائقه، وأنه منسجم مع الفطرة والحقيقة الإنسانية، مؤيد بالمنطق القويم، والعقل السليم، وأنه صالح لكل المستويات، ومتوافق مع عقول الناس من مختلف الفئات، وجميع المجتمعات..

كما أن ذلك يدل على أن من يؤمن بهذا الدين يجد فيه مبتغاه، وأنه حتى لو كان قد دخل فيه لألف سبب وسبب، فإن هذا الدين قادر على تحويل

العلقة الظاهرية، إلى علقة إيمانية حقيقية وواقعية..

٧ ـ يضاف إلى ذلك: أن أهل الإيمان في ازدياد مستمر، وأن هذا الدين لا يتراجع ولا ينحسر. وأن ذلك ينسحب على جميع القوميات، والطبقات، والفئات.

وهذا يعطي: أنه لا خصوصية لبلاد العرب ولا لأحوالهم في ذلك، بل الخصوصية هي للتكوين الإنساني نفسه، حيث إنه إذا وجد ما يسانخه، ويتلاءم معه، فإنه يتلاحم معه، ويندمج فيه.

٨ ـ ولأجل ذلك سأل قيصر أخيراً عن التعاليم التي جاء بها، فلما أخبره ببعضها أدرك أنها تعاليم إنسانية إلهية خالصة، وهي التي تبحث الفطرة عنها، لتتكامل بها ومعها. وهي التي تأنس بها النفس، وتهفو إليها الروح، ويرشد إليها عقل الإنسان ويرضاها وجدانه، وضميره..

وفي هذا الحوار نقاط كثيرة أخرى، كلها تصب في اتجاه واحد، وهو: أن قيصراً أراد أن يكتشف ثغرة في دعوة رسول الله «صلى الله عليه وآله» تفسح المجال لتسديد الضربة القاصمة له، ليتخلص منه، فلم يجد..

ولأجل ذلك عقب بقوله: «وليبلغن ملكه ما تحت قدمي».

بل وجد أن أي صدام مع هذا النبي سوف يؤدي إلى غرس شجرة الإسلام في بلاده، وهي شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، لا مجال للتخلص منها، في أي حال، بل يكون السعي في هذا الاتجاه من موجبات قوتها، وتجذرها. وانتشار أغصانها في كل اتجاه..

فآثر العمل على تجنب ذلك، ومارس المكر والحيلة، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، ولتعلمن نبأه بعد حين.

ولو أنه كان راغباً في الإسلام، فقد كان باستطاعته وهو الرجل المجرب، والحصيف أن يفعل ذلك، وأن يمهد السبل لإسلام أهل مملكته وفق ما يأمره به نبي الله «صلى الله عليه وآله».

هرقل ماكر وكاذب:

تقدم: أن ملك الروم بعدما قرأ كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» واطلع من أبي سفيان على ما أحب أن يطلع عليه.. «أمر منادياً ينادي: ألا إن هرقل قد آمن بمحمد واتبعه.

فدخلت الأجناد في سلاحها، وأطافت بقصره، تريد قتله، فأرسل إليهم: أني أردت أن أختبر صلابتكم في دينكم، فقد رضيت عنكم. فرضوا عنه.

ثم كتب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه مسلم، ولكنه مغلوب على أمره..

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: كذب عدو الله، ليس بمسلم، بل هو على نصرانيته.. أو نحو ذلك»[1].

---

(١) الروض الأنف ج٤ ص١٩٦ وراجع: حياة الصحابة ج١ ص١٠٦ و ١٠٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٧ و ٢٦٨ وج٥ ص١٥ وتهذيب تاريخ دمشق ج١ ص١١٤ وعن فتح الباري ج١ ص٣٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٦ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٦٣ وسائر المصادر التي ذكرناها سابقاً، حين أوردنا ما جرى بين هرقل، وأبي سفيان، وموارد الظمآن ص٣٩٣ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٣٥٨.

ونقول:

إن التأمل في هذا الذي جرى يدل دلالة واضحة على مكر هذا الرجل، وعلى سوء سريرته، حيث اختار هذه الطريقة التحريضية المثيرة، التي من شأنها أن تلهب مشاعر الناس، وتعجل باتخاذهم قرار الرفض، تحت وطأة الشعور بالخوف والوجل من أمر مجهول لهم، لم يطلعوا على أي شيء منه يفيد في طمأنتهم إلى مصيرهم ومستقبلهم معه..

وقد كان بإمكانه أن يفعل كما فعل باذان، وملك الحبشة، وغيرهما من الملوك الذين أسلموا، ولم يثيروا الناس من حولهم، بل هم قد يسروا لهم سبيل الإيمان والهداية، وأفسحوا لهم المجال في هذا الأمر، بعيداً عن أجواء التشنج والإثارة والتحدي.. فأنار الله قلوبهم بالحق، وفتح أعينهم على الخير، وأسلموا لله رب العالمين..

نعم، إن ما فعله قيصر، قد أوجب صدود الناس عن التفكير في حقيقة ما يعرضه رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليهم، وأصبحوا يتعاملون بانفعال، وبعصبية بالغة، وبتحفظ شديد. وبذلك يكون قد أوصد أبواب الهداية إلى الله تعالى، وحرمهم من بركاتها..

وقد أكد هذا الصدود لديهم والإصرار على الممانعة منهم، حين لوَّح لهم بأن هذا النبي هو من قوم لم يكن يظن أن يكون منهم، فأثار في نفوس أتباعه مشاعر الاستكبار، والتعالي، وساقهم إلى رفض الانصياع لنبي يخرج من قوم ليس لهم شأن، ولا مقام، ولابد أن يعتبروا الانصياع لنبي من قوم لهم هذه الصفة نقيصة وعاراً، ولا يليق صدوره من أهل الشرف والشهامة، والرياسة، والزعامة.

ولعل الذي دعاه إلى ذلك: خوفه من أن يكون انتشار الإسلام في رعيته سبباً في تعاظم نفوذ كلمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيهم، إلى حد يؤثر على نفوذه، ويضعف مكانته عندهم، مع إدراكه أن الانقياد للدين ولرموزه يكون هو الأشد؛ لأنه انقياد نابع من ضمير الإنسان، ومن أعماق روحه، وشغاف قلبه. لا خوفاً من عصاً، ولا طمعاً بشيء من حطام الدنيا. فابتكر هذه الطريقة من أجل حسم الأمر لصالحه، وهكذا كان.

وأما إعلان الحرب من قِبَله على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فهو غير سديد؛ لأنه سوف ينتهي إلى ما انتهت إليه قريش في حربها معه.. كما سيأتي توضيحه حين الكلام عن موقف المقوقس.

وبذلك يكون قيصر قد باء بإثم الأريسيِّين، أو القبط، الذين كان يستطيع أن يهديهم إلى الحق، ويأخذ بأيديهم إلى النجاة فساقهم إلى الكفر، وأوردهم موارد السوء والبوار والهلاك..

أكثر من كتاب إلى قيصر:

هذا وبمراجعة المصادر التاريخية يتضح: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسل كتباً أخرى إلى قيصر، أحدها حينما كان راجعاً من تبوك، وقد طلب منه أن يعطي الجزية، فإن أبى، فعليه أن يواجه الحرب، إلا أن يلتزم بأن لا يحول بين الفلاحين، وبين الإسلام[1].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤١٠ و ٤١١ عن المصادر التالية: الأموال ص٢٢ وفي (طبعة أخرى) ص٣٢، ورسالات نبوية ص٣١٣ ـ ١١٧ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٤٧ عن جمهرة رسائل العرب والوثائق: ١١٠/ ٢٧ عن (الأموال وصبح =

وغزوة تبوك كانت في سنة تسع، فإرسال هذا الكتاب إلى قيصر في هذه السنة يدل على أنه لم يقبل منه ادعاءه للإسلام. بعد أن ظهرت دلائل كذبه، ومكره في دعواه هذه، فهدده في هذا الكتاب بالحرب، أو إعطاء الجزية.

وسوف نتعرض مرة أخرى لهذا الكتاب حين الحديث عن غزوة تبوك فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

لا أقبل زبد المشركين:

وقد ذكرنا فيما تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان لا يقبل هدية مشرك، أو كافر. فقد يقال: إن هذا لا يتلاءم مع ما ذكرته الروايات من قبوله «صلى الله عليه وآله» هدية قيصر، إذا كان كافراً؟!

ويمكن أن يجاب عن ذلك بعدة أجوبة:

أحدها: أنه «صلى الله عليه وآله» كان لا يقبل هدية المشركين. أما هدية أهل الكتاب، مثل: النصراني، واليهودي، فلم يكن يردها كما دلت عليه

= الأعشى ج٦ ص٣٦٣ و ٣٧٧ وسنن سعيد بن منصور ج٢ ص١٨٧ والمطالب العالية ج٤ ص٢٢٣١ و ٢٤٧٩ وراجع ٤٣٤٢ عن الحارث بن أسامة وقال: انظر مجلة المعارف شهر يونيو ١٩٣٥م: ٤١٦ ـ ٤٣٠، وراجع: نشأة الدولة الإسلامية ص٢٩٩ و ٣٠٠ (عن أبي عبيد، والقلقشندي، ومحمد حميد الله)، وراجع أيضاً ص٧١٣. وأوعز إليه الحلبي في السيرة ج٢ ص٣٧٧ والبداية والنهاية ج٥ ص١٥ وابن عساكر ج١ ص١١٣ و ١١٤ ودحلان هامش الحلبية ج٢ ص٣٧٤ وسعيد بن منصور في سننه ج٢ ص١٨٧.

بعض الروايات[1].

وقد كان قيصر نصرانياً، وكان كسرى مجوسياً، ويعد المجوس من أهل الكتاب أيضاً.

وأما ما روي من أنه «صلى الله عليه وآله» كان يقول: «اللهم لا تجعل لفاجر ولا فاسق عندي نعمة»[2]..

فربما يقال: إن المراد به: من كان محارباً من الفساق والفجار..

الثاني: قد يقال: إن المقصود بما سبق هو: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يرد هدية المشرك المحارب، أما غيره، فكان يقبل هديته، حتى لو كان مشركاً[3]، فضلاً عن أن يكون يهودياً أو نصرانياً.

---

(١) إختيار معرفة الرجال (ط جامعة طهران) ص١٦٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج٢ ص٢٦٨ والبحار ج١٦ ص٣٧٤ وج٥٠ ص١٠٧ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٢ ص٢١٧ وعون المعبود ج٨ ص٢١٥ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٣١ وجامع الرواة ج١ ص٣٠٠ ومعجم رجال الحديث ج٨ ص٨٩.

(٢) النصائح الكافية ص١٥٦ وراجع: من لا يحضره الفقيه ج٣ ص٢٩٩ (ط مؤسسة النشر الإسلامي) وكنز العمال ج٢ ص١١١ و ٢١١ والجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص١٠٨ و ٣٠٨ (ط مؤسسة الرسالة)، وأبو طالب مؤمن قريش للخنيزي وتذكرة الموضوعات ص٦٨ وكشف الخفاء ج١ ص٨٩ و ٣٣١ وج٢ ص٣٢١ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٥٣ والدر المنثور ج٦ ص١٨٦ و ١٨٧.

(٣) الروض الأنف ج٤ ص١٩٦.

ونقول:

أولاً: إن هذا الكلام غير ظاهر الوجه، فإن المشرك إذا كان محارباً، فهو لا يهدي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» شيئاً..

ثانياً: إن الحديث غير مقيد بالمحارب ولا بغيره. فراجع النصوص المنقولة في ذلك، حين الحديث عن إيمان أبي طالب رضوان الله تعالى عليه، فإن مفادها: أن نفس شركهم هو السبب في عدم قبول الهدية منهم.

ثالثاً: قد ادَّعى البعض: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قبل هدية قيصر؛ لأنها فيء للمسلمين ولذلك قسمها عليهم. ولو أنها كانت هدية خاصة، بحيث تكون لشخصه «صلى الله عليه وآله»، ولا يستفيد منها سواه، أو أهل بيته الذين هم تحت تكفله، فإنها تكون له خالصة، كما كانت هدية المقوقس خالصة له، وقد قبلها منه؛ لأنه لم يكن محارباً للإسلام..

ونقول:

إن هذا الكلام غير دقيق:

أولاً: إن قيصر لا يختلف في موقفه عن المقوقس من حيث إنه يداري رسول الله «صلى الله عليه وآله» دون أن يدخل في دينه.

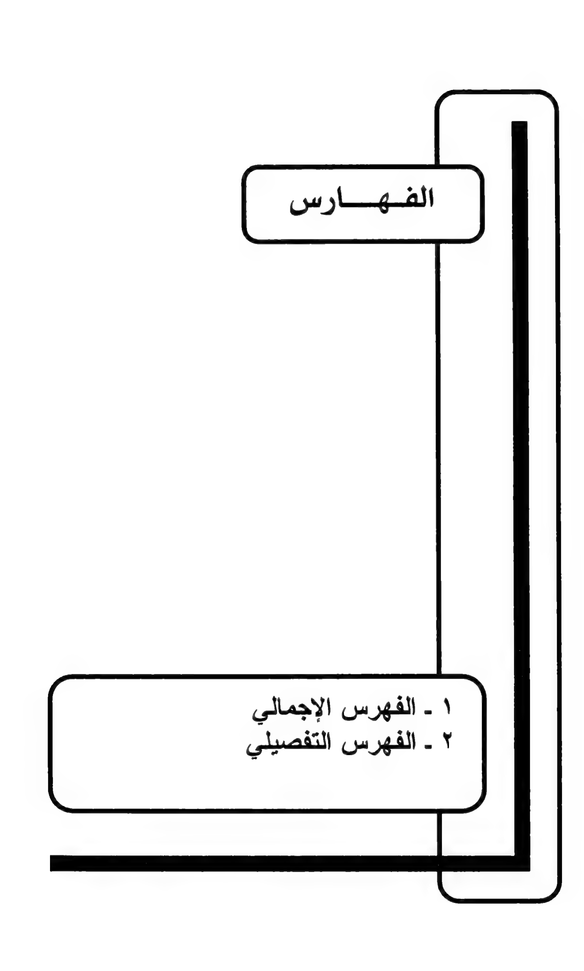
ثانياً: إن قيصر قد أظهر في رسالته التي بعثها لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه قد أسلم، غاية الأمر: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» قد أخبر عنه أنه غير صادق فيما يقول، وأنه قد اتبع سبيل النفاق والمكر في هذا الأمر.

وقد كان «صلى الله عليه وآله» يعامل المنافقين كما يعامل المسلمين. وكان عارفاً بهم، وقد أخبر حذيفة بأسمائهم، ولم يُؤثر عنه «صلى الله عليه

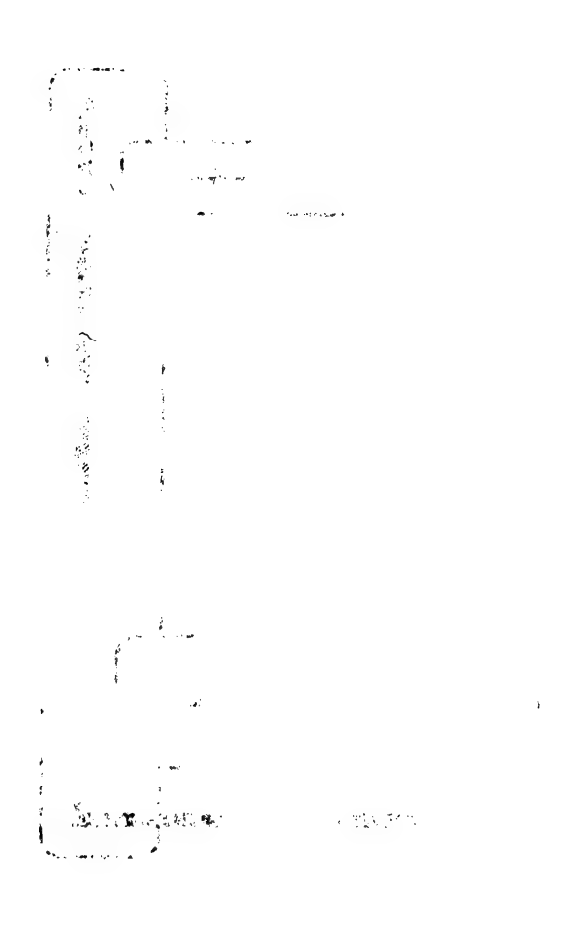
وآله»: أنه عاملهم كما يعامل أهل الكفر أو الشرك.

ثالثاً: إنه لا دليل على النبي «صلى الله عليه وآله» قد اعتبر ذلك فيئاً للمسلمين، إذ لماذا لا يكون «صلى الله عليه وآله» قد ترك لأصحابه أمراً هو له، ترفعاً منه «صلى الله عليه وآله»، وتنزهاً، أو إظهاراً للشمم والنبل، أو إيثاراً منه لأصحابه، ليتعلم منه الناس ذلك، ولتصل أخباره إلى من أرسل تلك الهدية، والذي كان يظن أن هديته، سوف يكون لها وقعها الخاص لدى المرسل إليه، بسبب ندرتها، وقيمتها، وأهميتها من الناحية المادية..

رابعاً: إن الفيء ملك خالص لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وليس لأحد فيه نصيب، فإن هؤلاء لم يأخذوه في ساحة الحرب، ليكون غنيمة لهم.



الفهارس
١ ـ الفهرس الإجمالي
٢ ـ الفهرس التفصيلي



١ـ الفهرس الإجمالي

الباب الثاني: عهد الحديبية.. وقائع.. وآثار

الباب الثالث: حتى خيبر

الباب الرابع: دعوة ملوك الأرض..

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الباب الثاني: عهد الحديبية.. وقائع.. وآثار

الفصل الأول: بيعة الرضوان..

الفصل الثاني: عهد الحديبية: أحداث وتفاصيل

الفصل الثالث: إدانة البريء..

الفصل الرابع: تبرئة المذنب..

الفصل الخامس: اللمسات الأخيرة..

الفصل السادس: عهد الحديبية: نتائج و آثار..

الباب الثالث: حتى خيبر

الفصل الأول: أشخاص أراد الناس أن يمدحوهم..

الفصل الثاني: سرايا وقضايا بين الحديبية وخيبر..

الباب الرابع: دعوة ملوك الأرض..

الفصل الأول: بيانات تمهيدية

الفصل الثاني: كتاب النبي ﷺ إلى كسرى

الفصل الثالث: كتاب النبي ﷺ إلى قيصر..

الفهارس: